

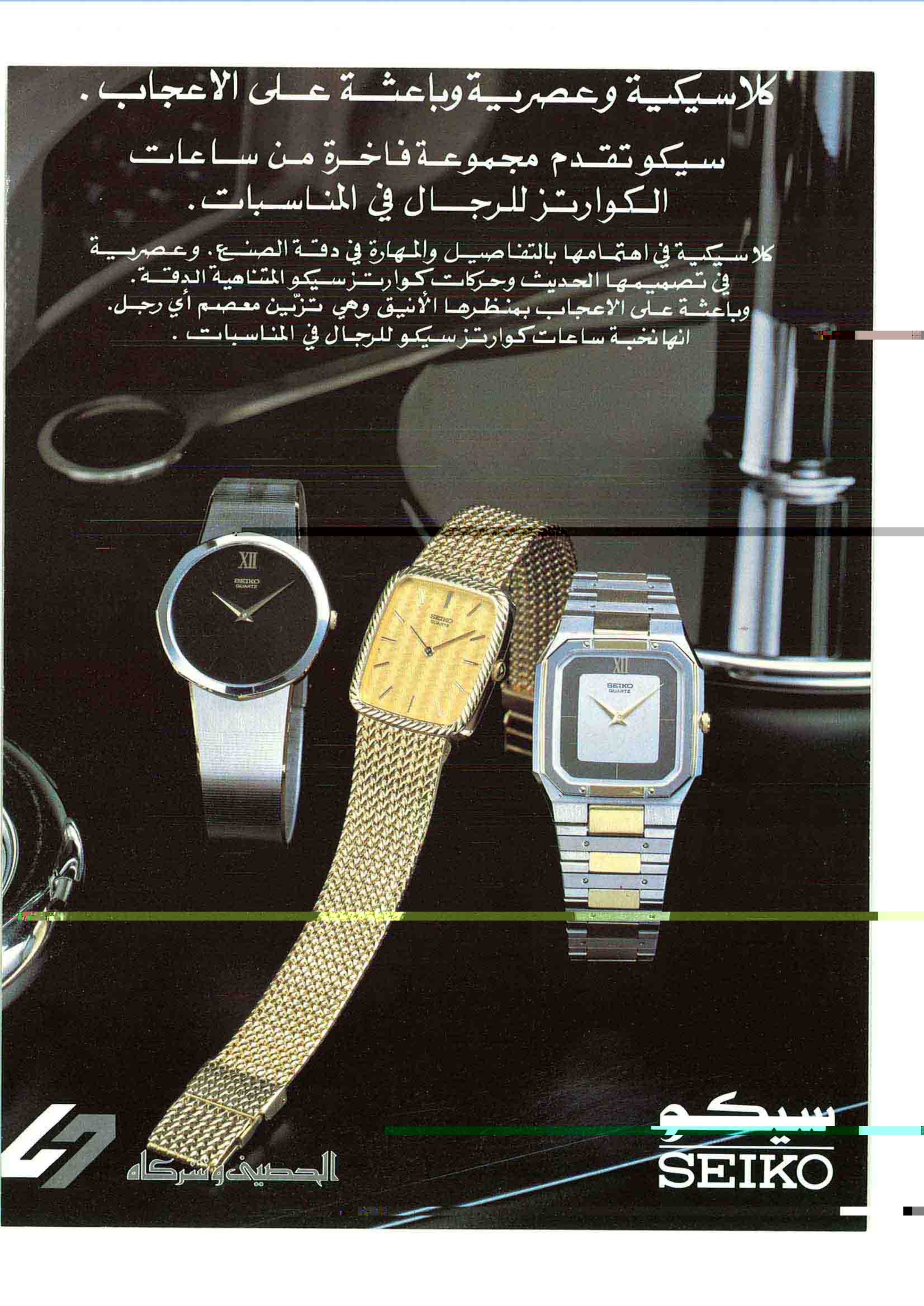
الفيصل

مجلة ثقافية شهرية

AL FAISAL MAGAZINE

العدد (٦٧) ـ محرم ١٤٠٣ هـ ـ السنة السادسة ـ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٢ م

ISSUE 67 - SIXTH YEAR - NOVEMBER 1982.


كلاسيكية وعصرية وباعثة على الاعجاب.
سيكو تقدم مجموعة فاخرة من ساعات
الكوارتز للرجال في المناسبات.
كلاسيكية في اهتمامها بالتفاصيل والمهارة في دقة الصنع. وعصرية
في تصميمها الحديث وحركات كوارتز سيكو المتناهية الدقة.
وباعثة على الاعجاب بمنظرها الأنيق وهي تزيّن معصم أي رجل.
انها نخبة ساعات كوارتز سيكو للرجال في المناسبات.
SEIKO
QUARTZ
XII
الحصيني وشركاه
سيكو
SEIKO

بسم الله الرحمن الرحيم



ALFAISAL MAGAZINE

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE — مجلة ثقافية شهرية

PUBLISHED BY AL-FAISAL CULTURAL HOUSE — تصدر عن دار الفيصل الثقافية

ISSUE 67 - SIXTH YEAR - NOVEMBER 1982. — العدد (٦٧) ـ محرم ١٤٠٣ هـ ـ السنة السادسة ـ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٢ م

رئيس التحرير

علوي طه الصافي

ALAWI TAHA ALSAFI

Editor-in-Chief

All Correspondence To: — المراسلات :

Riyadh - Saudi Arabia
Al-Faisal Magazine P.O.Box 3
Tel.: 4653026-4653027
TELEX 202600 DRFATH SJ

الرياض ـ المملكة العربية السعودية
مجلة الفيصل ص . ب (٣)
هاتف : ٤٦٥٣٠٢٦ ـ ٤٦٥٣٠٢٧
تلكس ٢٠٢٦٠٠ DRFATH SJ

EUROPE - AMERICA - ASIA

Belgium	BF	200	Italy	L	4000	Sweden	SKR	30
Denmark	DKR	30	Netherlands	DFL	10	Switzerland	SF	6
Finland	FMK	30	Norway	NKR	30	United Kingdom	£	2
France	FF	15	Pakistan	RS	10	U.S.A.	$	5
F.R.G.	DM	10	Portugal	ESQ	100			
Greece	DR	100	Spain	PTS	150			

أسعار بيع النسخ في البلاد العربية

المملكة العربية السعودية	٨ ريالات	الأردن	٤٠٠ فلس	تونس	٥٠٠ مليم
الكويت	٦٠٠ فلس	ج . ع . اليمنية	٦ ريالات	الجزائر	٥ دنانير
الإمارات العربية المتحدة	٧ دراهم	ج . اليمن الديمقراطية الشعبية	٨٠٠ فلس	العراق	٤٠٠ فلس
قطر	٦ ريالات	مصر	٣٠٠ مليم	سورية	٥ ليرات
البحرين	٥٠٠ فلس	السودان	٣٠٠ مليم	لبنان	٥ ليرات
سلطنة عمان	٦٠٠ بيسة	المغرب	٥ دراهم	ليبيا	٨٠٠ درهم

ANNUAL SUBSCRIPTION RATES

Personal Subscription : S.R. 150 Others : S.R.250

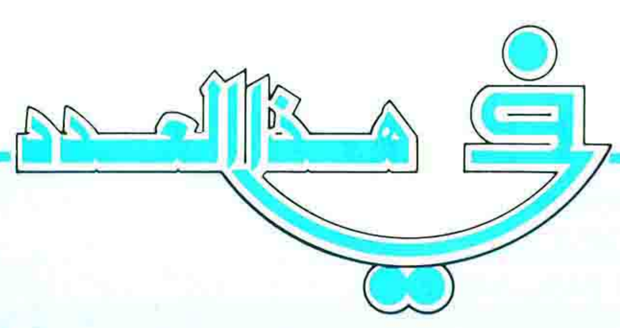
PAYABLE TO AL-FAISAL MAGAZINE

● أسعار الاشتراكات السنوية :

للأفراد ١٥٠ ريالا سعوديا لغير الأفراد ٢٥٠ ريالا سعوديا

ترسل قيمة الاشتراك باسم مجلة الفيصل

طبع في : شركة الطباعة العربية السعودية (المحدودة)
ص . ب ٦٤٦٣ ـ الرياض ، هاتف ٤٧٨٦٨٩٦ ، العمارية ٤٦٥٨٩٩٠





د . إبراهيم سليمان عيسى



★ من مواليد الشرقية ـ مصر عام ١٩٤١م .

★ دكتوراه في وقاية النبات (حشرات) ـ جامعة الأزهر .

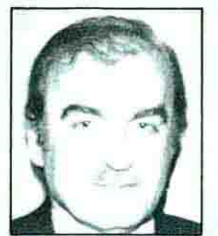
★ يعمل أستاذاً مساعداً بجامعتي الأزهر وقطر .

★ عضو باتحاد أمراض النبات لمنطقة البحر الأبيض المتوسط ومقره بمدينة (باري) بإيطاليا ، وعضو بجمعيات الحشرات والحيوان والطفيليات بجمهورية مصر العربية .

★ شارك في مؤتمرات وندوات علمية عالمية وعربية .

★ له عدد من البحوث والمقالات العلمية والثقافية .

جورج رجي



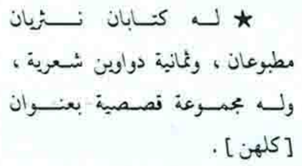
★ من مواليد كفرشيما ـ لبنان عام ١٩٣٢م .

★ اشتغل بتدريس اللغة العربية والأدب العربي في الجامعة الأمريكية ، ومعهد الحكمة في بيروت .

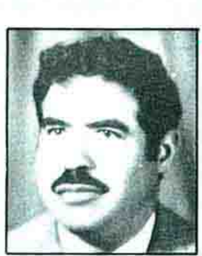
★ أصدر جريدة (الراصد) اليومية باللغات العربية ، والفرنسية ، والإنجليزية .

★ له كتابان نثريان مطبوعان ، وثمانية دواوين شعرية ، وله مجموعة قصصية بعنوان [كلهن] .

★ يعيش حالياً في باريس .

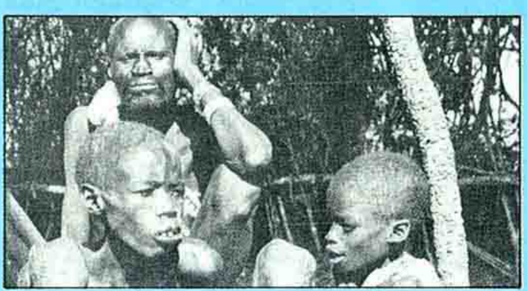


د . عبد الحميد المعيني

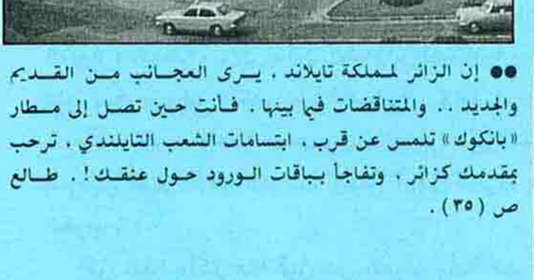


★ من مواليد بترمعين ـ الأردن عام ١٩٤١م .

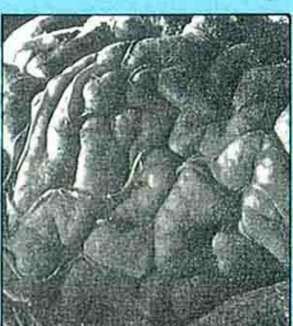
●● تمكن مجموعة علماء من الولايات المتحدة الأمريكية من إبعاد أسراب من فراشة دودة ثمار الطماطم .. بالتشويش عليها، بأصوات عالية تشبه أصوات الاستغاثة التي تميزها هذه الحشرات، مما يجعل الحشرات في حالة ذعر وفوضى.. [illegible] معها مبتعدة عن المحاصيل، ولا تستطيع وضع بيضها، وبالتالي لا تستكمل دورة حياتها !. طالع ص (٢٠).



●● لئن كانت إفريقيا قد تحررت من ربقة الاستعمار. إلا أنها أضحت منذ استقلالها، تواجه كثيراً من المحن القاسية التي تتمثل في الاستعمار الجديد، والصراعات الداخلية، والانفجار السكاني، وسوء التغذية، والتفرقة العنصرية. طالع ص (٨٣).



●● إن الزائر لمملكة تايلاند. يرى العجائب من القديم والجديد .. والمتناقضات فيما بينها. فأنت حين تصل إلى مطار «بانكوك» تلمس عن قرب، ابتسامات الشعب التايلندي، ترحب بمقدمك كزائر. وتفاجأ بباقات الورود حول عنقك!. طالع ص (٣٥).



●● إن أعظم سؤال يجابه العلماء حتى وقتنا الحاضر هو: هل العقل والمخ شيء واحد؟.. أم أنهما كينونتان منفصلتان؟ بمعنى: هل أظهر العقل المخ؟.. أم أن المخ هو الذي أظهر العقل؟ أم أنهما وجهان لحقيقة واحدة؟. طالع ص (٤٧).

★ دكتوراه آداب اللغة العربية والنقد.

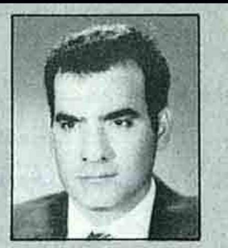
★ عمل بالتدريس الجامعي، والإشراف التربوي، كما عمل مشرفاً على البرامج التربوية في الإذاعة والتليفزيون في أبو ظبي، ومحاضراً بمعاهد التأهيل التربوي، والمدارس الثانوية في الأردن.

★ يعمل حالياً أستاذاً مساعداً بجامعة الملك سعود ـ كلية التربية في أبها.

★ له كتابان: (شعر قبيلة تميم في العصر الجاهلي جمع وتحقيق ودراسة)، (شعراء عبد القيس في العصر الجاهلي).

●●

د. مهندس/محمد نبهان سويلم

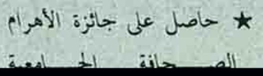


★ من مواليد الزقازيق ـ مصر ١٩٣٩م.

★ دكتوراه في الهندسة الكيميائية.

★ عمل معيداً ومدرّساً بالكلية الفنية العسكرية.

★ حاصل على دورات تدريبية في مجال الميكروفيلم.



★ حاصل على جائزة الأهرام في الصحافة الجامعية بالإسكندرية.

★ له أبحاث ومقالات علمية نشرت في البلاد العربية، وإنجلترا، وألمانيا الغربية.

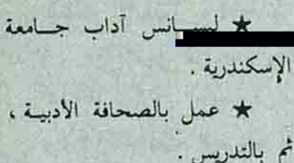
★ له تحت الطبع كتابان.

★ يعمل حالياً مهندساً استشارياً في الصناعات الكيميائية، إلى جانب التدريس في كليات الهندسة والإعلام كأستاذ غير متفرغ.

●●

أحمد مرتضى عبده

★ من مواليد مدينة قنا بصعيد مصر عام ١٩٥٦م.



★ ليسانس آداب جامعة الإسكندرية.

★ عمل بالصحافة الأدبية، ثم بالتدريس.

★ نشرت له معظم الصحف والمجلات المصرية والعربية.

★ له ديواناً تحت الطبع.

★ يمارس النقد الأدبي وله في ذلك كتاب «قراءات في الشعر والقصة» لم يتم طبعه بعد.



●●



عرب الحضارة .. أعداء الحضارة !!

حين اتخذت المملكة العربية السعودية قرارها الكبير الشجاع بإيقاف ضخ بترولها عن الدول التي ساعدت ووقفت مع إسرائيل في عدوانها السافر ضد العرب ، وعلى رأس هذه الدول الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٧٣م .. يومها حاول إعلام الفساد الصهيوني والعالمي إيهام العالم أن العرب يسعون إلى تحطيم الحضارة الإنسانية ، وتجويع البشرية وإذلالها .. ووصفنا بأننا ـ نحن العرب ـ مجموعة من البدو المتخلفين الحاقدين على العالم المتحضر المتمثل في الدول الصناعية !!

كما حاول ـ الإعلام الصهيوني والعالمي ـ إثارة مشاعر الشعوب لكراهية العرب الذين يطفئون نور الحضارة والمدنية على حد زعمه ، وركز بمختلف الصور على نتائج قرار منع ضخ البترول مثل إيقاف عدد من المصانع الكبرى التي تقدم خدماتها النبيلة لشعوب الأرض المختلفة ، وتفاقم مشكلة البطالة العالمية ، وتدهور الأسواق المالية العالمية ، وتهديد وسائل المواصلات التي تساهم في اتصال الشعوب الإنسانية بعضها ببعض من أجل التعاون لصناعة الخير والرفاهية للبشر والحيوانات .. خاصة الكلاب والقطط «المتحضرة» التي تعيش في المجتمعات الصناعية !!

ونشر صوراً لشخصيات عالمية سياسية لها دورها الكبير في «صناعة السلام العالمي» تركب الدراجات العادية ، وتسير في الشوارع العامة ، وإن سكان الشعوب الصناعية يهددها جحيم الشتاء بالموت أحياء واقفين كالنخل .. باختصار فإن قرار العرب بمنع ضخ بترولهم يفتقر إلى الإنسانية ، وإنه قرار يخلو من الرحمة !!.

لقد كذب الإعلام الصهيوني والعالمي على الشعوب بتصويره الأمة العربية بالصورة اللاإنسانية ، في الوقت الذي كانت فيه إسرائيل تقتل آلاف العرب ، وتحتل أرض العرب بوسائل القتل والإبادة المنتجة في مصانع الدول الكبيرة التي يسيرها بترول العرب .

كل هذا وأكثر منه قيل عن العرب وأمة العرب والإسلام المنكوبة في أبنائها ، وأرضها ، وثرواتها ، وحضاراتها العريقة التي قامت حضارة الدول الصناعية الكبرى على فتات موائدها الغنية بالعطاء العلمي ، والفكري ، والأخلاقي .

ونسيا .. ماذا قال الإعلام الصهيوني والعالمي حين اكتسحت إسرائيل بكل طاقتها العسكرية براً وبحراً وجواً أرض لبنان العربي .. لبنان الدولة المستقلة ، وإحدى الدول الأعضاء في الأمم المتحدة .. لبنان : بلد حضارات آلاف السنين لا بضع سنوات .. لبنان الذي علّم العالم كيف يكتب ، ويخترع ، ويحب ، ويعمر ، ويعشق ، ويقول قصائد الغزل ، ويدعو إلى المحبة والسلام والوفاق قبل أن يعرف العالم ظاهرة الحقد والكراهية والفساد التي يرأسها الطاغية المريض (بيجن) ، والسفاح الذي يقتات على جثث الأطفال والعجائز (شارون) ؟ .

ماذا قيل عن إسرائيل حين دمرت مؤسسات لبنان العربي الحضارية .. ودخل جنودها متاحف التاريخ الحضاري فيها فحطموا كل ما يمت إلى الحضارة بصلة .. وأسقطت القنابل الفوسفورية .. والإنشطارية .. والعنقودية .. والفراغية لتحرق وتقتل سكان ورثة الحضارات العريقة أطفالا وشيوخاً ، رجالا ونساء بالجملة على مرأى ومسمع حضارة هذا العصر الذي فقد عقله ، وبعد أن أضيء أمام جنونها وهمجيتها الضوء الأخضر من أدعياء الحضارة الهمجية ؟!!

ماذا قيل عن إسرائيل وهي تغتال استقلال لبنان تحت أقدام جنودها ، وتهدم منازل الأبرياء ، وتنشر الرعب والهلع والجنون ، ومرض الطاعون والجرب ، بين سكان بيروت الغربية الآمنين ؟ .

لم يقل الإعلام الصهيوني والعالمي بعض الحق الذي يجب أن يقال في مواجهة غزو إسرائيل للبنان العربي ، وذبح شعبه ، وتدمير حضارته .. لكنه قال كل الكذب حين مارس العرب بعض حقوقهم في الدفاع عن أنفسهم وأرضهم بمنع ضخ بترولهم عن الدول التي تساعد إسرائيل على قتل العرب ، واحتلال أرض العرب !!.

كل ما قيل عن إسرائيل إنها دخلت لبنان العربي لتؤمن وجودها ، وتطرد «الإرهاب» الفلسطيني العربي على حد زعمهم الذي حرم الحاكم المجرم المريض بالجنون (بيجن) ، وسفاح الأطفال والعجزة (شارون) من الاستمتاع بأحلامهما أثناء نومهما داخل المنازل العربية في فلسطين العربية !!.

العرب ضعفاء .. والضعفاء لا كرامة لهم ولا أمان بين الأقوياء في عصر الغاب الجديد !! والحق ـ في منطق هذا العصر ـ مع صاحب المدفع الكبير .. والله المستعان يا عرب !!

رئيس التحرير



** من خلال هذا «الملف» سوف نحاول رصد الحركة الثقافية من اصدارات جديدة .. وندوات .. ومؤتمرات .. ومعارض .. ومناسبات .. وأحداث ثقافية .. وادبية .. وفنية بصورة نطمح أن تكون مسحا شهريا لمجريات الحركة الثقافية ليس في «الوطن العربي» فحسب ، بل في «العالم» الانساني .

أملنا أن نجد من المؤسسات العلمية .. والتربوية .. والفنية .. الى جانب الأدباء .. والمفكرين كل عون في إمدادنا بالجديد الدائم من النشاطات لتحقيق الأهداف التي تسعى اليها المجلة لخدمة القارىء .. لإضافتها الى ما يزودنا به مندوبونا ، والله الموفق **



- وفاة رئيس مجلس القضاء الأعلى في السعودية .
- أضخم موسوعة عربية مصورة توزع في الرياض .
- خارطة لمكة المكرمة ومشاعر الحج .
- كشوف أثرية جديدة في العراق .
- أخبار عن التراث والاهتمام به في سائر أرجاء الوطن العربي .
- ندوة أدبية عن الشاعر الحاوي ، وأخرى عن القصة المغربية .



- معرض عن الفن الإسلامي في باريس .
- معرض لسلفادور دالي يستمر عامين .
- معارض عن السعودية في كل من النمسا ، وماليزيا .
- معرض للكتاب الإسلامي في لندن .
- وثائق عن الخليج والشرق الأوسط في جامعة اكسترا ببريطانيا .



في الوطن العربي

[illegible]

بهجة المعرفة

ذلك هو اسم موسوعة عربية مصورة قامت بإخراجها وطبعها ونشرها «**دار المختار**» **بجنيف**، وحصلت «**دار الرفاعي**» للنشر والتوزيع بالرياض على امتياز توزيعها، والموسوعة تحتوي على عشرة مجلدات بالطبعة العربية تعد في حد ذاتها مرجعاً في مختلف العلوم الإنسانية. وهي مقسمة إلى مجموعتين:

★ **المجموعة الأولى** تتعلق بالشمس والنجوم والمجرات، والإنسان في الفضاء، والأرض من حيث بنيتها، والحياة وكيف بدأت، والإدارة والآلة.

★ **المجموعة الثانية** عن الإنسان ذاته، ثم عنه وعن مجتمعه وحياته [illegible] مسيرة الحضارة، وهذا الأخير يقع في ثلاثة مجلدات تحتوي على:

★ قصة الحضارة من عصور ما قبل التاريخ حتى ظهور الإسلام.

★ حضارات ما بين النهرين.

★ النيل وفينيقيا.

★ الهند والصين واليابان.

خارطة لمكة المكرمة

رغبة في خدمة حجاج بيت الله قامت مؤسسة تهامة بالتعاون مع **المهندس زكي فارس** وخبراء من أمانة العاصمة، ووزارة المواصلات، ومشروع تطوير منى، ومركز أبحاث الحج بإخراج وإنتاج **أول خارطة من نوعها لمدينة «مكة المكرمة» ومشاعر الحج**، استغرق العمل فيها ستة أشهر، وتعتبر بمثابة الدليل الذي [illegible] الحج [illegible] الطرق بأنواعها المختلفة، وأسمائها، وشبكة الأنفاق للمشاة والسيارات، والمباني

كلمة

الحاجة إلى التعريف بالتراث

قد نرى بين الحين والحين طائفة من الشباب المثقف منبت الصلة بالتراث الثقافي للغتنا العربية، إمّا لكونه قد حُرم الفرصة التعليمية النظامية، أو لم يُوجَّه التوجيه الكافي للتعرف على التراث.

ولم يفت علماءنا الإسهام في هذا المجال، حيث يتم التعريف بالمصادر وتنظيمها وتصنيف موادها تقريباً لأمهات الكتب التراثية حيث تتجمع المادة العلمية في كتب **كالأغاني والأمالي والعقد**.. إلخ، في شكل يجمع بين متنوع هذه المواد قد يصعب فهمه واستساغته والاهتداء إليه في هذا الشكل التجميعي الاستطرادي.

وقد شهد الأدب العربي جهوداً طيبة في هذا المجال يضيق المقام عن حصرها هنا، ونشير إلى طائفة منها على سبيل المثال لا الحصر:

● **فهرس أبجدي لكتابي الأمالي والتنبيه وحواشيها لعبد الجواد الأصمعي** ــ نشر دار الكتب بمصر ــ ١٩٢٦م.

● **فهرس الشواهد الشعرية لكتاب الأمالي للقالي تأليف كرنيكو وبيفان** ــ طبعة بولاق ــ ١٣٢١هـ.

● **فهارس كتاب الكامل في اللغة والأدب والنحو والتصريف لمحمد سيد كيلاني** ــ الحلبي ــ ١٩٥٦م.

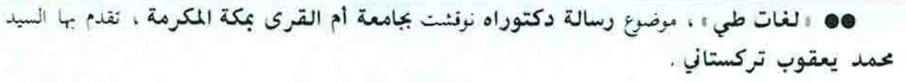
● **فهارس سمط اللآلي والأمثال السائرة لعبد العزيز الميمني** ــ لجنة التأليف ــ ١٩٣٧م.

● **المراجع العربية أو التعريف بالبيان، والفهرست، ويتيمة الدهر، ولسان العرب، ونفح الطيب لعبد الله إسماعيل الصاوي.**

● **مصادر التراث العربي لعمر الدقاق، وتهذيب الأغاني لمحمد الخضري، وتهذيب الكامل للسباعي بيومي.**

وهناك محاولة شهيرة قام بها **كارل بروكلمان** الألماني (١٨٦٨ ــ ١٩٥٦م) في





●● «**لغات طي**»، موضوع **رسالة دكتوراه** نوقشت **بجامعة أم القرى بمكة المكرمة**، تقدم بها السيد **محمد يعقوب تركستاني**.

●● «**البرامج الإخبارية ودورها في التنمية ورفع المستوى الثقافي**»، موضوع **رسالة دكتوراه** نوقشت **بكلية الإعلام** التابعة **لجامعة القاهرة**، تقدم بها السيد **عبد الصمد دسوقي**.

●● «**الفن الحربي المملوكي في عصر دولة سلاطين المماليك البحرية**»، موضوع **رسالة ماجستير** نوقشت **بكلية الآداب بجامعة عين شمس**، تقدم بها **العميد محمود نديم**.

●● «**نظرية السجل اللغوي وتطبيقاتها في إعداد منهج لتدريس اللغة الإنجليزية لضباط الشرطة وفقاً لاحتياجاتهم المهنية والأكاديمية**»، موضوع **رسالة ماجستير** نوقشت **بمصر**، تقدم بها **اللواء السيد محمد أبو مسلم**.

●● «**موقف ابن تيمية من المتكلمين والفلاسفة**»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت **بمعهد الدراسات الإسلامية بالقاهرة**، تقدم بها السيد **راغب الكيالي**.

●● «**حروف الجر بين الألمانية والعربية**»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت **بكلية اللغات والترجمة بجامعة الأزهر**، تقدم بها السيد **محمد أحمد منصور**.

كتابه (**تاريخ الآداب العربية**) ، ترجمة **الدكتور عبد الحليم النجار** ، ثم **الدكتور رمضان عبد التواب** ، إذ يذكر في أعقاب التعريف بالأدب في بيئة ما أسماء المصادر والمراجع فيه وعنه ، ومخطوطاته وما طبع منها ، ثم تلاه كتاب **محمد فؤاد سزكين** (تاريخ التراث العربي) .

ثم قامت دراسات تعرّف بمصادر التراث من ذلك :

النقد المنهجي عند العرب **لمحمد مندور** ، ومناهج التأليف عند العلماء العرب **لمصطفى الشكعة** ، ودراسة في مصادر الأدب **لطاهر مكي** ، والمخطوط العربي منذ نشأته إلى آخر القرن الرابع الهجري **لعبد الستار الحلوجي** .. إلى آخر ما هنالك من جهود طيبة .

وأتوقف عن الحصر ، مشيراً إلى أن جهوداً قيّمة بُذلت في هذا المجال ، وأن هذه الجهود – على ما فيها من صدق وما لها من قيمة – في حاجة إلى جهود لاحقة تبسّط التراث ، وتقرّبه ، وتجعله في متناول عامة المثقفين لا خاصتهم ، إذ نجد الاهتمام بالتراث يكاد ينحصر في خاصة المثقفين ، وفي بعض المتخصصين .

وليت جامعاتنا العربية تتخذ قراراً بجعل أطروحة الماجستير دائماً حول التراث ، ليدفع الباحث ضريبة البحث في التراث قبل أن تتاح له دراسة درجة الدكتوراه .

وقد تنبّه القدماء إلى أهمية المصادر فأولوها كثيراً من اهتمامهم ، فعنوا بالفهرسة ، وسمّوها مشيخة أو معجماً ذكروا فيها أسماء شيوخهم وما قرؤوه من كتب عليهم ، وما رووه عنهم أو سمعوه منهم مثل :

[illegible] **الإشبيلي** ، وإحصاء العلوم **لأبي نصر الفارابي** ، [illegible] الأنساب والملوك والأمراء والحكام والشعراء وهي جمة .

وحين يرد ذكر **مكتبات نينوى** ، **والإسكندرية** ، **والمكتبات الإسلامية** في العصور الوسطى ، **ومكتبات الأديرة والمتاحف** .. إلخ ، تبدو صورة الاهتمام الفكري بالتراث .

ولعل على رأس اهتمام القدماء بالتراث وحفظه ورصده ما يمكن أن نشير إلى بعضه :

● الفهرست لابن النديم : أو فهرس العلوم **لمحمد بن إسحق بن النديم** ذلك الورّاق البغدادي ، وهو أشهر ما يذكر في هذا الشأن ، إذ حصر كتب العلوم ، وتصانيف اليونان والفرس والهند التي كتبت بلغة العرب ، وكان قد احترف الكتابة والوراقة كأبيه .

وقد قسّم كتابه إلى عشرة مقالات في عشرة من جوانب الثقافة الإسلامية هي : اللغات ، والكتب المقدسة وعلوم القرآن ، والنحو واللغة ، والأخبار والأنساب ، والشعر ، والكلام ، والفقه والحديث ، والفلسفة ، والعلوم القديمة ، والأسمار ، والمذاهب والاعتقادات ، والكيمياء .

وفي كل مقال يذكر الفنون وكتبها وأخبار مؤلفيها على اختلاف طبقاتهم .

● وهناك **كتاب كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لمصطفى ابن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني** ، وهذا الكتاب أشهر كتبه التي زادت عن عشرين كتاباً ، وقد قضى في تأليفه نحو عشرين عاماً وضم حوالي ١٥,٠٠٠ كتاب مع أحوال مؤلفيها .

● وهناك **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون لإسماعيل بن محمد أمين البغدادي** ، وله أيضاً (هداية العارفين إلى أسماء المؤلفين وآثار المصنفين) .

ولسنا في مقام حصر تلك الأعمال الجليلة التي حفظت لنا أسماء كتب تراثنا ، ونودّ أن نقول في هذا المقام ، إن علم «**الببليوجرافيا**» قد نما في البلاد العربية نمواً ملحوظاً في السنوات الأخيرة على يد متخصصين [illegible] هم هنا ، وأتقدم إليهم في الوقت نفسه بأمل تضافر جهودهم من أجل (**ببليوجرافية تراثية**) شاملة تفيد من جهود ابن النديم وغيره من السلف ، وتفيد من علمهم المتطور وما اهتدوا إليه من دراساتهم ورحلاتهم إلى **مراكز (الميكروفيلم)** ، والمخطوطات في جميع أنحاء العالم المعاصر .

د . يوسف نوفل
جامعة الرياض

●● «**لغات قيس**» ، موضوع **رسالة دكتوراه** نوقشت **بقاعة المحاضرات الكبرى بجامعة أم القرى بمكة المكرمة** ، تقدم بها السيد **محمد أحمد العمري** .

●● «**الهجاء في الشعر العربي في العراق** – من بداية القرن الرابع الهجري إلى منتصف القرن السابع الهجري» ، موضوع **رسالة دكتوراه** نوقشت **بكلية الآداب بجامعة القاهرة** ، تقدم بها السيد **شفيق محمد إبراهيم** .

●● «**العقاد .. فيلسوفاً**» ، موضوع **رسالة ماجستير** نوقشت **بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر** ، تقدم بها السيد **أحمد عبد الرحيم السايح** .

●● «**الإفلاس وأثره في تصرفات المدين** – دراسة مقارنة في الفقه الإسلامي» ، موضوع **رسالة دكتوراه** نوقشت **بقاعة المحاضرات الكبرى بجامعة أم القرى بمكة المكرمة** ، تقدم بها السيد **محمد سعيد الحارثي** .

●● «**المرويات اليمنية في الأدب العربي ، حتى نهاية القرن الثاني الهجري**» ، موضوع **رسالة ماجستير** نوقشت **في جامعة حلب في سورية** ، تقدمت بها الطالبة **فاطمة علوي عمر طه الصافي** ونالت عليها **درجة امتياز** .

الحكومية والعامة ، والأحياء وأسمائها ، الفنادق والبنوك ، المستشفيات والمراكز الطبية ، المدارس ، مواقف السيارات متعددة الأدوار ، إلى غير ذلك مما يهم حاج بيت الله الحرام .

مجلة جديدة للأطفال

رغبة في توسيع مدارك الطفل وثقافته صدرت **مجلة خاصة بالأطفال تحمل اسم «الشبل»** ، صاحبها ورئيس تحريرها **السيد عبد الرحمن**



الحركة الثقافية في الوطن العربي



★ عبد الرحمن الرويشد ★

الرويشد ، صدر عدد الصفر من المجلة في نهاية شهر شوال عام ١٤٠٢ هـ ، محتوياً على موضوعات شيقة تهم الطفل ، خاصة أنه قد روعي في الخطوط العامة للمجلة من خلال عددها التجريبي ما يخدم أهداف التربية الإسلامية .

معارض فنية

أقيم في **الرياض** معرض للفنانين التشكيليين السعوديين **فهد الربيق ، وعثمان الخزيم ، وسعد العبيد ، وناصر الموسى** . احتوى المعرض على أعمال هؤلاء الفنيين على اختلاف مدارسهم الفنية .. وذلك في **« صالة عرض الرياض الجديدة »** .

كما أقيم معرض جماعي في **مدينة الخبر** لفناني وفنانات المنطقة الشرقية استمر أسبوعاً ، وضم (٥٠) لوحة .

وفي **الأحساء** أقيم معرض **خاص برسومات الأطفال** على مستوى أندية المملكة تحت إشراف **(نادي الجيل)** ، شارك فيه مجموعة من **طلبة المدارس الابتدائية** بأكثر من **(٣٠٠) عمل فني** منها لوحات ، ورسومات بالألوان المائية والزيتية ، وأعمال يدوية ، وقد استمر المعرض خمسة عشر يوماً .

* كتب جديدة *

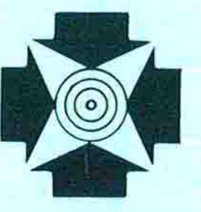
● **« لمحات من تاريخ عسير القديم »** ، تأليف **الدكتور سيد أحمد يونس** ، صدر عن **نادي أبها الأدبي** ضمن سلسلة **« ألوان ثقافية »** .



★ د. عبد الله الحامد ★

● **« دراسات في الشعر المعاصر في المملكة العربية السعودية »** ، تأليف **الدكتور عبد الله الحامد** ، صدر في **الرياض ـ طبع بمطابع حنيفة للأوفست** .

● **« طلب العلم وطبقات المتعلمين ـ أو أدب الطلب ومنتهى الأدب »** ، **تصنيف** الإمام الفقيه والمحدث **محمد بن**



في دائرة الضوء

● **الكتاب : المسلمون في بلاد السوفيات .**

● **الناشر : سوي ـ باريس .**

● **المؤلف : فانسان مونتوي .**

الأستاذ مونتوي من كبار المستشرقين الفرنسيين العارفين بتاريخ البلاد الإسلامية وأحوالها في هذا العصر . زار أكثرها في الشرق الأقصى إلى المغرب العربي ، واطلع على تفاصيل حياتها ، ودرس العربية حتى إنه **يفضل أن يسمى « مستعرباً » لا « مستشرقاً »** .

و **« فانسان »** بالفرنسية تعني الظافر المنصور . لذلك **اختار لنفسه اسم المنصور بالله الشافعي حين أعلن إسلامه في موريتانيا منذ أربعة أعوام** . وإذا سئل عن سبب اختياره **للمذهب الشافعي** في الإسلام أجاب بأنه كبقية المذاهب يعتمد في فقهه على القرآن الكريم والحديث الشريف والقياس والإجماع ويزيد عليها الحدس أو (الذوق) كما ذكر لنا . وقد ذهب للعمرة منذ سنتين بدعوة من **رابطة العالم الإسلامي** .

للأخ المنصور بالله مؤلفات عدة منها : الإبل في الصحراء الغربية ، واللغة الفارسية المعاصرة ، وحولية العالم الإسلامي لعام ١٩٥٥ م ، (وكان يصدر هذه الحولية المستشرق الكبير لويس ماسنيون) ومؤلف عن إيران عام ١٩٥٧ م ، وعن العرب (في العام نفسه) ، ومختارات من الشعر الإسباني المعاصر (مع ترجمة للفرنسية) واللغة العربية المعاصرة ، ومختارات من الشعر العربي المعاصر (مع ترجمة للفرنسية) ، ومؤلف عن المغرب ، وآخر عن العالم الإسلامي ، وثالث عن الإسلام في إفريقيا ، ودراسة جيدة لمقدمة ابن خلدون ، ومختصر لتاريخ إفريقيا ، وكتاب عن رحلات ابن بطوطة (ولعل الأستاذ المنصور بالله هو ابن بطوطة هذا العصر) . ومن مؤلفاته أيضاً رباعيات الخيام ، وأندونيسيا ، والفكر العربي (وقد صدر عام ١٩٧٧ م) والإرهاب في إسرائيل (عام ١٩٧٨ م) ومنتخبات من شعر أبي نواس (عام ١٩٧٩ م) .

أما دراساته للمسلمين في الاتحاد السوفياتي فقد بدأت في عام ١٩٥٣ م ؛ وخرج المؤلف الثاني عام ١٩٥٧ م ، وقدمه المؤلف **للجنرال شارل ديجول** الذي قرأه باهتمام وتمعن ، وكتب إليه شاكراً مقدراً في رسالة جاء في آخرها : **يكشف كتابك للقارئ عالماً يكاد يكون مجهولا ، لدى الناس ، ويُري أن الأمور والمشكلات في العالم الإسلامي متماسكة مترابطة متجاوبة ، وأن مصير الإسلام هو قضية القضايا في العالم** .

والطبعة الأخيرة التي نتحدث عنها ظهرت منذ ثلاثة أشهر ، أي بعد ربع قرن من ظهور الطبعة التي قرأها الجنرال ديجول .. والطبعة الجديدة عرض تاريخي لتغلغل الإسلام في روسيا وفي آسيا الوسطى ، ووصف لأحوال المسلمين في هذه البلاد قبل قيام اتحاد الجمهوريات السوفياتية وبعده . وهي ترى أن معاملة المسلمين في روسيا والمجتمعات

علي الشوكاني المتوفي سنة ١٢٥٠ هـ ، صدر عن مكتبة الباز بمكة المكرمة ، بالتعاون مع دار الكتب العلمية في بيروت .

● « لمحات عن حياة الربيع » ، تأليف محمد صالح البليهشي ، صدر عن نادي المدينة المنورة الأدبي .

● « رباعيات إلياس قنصل » ، صدر عن دار الرفاعي للنشر بالرياض .

● « رعب على ضفاف بحيرة جنيف » ، تأليف شكيب الأموي ، صدر عن تهامة ، ضمن سلسلة « مطبوعات تهامة » .

● « الحب والغزل في الشعر السعودي المعاصر » ، تأليف محمود رداوي ، صدر عن دار الوطن للنشر والطباعة بالرياض .



★ د. أسامة عبدالرحمن ★

● « البيروقراطية النفطية ومعضلة التنمية » ، تأليف الدكتور أسامة عبد الرحمن ، صدر في الرياض .

● « النظرة التربوية الإسلامية ، ومفهوم الفكر التربوي الغربي » ، تأليف آمال حمزة المرزوقي ، صدر عن تهامة ، ضمن سلسلة « رسائل جامعية » .

● « محاضرات الموسم الثقافي الأول ١٤٠١ هـ » ، صدر عن مكتب التربية العربي لدول الخليج بالرياض .

● « قضية تحديد النسل في الشريعة الإسلامية » ، تأليف أم كلثوم يحيى مصطفى الخطيب ، صدر عن الدار السعودية للنشر بجدة .

● « الدماميني .. حياته وآثاره ومنهجه في كتابه تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد » ، تأليف الدكتور محمد بن عبد الرحمن بن محمد المفدى ، صدر عن الجمعية السعودية للثقافة والفنون بالرياض .

● « تذكرة الموضوعات » للعلامة الحافظ أبي الفضل محمد بن طاهر بن أحمد المقدسي ، تحقيق مصطفى الحدري الحبطي ، صدر عن مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة بمكة المكرمة .

● « دليل المنظمات والهيئات الخليجية المشتركة » ، صدر عن مكتب التربية العربي لدول الخليج بالرياض .

● « بنو تميم في بلاد الجبلين ــ منطقة حايل » ، تأليف عبد الله علي بن صقية ، صدر عن دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر .



الإسلامية في الجمهوريات السوفياتية متطورة مع تطور النظام في الاتحاد السوفياتي . كان هذا النظام فدرالياً في بادئ الأمر وكانت الجمهوريات الإسلامية لا تعاني وطأة النظام المركزي . فلما تطور الحكم إلى نظام شديد المركزية وفُرضت اللغة والثقافة الروسية فرضاً على الجميع وطبعت النظريات الشيوعية في البلاد الإسلامية عاش المسلمون في معاناة شديدة : فُرض عليهم الإلحاد ، وأغلقت المعابد والمدارس الإسلامية وأجبرت النساء على طراز من العيش واللباس لم تألفه تقاليد المسلمين .

وقد رجا المسلمون الخير والأمل حين أعلن دستور عام ١٩٧٧ م ، وجاءت فيه المادة الرابعة والثلاثون التي تعلن تساوي المواطنين في الاتحاد السوفياتي أمام القانون دون تفريق في الأصل أو الطبقة الاجتماعية أو الطبقة الاقتصادية ، ودون تفريق بين العروق والأجناس والأديان .

وفي الدستور أيضاً المادة السادسة والثلاثون التي تنص على عقاب كل من يحد هذه الحقوق أو يضيق مجالات تنفيذها ، وكل من يقوم بدعايات الغاية منها التمييز العنصري أو الاجتماعي أو التفضيل بين القوميات التي يضمها الاتحاد السوفياتي .

لكن الشروح والتعليقات التي رافقت إعلان دستور عام ١٩٧٧ م ، محت كثيراً من آمال المسلمين . مثال ذلك الشرح المرافق للمادة الرابعة والثلاثين (الآنفة الذكر) الذي يشير إلى أن التساوي أمام القانون لا يعني الحرية البرجوازية القديمة وإنما التساوي في مجتمع يشترك فيه كل الناس بالعمل والإنتاج إلخ . . .

يخرج الدارس لموقف السلطات السوفياتية من الإسلام بالنتائج التالية :

أ ــ حقوق المسلمين في الاتحاد السوفياتي مشابهة قانونياً لحقوق سائر المواطنين .

ب ــ عند التنفيذ . تفسر النصوص القانونية تفسيراً يرضي المسلمين حين يقتضي الأمر ، ولا سيما حين يكون الموضوع مبعث اهتمام الدول الإسلامية الكبرى .

جـ ــ أما إذا كان الموضوع من الأمور التي يصعب مراقبتها من خارج الاتحاد السوفياتي ، فإن تطبيق القوانين يتجه في الغالب وجهة النظام الشيوعي بمعاداته للأديان كل الأديان وإيمانه بالعلم الوضعي والإلحاد .

من أظهر فصول الكتاب (التي لا يجدها القارئ غالباً في الكتب الأخرى) فصول خاصة بالشعوب الإسلامية في آسيا الوسطى مع تفاصيل حية وإحصاءات دقيقة ، وفصل عن الإسلام في الصين وتأثره بما يحل بالمسلمين في الاتحاد السوفياتي ، وفصل عن تأثير الثورة الإيرانية وجهاد الثوار الأفغان في نفوس المسلمين في الجمهوريات الإسلامية السوفياتية .

ليس من السهل القيام بالدراسة التي قام بها الأستاذ فانسان مونتوي (أبي المنصور بالله الشافعي) فهي من أصعب الدراسات وأدقها ؛ تتناول شعوباً كثيرة غنية الثقافة ، حريصة على هويتها الدينية وشخصيتها القومية لكنها لم تستطع إسماع صوتها للرأي العام العالمي إلا في النادر لبعد الدار ، وصعوبة اللغات ، وتدخل السياسات . ورغم أن الكتاب مشحون بالموضوعات السياسية استطاع الأستاذ المؤلف أن يقف منها جميعاً موقف الحياد ، بقدرة فائقة ؛ فنهنئه على هذه الدراسة القيّمة الغزيرة بالمعلومات التي تهم جميع المسلمين ، وتزيدهم وعياً بأحوال البلاد الإسلامية في هذا العصر ، والله الموفق والهادي .

قسم البحوث في مكتب رابطة العالم الإسلامي في باريس





في الوطن العربي

المغرب :

ندوة عن القصة المغربية

عقدت في (طنجة) خلال الثلاثة الأيام الأولى من شهر أغسطس عام ١٩٨٢ م ، **ندوة حول «القصة المغربية القصيرة»** وذلك تحت إشراف وتنظيم **اتحاد الكتّاب المغربيين** ، دارت الندوة حول ثلاثة محاور هي :

★ صورة الواقع ، ومفهوم الواقعية .

★ مستويات الكتابة .

★ مظاهر التطور في الأقصوصة المغربية المعاصرة .

جائزة للمخطوطات

اهتماماً بالمخطوطات ، ورغبة في اقتنائها داخل المكتبات لكي تتم الاستفادة منها ، أعلنت **وزارة الشؤون الثقافية في المملكة المغربية** عن جائزتها الرابعة عشرة للمخطوطات والوثائق داخل البلاد «**جائزة الحسن الثاني للمخطوطات والوثائق لعام ١٩٨٢ م**» وهذا الإعلان يُعدُّ دعوة للمواطنين لتقديم ما لديهم من وثائق ومخطوطات إلى الوزارة لتصويرها ومن ثم حفظها ، مما يذكر بأن الأصول تتم إعادتها إلى أصحابها بعد تقديم مكافأة مالية تتصاعد حسب أهمية المخطوط أو الوثيقة .

* كتب جديدة *

● «**دراسات جديدة في الفنون الإسلامية والنقوش العربية في المغرب الأقصى**» ، تأليف **الدكتور عثمان عثمان إسماعيل** ، صدر عن **دار الثقافة للنشر بالدار البيضاء** .



سورية :

ندوة أدبية عن الحاوي

عقدت بدمشق في قاعة

نافذة

أدب الأطفال الصهيوني

وعت الحركة الصهيونية منذ القديم دور الأديب الصهيوني في تعبئة الفرد الصهيوني للإرهاب فزجت به في ساحة المعركة قبل الجندي المرتزق كما يقول **الكاتب الفلسطيني غسان كنفاني** : «إذا كانت الصهيونية السياسية نتاجاً للتعصب والعرقية فقد كانت الصهيونية الأدبية هي أولى إرهاصات ذلك التعصب . . . قاتلت الصهيونية بسلاح الأدب قتالا لا يوازيه إلا قتالها بالسلاح السياسي . . .» .

مهمة أدب الأطفال

لقد جند الكيان الصهيوني دور النشر وشركات الدعاية والإعلان والتوزيع في سبيل خدمة الأدباء الذين يكتبون للأطفال حتى أن كتب الأطفال أعفيت من الرقابة على عكس جميع المنشورات داخل الكيان الصهيوني . . . فتنوعت هذه الكتب فمنها ما كتب للأطفال خارج الكيان الصهيوني ، ومنها ما كتب للأطفال الصهاينة داخل الأرض المحتلة وكانت تهدف هذه الكتب الأخيرة إلى :

● **أولا** : تعبئة الطفل الصهيوني بالحقد والكراهية للعرب .

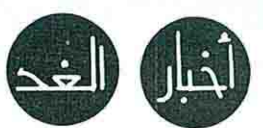
فالشاعر الصهيوني **يوري إيفانز** يحاول من خلال قصيدته «الأميرة والقمر» تغذية وشحن مشاعر الطفل الصهيوني بروح العداء للعرب واتهامهم بالسرقة ، فهم قد سرقوا القمر الذي هو بطبيعة الحال حلم كل طفل .

قالت الصغيرة لي :

من الذي سرق القمر

قلت

العرب




متحف الأخدود

●● **اهتماماً بمدينة الأخدود** تلك المدينة التي تعد من الآثار التاريخية في المملكة العربية السعودية فقد قررت «**إدارة الآثار بوزارة المعارف**» صيانة وحماية المواقع الأثرية بتلك المدينة التي تقع في الجنوب الشرقي من المملكة ، كما تقرر **إقامة متحف أثري واستراحة للزوار داخل المدينة** ، إضافة إلى مشروع آخر يهدف إلى تسوير المدينة بنموذج متميز .

* كتب جديدة *

● «**رسائل صوتية إلى الحبيبة الغافية**» ، **مجموعة قصائد لعبد العزيز مشري** ، سوف تصدر قريباً .

● «**كتاب الروايتين والوجهين**» ، **للقاضي أبي يعلى المتوفي سنة ٤٥٨ هـ** ، تحقيق **الدكتور عبد الكريم محمد اللاحم** ، سيصدر عن **جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض** .

كما **ستصدر الكتب التالية** عن **دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر** :

★ «**الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحج ومكة المعظمة**» ، **للشيخ عبد القادر الجزائري (٩١١ ـ ٩٧٧ هـ)** .

قالت

ماذا يفعلون به

قلت

يعلقونه للزينة على جدران بيوتهم .

وتحاول الكاتبة الصهيونية « **يائيل دايان** » من خلال قصتها (ولدان للموت) أن تزرع في نفس الطفل الصهيوني أن القتال والإرهاب هما الوسيلة الوحيدة المتاحة أمام الصهيوني للعيش : « البندقية كانت البوصلة الهادية وستظل . . . » .

● **ثانياً** : تمجيد كل ما هو صهيوني والمبالغة في وصف البطولة الصهيونية . . .

فالقارئ لما يسمى بأدب الأطفال الصهيوني يروعه أنه لا يجد نقطة ضعف واحدة لدى الشخصيات الصهيونية الرئيسية منها أو الثانوية فهم دائماً الأبطال الذين لا يقهرون ويستطيعون فعل المعجزات الخارقة . . . لقد كانت كتب الأطفال الشعر والقصة أقرب إلى الأساطير والخرافات منها إلى الواقع ، لقد مجد الأديب الصهيوني (**شراجا أفافني**) بطولة الطفل الصهيوني من خلال قصصه التي تغزو كل منزل في الكيان الصهيوني ، لقد ابتدع لقصصه شخصية طفل لا يقهر وأطلق عليه اسم (**داندين**) وهذا الطفل أشبه ما يكون بالرجل الخفي الذي يستطيع أن يظهر ويختفي كيفما شاء وكلما دعت الحاجة لذلك ، فمن خلال أحداث قصته (داندين في مهمة) يمجد بطولة الفرد الصهيوني الذي لا يقهر ، وبالمقابل فإن الجندي العربي من خلال قصص (شراجا) هو جندي حقير يعيش على الخرافات والأساطير بالإضافة لكونه جباناً إلى أبعد الدرجات . . .

لقد أراد ــ شراجا ــ من خلال كتاباته للأطفال أن ينشئ جيلاً حاقداً على العرب متعصباً للصهيونية الإرهابية فيقول في إحدى المقابلات الصحفية : « حين تكون إسرائيلياً ، يجب أن تتحمل مسؤولية عظيمة ، فنحن شعب الأنبياء ، ويجب على الطفل أن يكون بطل القصة تماماً . . . » .

وتذهب الروائية ــ **وشازايل** ــ خلال قصتها للأطفال « **العالم السحري** » إلى تمجيد البطولة الصهيونية أكثر مما فعل (شراجا) حين جعلت بطل قصتها طفلاً لا يتجاوز الثامنة من عمره مدرباً على جميع أساليب القتل والإرهاب التي يطبقها ببطولة نادرة ضد الأعداء ــ العرب ــ وبذلك تنسجم هذه الكاتبة في كتاباتها مع عصمة البطل اليهودي المستمدة من الحركة الصهيونية وتعاليم التلمود . .

أما الكاتب الصهيوني (**هازي لابين**) فإنه تعهد أن يدخل إلى ذهن الطفل الصهيوني الجريمة على أنها فضيلة ، فقتل الإنسان العربي واجب على الصهيوني .

سوف نهاجم

الأعداء

خلال الظلام بكل قوة

لأنــــه

لا يوجد لدينا لذة

غير لذة الجريمة .

وهازي هذا يعتبر مهمته كشاعر لا تختلف أبداً عن مهمة أي منظر في أية منظمة إرهابية صهيونية : « هذه هي عصابتي ، وأنا مؤمن أن الحياة لا تسير بهدوء ليست القضية هي قضية أي سلاح نستعمل فالمسدس والسكينة وحتى قبضات أيدينا هذه الأشياء كلها سوف تأخذ دورها في المعركة . . . ؟ » .

إشارة لا بد منها

في كثير من الأحيان يكون الجندي المرتزق في الكيان الصهيوني هو نفسه الأديب الإرهابي الذي أخذ على عاتقه تعبئة الفرد الصهيوني ليكون الإرهاب والعداء للعرب من الأمور المسلّم بها لديه ، فالأديب (هازي لابين) مثلاً يعتبر من العناصر الرئيسية في **المنظمة الإرهابية البالماخ** . وقد شارك في عمليات الإرهاب ضد المواطنين العرب خلال عام ١٩٤٨ م ، وحين أنشأ الكيان الصهيوني قسم الشؤون العربية عهد إليه مهمة تجنيد الجواسيس ، واستقصاء الأخبار من البلاد العربية ، وكذلك الحال بالنسبة للشاعر (شراجا) حيث يعتبر من العناصر الإرهابية الفعالة في **منظمة شيترن** . .

هذه هي مهمة الذين يكتبون للأطفال الصهاينة ، اختراع البطولات الخارقة للطفل الصهيوني وشحن هؤلاء الأطفال بالعداء للعرب . . .

شمس الدين العجلاني

دمشق ــ سورية

المراجع

● الأدب الصهيوني بين حربين . دكتور إبراهيم البحراوي .

● في الأدب الصهيوني . الشهيد غسان كنفاني .

● مجلة الأقلام (حزيران ١٩٧٩ م) .

● إذاعة العدو الصهيوني . برنامج نافذة على الأدب العربي .

★ « **الجزء الأول من كتاب « الدُرُّ الكمين في ذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين » ، للمؤرخ المكي ابن فهد .**

★ « **إتحاف فضلاء الزمن في تاريخ ولاة مكة المكرمة** » .

حقق النصوص في هذه الآثار الثلاثة وقدم لها وعلق عليها وأعدها للنشر **الأستاذ حمد الجاسر** .

دليل عن حضارة بابل

●● **ستصدر المؤسسة العامة للآثار والتراث في بغداد** كتاباً عنوانه « **بابل** » سوف يحتوي على معلومات ثقافية قيّمة عن **حضارة بابل** وآثارها ، ومظاهر تلك الحضارة الباقية ، **الكتاب سيصدر بخمس لغات هي (العربية ، الفرنسية ، الإنجليزية ، الإسبانية ، الألمانية)** كما ستقوم المؤسسة **بطبع مائة ألف نسخة من كتاب آخر عنوانه (عجائب الدنيا في عمارة بابل)** .

معرض عالمي لرسوم الأطفال

●● سيقام **في مطلع العام القادم ١٩٨٣ م ، معرض الطفولة العالمي الثاني** وذلك بمدينة (**كاناغوا) اليابانية** ، ويهدف المعرض الذي يعتبر احتفالاً عالمياً إلى الاهتمام بفنون الأطفال ، وإلى زيادة الفهم المشترك لحياة وحضارات شعوب العالم ، واستيعاب أحلام الصغار من خلال رسومهم . الجدير بالذكر أن المعرض يقام كل سنتين حيث أقيم المعرض الأول عام ١٩٨١ م ، شارك فيه أطفال



المحاضرات بالمركز الثقافي العربي **ندوة أدبية عن الشاعر اللبناني الراحل «خليل حاوي»** دار فيها حوار مفتوح حول حياته وشعره، شارك في الندوة كل من الشعراء: **أحمد يوسف داود، شوقي بغدادي، أحمد صبور، علي كنعان**، بالإضافة إلى عدد من المهتمين بشؤون الأدب. ومن أبرز النقاط التي نوقشت:

★ خليل الحاوي والهروب من المدينة إلى اللامكان.

★ موقفه من شعر التكسب.

★ موقفه من الألوان.

★ الصورة والرمز والموروث الشعبي في شعره.

بالإضافة إلى عدة نقاط أخرى تتعلق بالشاعر وأعماله.

معرض للمخطوطات المطبوعة

أقامت **وزارة الثقافة والإرشاد السورية** بالتعاون مع **«السفارة النمساوية بدمشق» معرضاً للمخطوطات المطبوعة** حيث تضمن مجموعة مختارة من المخطوطات التي تماثل الأصول بصورة تامة. أقيم المعرض في **المركز الثقافي العربي بمدينة دمشق**، وشارك فيه كل من **مجمع اللغة العربية بدمشق، والمكتبة الظاهرية**، وعدد من دور النشر المحلية والمؤسسات العلمية.

مخطوطات جديدة

[illegible]

يمثلون (٦٥) دولة تتراوح أعمارهم بين ٤ ـ ١٥ سنة من بينهم عدد من الأطفال العرب.

علاقة العربية باللغات الإفريقية

●● **تعتزم المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم** التابعة **لجامعة الدول العربية إقامة ندوة عالمية في (داكار)** وذلك في أوائل العام الميلادي المقبل ١٩٨٣م، **بهدف بحث علاقة اللغة العربية باللغات الإفريقية**، سيدعى لها وفود من الجامعات العربية والإسلامية والعالمية، ومجامع اللغة العربية، ومكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي، ومعاهد تعليم العربية لغير الناطقين بها، وعدد من المشتغلين بالدراسات اللغوية المقارنة لتاريخ القديم.

سوريا:

* كتب جديدة *

● «**الأوباش**»، **رواية** تأليف **أحمد يوسف داود**، صدرت عن **وزارة الثقافة السورية**.

● «**المرصاد**»، **مجموعة قصصية** تأليف **حسين كيالي**، صدرت عن **وزارة الثقافة**.

تونس:

تاريخ الولايات العربية في العهد العثماني

عقد في تونس بدعوة من **الجامعة التونسية المؤتمر الخامس للجنة العالمية للدراسات المتعلقة بما قبل العهد العثماني والفترة العثمانية**، حيث يدرس «تاريخ الولايات العربية في العهد العثماني»، وقد دعي إليه عدد من الأساتذة في مختلف الجامعات، نوقشت فيه أمور عديدة، وألقيت أبحاث مختلفة لها علاقة بالموضوع الذي عقد المؤتمر من أجله، استمر المؤتمر ستة أيام.

* كتب جديدة *

● «**نحو نقد أدبي معاصر**»، تأليف **الدكتور عيسى الناعوري**، صدر عن **الدار العربية للكتاب بتونس**.

● «**مشكلات المرأة العربية في التعليم والعمل**»، **دراسة** تام بإعدادها **الدكتور حسن محمود**، صدرت عن **وحدة البحوث التربوية** التابعة **للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم**.

لبنان:

* كتب جديدة *

● «**كلام في زمن الصمت**»، تأليف **سامي زبارة**، صدر في **بيروت**.

● «**الحياة العربية في الشعر الجاهلي**»، تأليف **الدكتور أحمد محمد الحوفي**، صدر عن **دار القلم في بيروت**.

● «**الأخطل الصغير ـ حياته وشعره**»، تأليف **الدكتور مفيد قميحة**، صدر عن **دار الآفاق الجديدة**.

● «**الأدب والغرابة**: دراسات بنيوية في الأدب العربي»، تأليف **عبد الفتاح كيليطو**، صدر عن **دار الطليعة ببيروت**.

● «**ابن بطوطة ومنهجه السياحي**»، تأليف **الدكتور محمد جاد البلاني**، صدر عن **دار بعلبك للنشر**.

● «**معجم الألفاظ المثناة**»، إعداد **شريف يحيى الأمين**، صدر عن **دار العلم للملايين**.

● «**تاريخ الفلسفة العربية**»، تأليف **حنا الفاخوري، والدكتور خليل الجر**، صدر عن **دار الجيل للطباعة والنشر**.

● «**القرآن وعلم النفس**»، تأليف **الدكتور محمد عثمان نجاتي**، صدر عن **دار الشروق ببيروت**.

● «**الملكية والنخبة السياسية في المغرب**»، تأليف **جون واتربوري**، ترجمة **ماجد**

نعمة وعبود عطية، صدر عن دار الوحدة **ببيروت**.

● «**كتاب الكفاية في الطب** ـ أو كفاية الطبيب فيما صح لدي من التجارب»، **لأبي الحسن علي بن رضوان ابن علي بن جعفر، تحقيق الدكتور سليمان قطاية**، صدر عن **دار الطليعة ببيروت**.

مصر :

جائزة إحياء التراث

فاز الدكتور «عبد المجيد قطامش» بالجائزة الأولى لأحسن كتاب محقق في التراث اللغوي لهذا العام ١٩٨٢ م، وذلك على تحقيقه لكتاب «**الأمثال**» لأبي عبيد القاسم بن سلام، المعروف أن مسابقة إحياء التراث ينظمها **مجمع اللغة العربية بالقاهرة** كل عام، ويشترط أن يكون العمل المحقق في متن اللغة العربية، أو في أحد علومها الأدبية (شعراً أو نثراً).

* كتب جديدة *

● «**الإنسان والنسيان**»، **رواية**، تأليف **السيد إبراهيم**، صدرت عن **دار الصفا بالقاهرة**.

● «**حكايات في الزمن الجريح**»، **مجموعة قصصية** للقاص **يوسف القعيد**، صدرت عن **دار الثقافة الجديدة بالقاهرة**.

● «**الباقي من الزمن ساعة**»، **رواية** تأليف **نجيب محفوظ**، صدرت عن **مكتبة مصر بالقاهرة**.

● «**أصداء وأصداء**»، تأليف **محمد إبراهيم أبو سنة**، صدر عن **الهيئة العامة للكتاب** ضمن سلسلة «**المكتبة الثقافية**».

● «**اقتلها**»، **مجموعة قصصية** للدكتور **يوسف إدريس**، صدرت في **القاهرة**.

● «**كيف تعتمر وتحج**»، تأليف **الشيخ عبد العزيز محمد عيسى**، صدر في **القاهرة**.

العراق :

كشف أثري في سامراء

اكتشف في ضواحي مدينة (سامراء) الأثرية التي تبعد ١٠٠ كيلومتراً شمال بغداد **قصر كبير** يضم مجموعة من الزخارف غير المعروفة سابقاً، كما يضم نماذج من زخارف سامراء الجصيّة، وتوجد فيه ساحة كبيرة تمتاز بطلعات ودخلات معمارية على طول الجدران الداخلية لها، تغطيها زخارف تدل على مهارة صانعيها في عصر هذا القصر.

كشف أثري

اكتشفت بعثة الآثار والتراث العراقية مجموعة كبيرة من القبور المنحوتة من الصخر وذلك **على حافة نهر الفرات**، في حدود المنطقة التي ستغمرها مياه «**سد حديثة**» الذي يجري تنفيذه الآن، وجدت تلك القبور مصممة على شكل كهف حوضي له فتحة من الأعلى داخل منحنيات مقوسة، وداخل كل قوس منها تابوت حجري فيه وسادة منحوتة من الصخر وحافة عليا تغطيه قطعة حجرية كبيرة.

* كتب جديدة *

● «**دراسة الموسيق وتحليل المقامات**»، تأليف

وفاة الشيخ ابن حميد

انتقل إلى رحمة الله تعالى **سماحة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد رئيس مجلس القضاء الأعلى في المملكة العربية السعودية** وذلك يوم الخميس الموافق ٢١ من شهر ذي القعدة عام **١٤٠٢ هـ**، عن عمر يناهز الثالثة والسبعين، فقد ولد رحمه الله في الرياض عام **١٣٢٩ هـ**، وحفظ القرآن الكريم وهو صغير السن، وتلقى مبادئ التعليم على يد المشائخ أمثال **حميد بن فارس وصالح بن عبد العزيز آل الشيخ** وغيرهما، ثم لازم المرحوم **الشيخ محمد بن إبراهيم** مفتي الديار السعودية سابقاً ورئيس قضائها، فدرس على يديه مختلف العلوم في الفقه والحديث واللغة، أما من الناحية العملية فقد تولى رحمه الله عدة مناصب. ففي شهر محرم عام ١٣٥٧ هـ، عيّنه **جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله قاضياً في الرياض** وفي عام ١٣٦٠ هـ، عيّن **قاضياً في سدير**، وفي عام ١٣٦٣ هـ، **نقل إلى قضاء مقاطعة القصيم**، وفي عام ١٣٧٢ هـ، **انتدبه جلالة الملك عبد العزيز للنظر في القضايا المختلفة في كل من محاكم مكة المكرمة، والطائف، وجدة، والمدينة المنورة**، وفي عام ١٣٨٤ هـ، حين **تأسست الرئاسة العامة للإشراف الديني** على المسجد الحرام **اختاره جلالة الملك فيصل رحمه الله ليكون رئيساً لها** وذلك لما لها من الأهمية البالغة، ومقابلة العلماء الوافدين إلى هذا البلد، وصار يدرس بعد المغرب بساحة الحرم المكي، **وفي أواخر عام ١٣٩٥ هـ، اختاره جلالة الملك خالد رحمه الله ليكون رئيساً للمجلس الأعلى للقضاء في المملكة**.. بالإضافة إلى هذا كان رحمه الله :

★ عضواً في هيئة كبار العلماء.

★ ورئيساً للمجمع الفقهي برابطة العالم الإسلامي.

★ وعضواً بالمجلس التأسيسي للرابطة.

وللفقيد رحمه الله **العديد من المؤلفات القيّمة** التي تخدم الإسلام والمسلمين منها على سبيل المثال :

★ الرسائل الحسان.

★ إيضاح ما توهمه صاحب يسر في يسره.

★ غاية المقصود للتنبيه على أوهام بن محمود.

★ الدعوة إلى الجهاد في القرآن والسنّة.

★ توجيهات إسلامية.

ولسماحته فتاوى لا تزال محفوظة، رحم الله الفقيد وأسكنه فسيح جناته.. وإنا لله وإنا إليه راجعون.



في الوطن العربي

[illegible] إبراهيم ، صدر في بغداد .

● «الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام» ، للشيخ عبد الإله الصائغ ، صدر عن وزارة الثقافة والاعلام .

قطر

★ كتب جديدة ★

● «[illegible]» ، ديوان جديد للشاعر علي ميرزا ، صدر عن إدارة الثقافة والفنون .

● «ديوان البديد» ، للشاعر سعيد البديد ، شرح وتحقيق علي خليفة ، صدر عن إدارة الثقافة والفنون .

● «التطرف الديني» ، تأليف الدكتور يوسف القرضاوي ، صدر في الدوحة .

البحرين

★ كتب جديدة ★

● «مذكرات شاعر» ، ديوان جديد للشاعر إبراهيم العريض ، صدر عن وزارة الإعلام .

الأردن

★ كتب جديدة ★

● «غارات العرب ومصالحاتهم» ، صدر عن جماعة الفكر بعمان .

● «البرميل» ، مجموعة قصصية [illegible] فخري قعوار ، صدرت عن وزارة الثقافة والشباب الأردنية .

● «في السينما الصهيونية» ، تأليف حسان أبو غنيمة ، صدر عن وزارة الثقافة والشباب الأردنية .

● «محاضرات الندوة الإعلامية المشتركة» ، صدر عن مجمع اللغة العربية الأردني .

اليمن

★ كتب جديدة ★

● «الخروج من دوائر الساعة السليمانية» ، ديوان شعر جديد للشاعر اليمني الدكتور عبد العزيز المقالح .

● «فن الملاحة عند العرب» ، تأليف حسن صالح شهاب ، صدر عن مركز الدراسات والبحوث اليمني بصنعاء .

أبوظبي

★ كتب جديدة ★

● «كتاب الزهد الكبير» ، للعلامة المحدث أحمد بن حسين ، تحقيق الدكتور تقي الدين الندوي صدر عن لجنة إحياء التراث الإسلامي في (أبو ظبي) .

الجزائر

★ كتب جديدة ★

● «مشكلة الأمية في الجزائر» ، تأليف الدكتور تركي رابح ، صدر في الجزائر .

● «الموشحات والأزجال» ، تأليف الحفناوي أمقران ، صدر عن المعهد الموسيقي الوطني الجزائري ضمن سلسلة «التراث الموسيقي الجزائري» .

الكويت

★ كتب جديدة ★

● «الشرخ» ، مجموعة قصصية تأليف محمد مسعود العجمي ، صدرت عن شركة الربيعان الكويتية للنشر .

● «الفضل المزيد على بغية المستفيد من أخبار مدينة زبيد» ، تأليف الشيباني ، تحقيق الدكتور عبد الله يوسف الغنيم ، صدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت .

فلسطين

★ كتب جديدة ★

● «تفاح المجانين» ، رواية تأليف يحيى يخلف ، صدرت عن دار الحقائق اللبنانية .

● «أبو سلمى ـ التجربة الشعرية» ، تأليف بخري

تحقيق التراث

ضمن نشاطات «جامعة اليرموك» بالمملكة الأردنية الهاشمية يقوم عدد من أعضاء هيئة التدريس في الجامعة بتحقيق عدد من المخطوطات وبدعم من إدارة الجامعة من تلك المخطوطات :

★ «الفاتحة في إعراب الفاتحة» ، تحقيق الدكتور عفيف عبد الرحمن .

★ «تبصرة المبتدئ» ، تحقيق الدكتور حنا حداد .

★ [illegible] محيي الدين رمضان .

★ «تذكرة النحاة» ، تحقيق الدكتور عفيف عبد الرحمن .

★ «حدائق الأزهر» ، تحقيق الدكتور عفيف عبد الرحمن .

★ «النهار الماد على البحر المحيط» ، تحقيق الدكتور عمر الأسعد .

★ «كتاب الجمل» ، تحقيق الدكتور علي توفيق الحمد .

★ «ديوان الناشئ الأكبر» ، تحقيق الدكتور يوسف بكار .

★ «الاقتضاب في شرح أدب الكتاب» ، تحقيق الدكتور محيي الدين رمضان .

صالح ، صدر عن الأمانة [illegible] الفلسطينية للكتاب والصحفيين الفلسطينيين .

★ «رجل في الشمس» ، رواية غسان كنفاني في طبعة جديدة .

★ «وطني ردني إلى رباك شهدأ» ، مجموعة قصص قصيرة للقاص حسين مهنا .

★ «غابت شمس الأمل» ، رواية اجتماعية تأليف أحمد نمر سعد .

● «عباني موج البحر وقال» ، مجموعة شعرية للشاعر سميح فرج ، صدرت عن دار الكاتب بالقدس .

● «لواحدة هي أنت» ، مجموعة شعرية للشاعر منير [illegible] الكاتب بالقدس .

● «كنعان يقرع الأجراس» ، مجموعة شعرية للشاعر عطا الله قطوش ، صدرت عن دار الكاتب بالقدس .

● «جمرات متوقدة في أرض الأشجان» ، مجموعة شعرية للشاعر الدكتور جمال سلسع ، صدرت عن وكالة أبو عرفة للصحافة والنشر بالقدس .

● «أغاني الشمس والزيتون» ، مجموعة شعرية للشاعر راضي عبد الجواد ، صدرت عن دار الجماهير بالقدس .

● «ليلى المريضة» ، مجموعة شعرية للشاعر جمال قعوار ، صدرت في مدينة الناصرة .



في العالم

فرنسا :

بول كلوديل – رجل الحوار

موضوع ندوة أدبية عقدت في باريس وذلك خلال الفترة من ٤ إلى ٦ من شهر سبتمبر (أيلول) عام ١٩٨٢م ، عن أعمال «بول كلوديل» نظمتها جمعية أصدقاء الكاتب المسرحي الفرنسي حيث اشترك فيها العديد من الكتاب المسرحيين والنقاد المعاصرين ، نوقشت في هذه الندوة الأعمال المسرحية التي ألفها الكاتب منها : «حذاء من الساتان» ، «الرهائن» ، «إعلان لماري» .

إلى جانب دراسة نقدية لأعماله الشعرية إضافة للرسائل التي تبادلها مع بعض الشخصيات السياسية ، حيث شغل عدة مناصب في الولايات المتحدة ، والصين ، وإيطاليا ، وبلجيكا ، ومما يذكر بأن «بول كلوديل» كاتب مسرحي ، وشاعر فرنسي وسياسي ، ولد سنة ١٨٦٨م ، وتوفي سنة ١٩٥٥م ، تأثر في شعره بالشاعر «رامبو» وكان مولعاً بالكتّاب الرمزيين ، وكتب بعض البحوث والمقالات في النقد الأدبي ، وله آراء في الفن وعلم الجمال .

★ آرثر رامبو ★

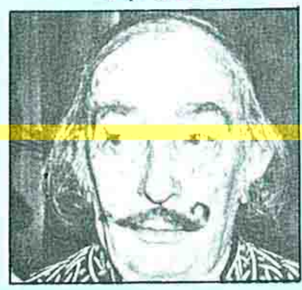


معرض للروكوكو

أقيم في (باريس) معرض لفن رسم «الروكوكو» ، شارك فيه رسامون من إيطاليا ، وفرنسا ، وإنجلترا ، وأمريكا ، وألمانيا ، وبعض بلدان أخرى ، ومن بين اللوحات التي عرضت لوحة «الجذور» للرسام الإيطالي فرانسيسكو كليمنت ، ولوحة «الأسرة» للرسام الأمريكي جورج بازيليتزا .

معرض لمدة عامين

★ سلفادور دالي ★



أقيم في مدينة بربينيان الفرنسية معرض يعد من أحدث المعارض الفنية لعملاق الفن السريالي المعاصر «سلفادور دالي» ، يستمر المعرض لمدة عامين ، ويضم (٨٠) عملاً فنياً من بين مجموعة أعمال الفنان ومن اللوحات المعروضة في هذا المعرض :

★ لوحة حدائق بابيلون التي رسمها في سنة ١٩٤٦م .

★ لوحة صيد التونة .

إلى جانب بعض الأعمال الأخرى الخاصة بتمجيد الفنان منها تمثال (دالي) نفسه ، قام بنحته الفنان (أرنو بريكر) .

معرض عن الفن الإسلامي

أقيم في (باريس) معرض عن الفن الإسلامي تحت اسم «حدائق الإسلام» عرضت فيه نماذج فنية إسلامية من لوحات ، وتحف فنية ، وبعض التحف المصنوعة من السيراميك ، والسجاجيد المنقوشة ، والأواني المزخرفة من تركيا ، إضافة إلى عدد

وثائق عن الخليج والشرق الأوسط في اكسترا

قام قسم الدراسات الخاصة بالخليج العربي في «جامعة اكسترا» بإنجلترا بجمع التحقيقات الصحفية التي تغطي منطقة الخليج والشرق الأوسط وذلك خلال الفترة من عام ١٩٥٦م ، إلى عام ١٩٧٩م ، والهدف من ذلك توفير المعلومات للجهات الحكومية والأكاديمية ، ومعاهد البحوث ، ومراكز المعلومات العربية ، وغيرها ، ومما يذكر بأن البروفيسور محمد شعبان رئيس قسم الدراسات العربية والإسلامية بجامعة اكسترا هو الذي يشرف على جمع وتصنيف المعلومات وذلك بتمويل من الجامعة ، وبعض الجهات العربية .



الحركة الثقافية في العالم

من اللوحات لمناظر طبيعية من تركيا، وإسبانيا، والمغرب.

* أحدث الكتب *

● «**الكتاب المشهور**»، تأليف **روجيه بيرفيت**، صدر في **باريس**.

● «**توماس مان والتحليل النفسي**»، تأليف **جان وميشيل بالميه**، صدر في **باريس**.

● «**تحقيق عن الأفكار المعاصرة**»، تأليف **جان ماري**، صدر في **باريس**.

بلجيكا :

معرض جنت الدولي

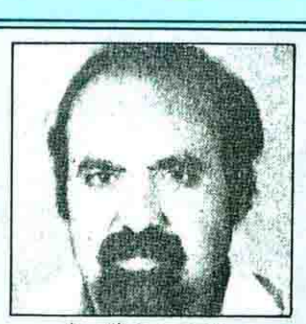
أقيم في بلجيكا وخلال الفترة من ١١ ـ ٢٩ من شهر سبتمبر (أيلول) عام ١٩٨٢م، «**معرض جنت الدولي**»، احتوى المعرض على معروضات تراثية، ومطبوعات إعلامية، ومنتجات محلية للبلدان التي شاركت فيه، ومما يذكر بأن هناك دولة عربية واحدة اشتركت فيه.

ماليزيا :

معرض إعلامي عن السعودية

أقامت وزارة الإعلام السعودية معرضاً خاصاً عن المملكة وذلك بمدينة (كوالا لمبور) بماليزيا بهدف تعريف الشعب الماليزي بالتطور الذي حققته المملكة في مجال الاتصالات والإعلام، حيث احتوى المعرض على عدد من الصور الملوّنة، والكتب الإعلامية والدينية والثقافية، ونماذج من الإصدارات التي صدرت عن **وزارة الإعلام**.

النمسا :



★ د. حسن طافش ★

معرض عن السعودية

في (فيينا) العاصمة النمساوية أقام الدكتور حسن طافش عضو هيئة التدريس بكلية التربية في أبها التابعة لجامعة الملك سعود معرضاً خاصاً عن **منطقة الجنوب بالمملكة العربية السعودية** وذلك بهدف التعريف بها كمنطقة سياحية، ضم المعرض أكثر من (٤٥) لوحة ذات أحجام مختلفة وممثلة للبيئة المحلية، استمر المعرض أسبوعين حيث أقيم خلال الفترة من ١ سبتمبر (أيلول) عام ١٩٨٢م، إلى ١٥ من الشهر نفسه، المعروف أن المعرض قد انتقل إلى بلدان أوروبية أخرى.

بريطانيا :

معرض للكتاب الإسلامي

اشترك ناشرون من البلدان الإسلامية في إقامة معرض للكتاب الإسلامي وذلك في مبنى **معهد الكومنولث** تحت إشراف وتنظيم «**المجلس الإسلامي العام**» في **أوروبا**، استمر المعرض ثلاثة أيام وعرضت فيه مجموعة كبيرة من الكتب التي كتبت باللغة الإنجليزية، وتحوي مواضيع تتعلق بالإسلام والدول الإسلامية، المعروف أن المعرض بدأ يوم ١٤ من شهر ذي القعدة عام ١٤٠٢هـ.

* أحدث الكتب *

● «**ليلة في سماء الأرجنتين**»، تأليف **جون ويلي**، صدر في **لندن**.

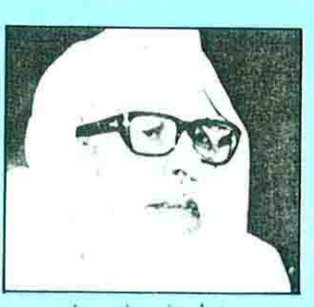
● «**مرآة للمستقبل السياسي**»، تأليف **جون روس**، صدر في **لندن**.

● «**قضية مبدأ**»، تأليف **جورج مايلز**، صدر في **لندن**.

الهند :

* أحدث الكتب *

● «**الإسلام والمسلمون**»، تأليف **الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي**، صدر عن **المجمع الإسلامي العلمي في لكهنو بالهند**.



★ أبو الحسن الندوي ★

أمريكا :

* أحدث الكتب *

● «**التحدي الأكبر**»، تأليف **رونالد براك**، صدر في **واشنطن**.

أسبانيا :

* أحدث الكتب *

★ ابن بطوطة ★



● «**رحلات ابن بطوطة**»، بقلم **المستشرقين سبرافين فاتمول وفريد براكواريوس**، صدر في **إسبانيا**.



المتنبي.. عقُّوه، واتهموه!

المتنبي .. أحمد بن الحسين أبو محسَّد ، شاعر الدهر . فمنذ انبثق فجره ، لم يتقنَّع هذا الفجر بظلام ليل :

وما الدهر إلا من رواة قصائدي إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشدا

ولقد انشد الدهر شعره ، حتى غرَّب إلى الأندلس في حياته مع ضعف المواصلات ، ولكنها قوة الصلات .

ومن عجيب أمره أنه كوفي عراقي ، وحلبي شامي ، ولكن الذين أكثروا الاحتفال به وأكبروه ، كانوا « المغاربة » .. فلقد هجا مصر ، فما حقدت عليه مصر ، فبعض المشارقة عقُّوه حين انتقدوه ، بل حين قتلوه .

فهذا أبو علي الحاتمي يتهم المتنبي ، وقد شبع الحاتمي من شعر الحكمة عند أبي الطيِّب ، فاتهمه بأنه قد سرق الحكمة هذه من فلسفة أرسطو . فالحاتمي المشرقي كان هذا موقفه ، كأنه على رأي هذا المثل :

« لا كرامة لنبيٍّ في وطنه » .

أو أنه على المثل الآخر : « عرفوه صغيراً ، فجفوه كبيراً » .

ولكن مصرياً ، هو الأستاذ كامل الكيلاني ، يأخذ اتهام أبي الحاتمي ، فينقلب به عليه .

يقول الكيلاني : إن هذا الاتهام قد سجَّل كل الفخار للمتنبي . إنه يعني أحد أمرين لا ثالث لهما ، فإما أن يكون المتنبي قد درس فلسفة أرسطو ، فحفظها وحذقها وهضمها ومثَّلها ، فاستطاع بهذا كله أن تشرق في شعره حكمة الفيلسوف العظيم . ويعني هذا مرة أخرى أن المتنبي يستحق الثناء والشهادات العليا لأنه عرف أرسطو ونسج حكمته .

وإما أن يكون الأمر الثاني ، هو أن المتنبي قد منحه الله الموهبة ، فعرف الدنيا وإنسانها معرفة أرسطو ، فجاء بحكمة كحكمة هذا الفيلسوف ، فانتقاد الحاتمي يكبر المتنبي ولا يصغره من شأنه شيئاً . فالمصريون والمغاربة قد حفظوا شعر المتنبي وأشادوا به .

ولقد تحدثوا أن أميراً من أمراء الأندلس قد اجتمع في مجلسه وفرة من الشعراء فأخذ الأمير ينشد شعر المتنبي ويثني عليه ، فإذا شاعر من شعراء الأندلس يقول :

لئن جاد شعر ابن الحسين فإنما بجود العطايا واللُّها تفتح اللَّها
تنبَّه عجباً بالقريض ولو درى بأنك تروي شعره لتألَّها

وهناك مقارنة .. فقد حفظنا في إسماعيل باشا صبري الشاعر المصري قوله :

إذا خانني خلٌ قديم وعقَّني وفوَّقْت يوماً في مقاتله سهمي
تعرض طيف الود بيني وبينه فكسَّرت سهمي وانثنيت فلم أرم

فأين هذان البيتان من بيت واحد للمتنبي .. جمع المعنى فتفوَّق ؟!

قال المتنبي :

رما واتق رميي ومن دون ما اتقى هوى كاسراً كفِّي وقوسي وأسهمي

محمد حسين زيدان

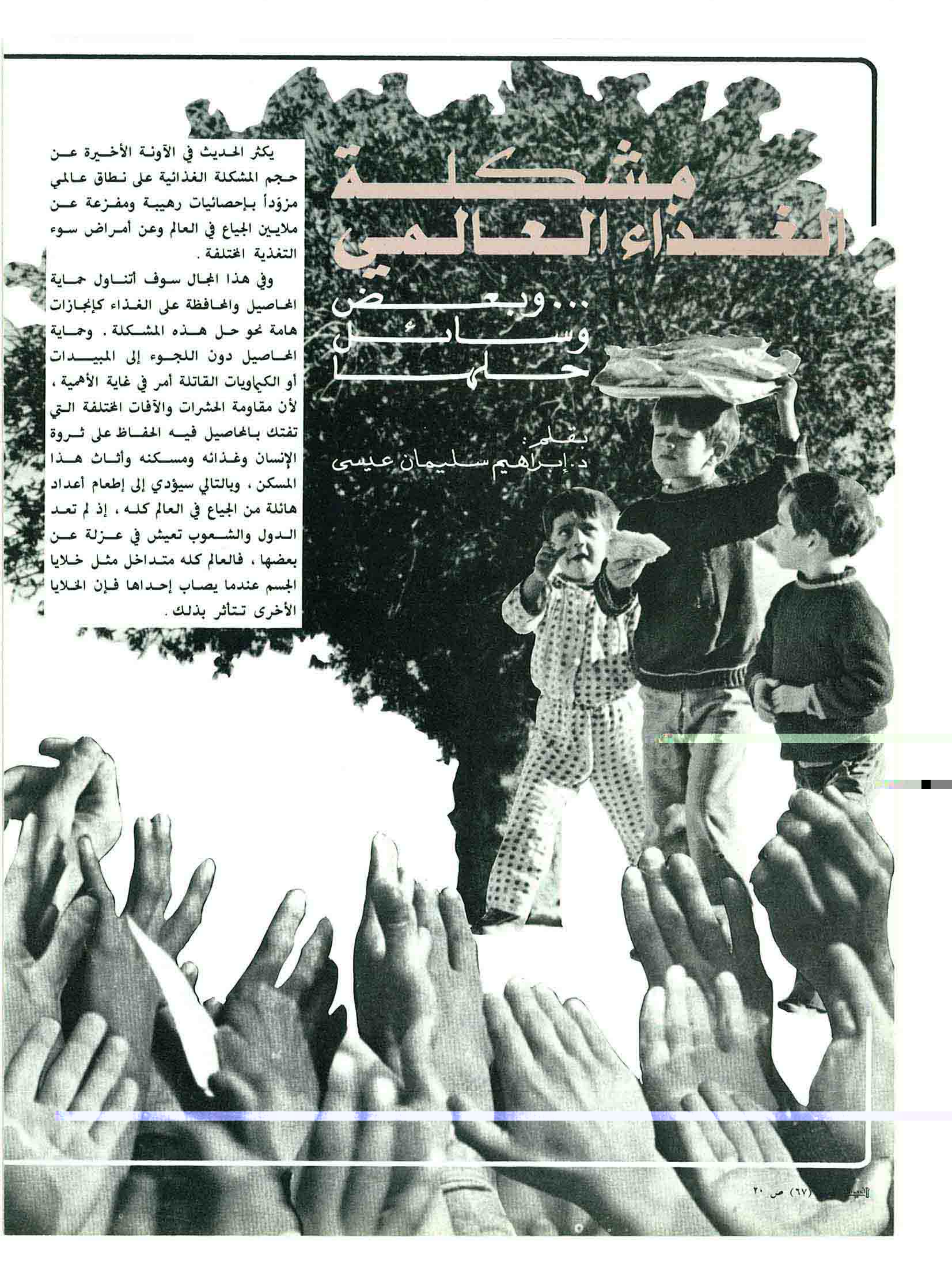
مشكلة الغذاء العالمي

... وبعض وسائل حلها

بقلم:
د. إبراهيم سليمان عيسى

يكثر الحديث في الآونة الأخيرة عن حجم المشكلة الغذائية على نطاق عالمي مزوّداً بإحصائيات رهيبة ومفزعة عن ملايين الجياع في العالم وعن أمراض سوء التغذية المختلفة.

وفي هذا المجال سوف أتناول حماية المحاصيل والمحافظة على الغذاء كإنجازات هامة نحو حل هذه المشكلة. وحماية المحاصيل دون اللجوء إلى المبيدات أو الكيماويات القاتلة أمر في غاية الأهمية، لأن مقاومة الحشرات والآفات المختلفة التي تفتك بالمحاصيل فيه الحفاظ على ثروة الإنسان وغذائه ومسكنه وأثاث هذا المسكن، وبالتالي سيؤدي إلى إطعام أعداد هائلة من الجياع في العالم كله، إذ لم تعد الدول والشعوب تعيش في عزلة عن بعضها، فالعالم كله متداخل مثل خلايا الجسم عندما يصاب إحداها فإن الخلايا الأخرى تتأثر بذلك.



فالجفاف في إفريقيا وانخفاض الأمطار في الهند والأوبئة في جنوب شرقي آسيا تنعكس آثارها علينا جميعاً . وبديهي أنه كلما ازداد حصار الجوع لأجزاء مختلفة من العالم فإن الضغط سوف يزداد على جزر الرفاهية الصغيرة التي يعيش فيها الغرب ، والخوف كل الخوف أن تختفي هذه الجزر تماماً إن لم تكن الآن بالفعل في طريقها للزوال والاختفاء . من أجل هذا فإن حماية المحاصيل والمحافظة على الغذاء أمر ضروري جداً ، وانجاز هام يحتل مقدمة الجهود المبذولة على نطاق عالمي لحل المشكلة .

ونعني بحماية المحاصيل استخدام الطرق المتعددة لوقايتها من الإصابة بالآفات الحشرية وغيرها ، وكلما تحقق ذلك دون اللجوء إلى الكيماويات كان أفضل ، لأن المبيدات لها تأثيرات ضارة حيث تقتل الكثير من الحيوانات النافعة والأعداء الطبيعية لهذه الآفات وتلوث البيئة واختلال التوازن الطبيعي بين هذه الحيوانات . كما أن تأثيراتها الضارة على الإنسان أمر أصبح بديهياً وقضية انتهى العالم من مناقشتها وإقرارها .

لقد سجل الباحثون آلاف الأضرار التي تحدث للطيور والحيوانات والإنسان من جراء استعمال الكيماويات لإبادة الآفات ومسببات الأمراض للمحاصيل المختلفة . . لقد ماتت معظم الطيور ، وبعض الأنواع الأخرى في طريقها إلى الانقراض ، وسجّل العلماء **بالمتحف الطبيعي البريطاني** انخفاضاً مستمراً في سمك قشرة بيض الطيور منذ بدء استعمال د . د . ت في منتصف الأربعينات ، **هذا مجرد مثال واحد على أضرار استخدام الكيماويات في مقاومة الآفات ومسببات الأمراض للمحاصيل المختلفة .**

إن حماية المحاصيل دون اللجوء إلى استخدام المبيدات أمنية عزيزة وغالية ، لكن المعادلة صعبة جداً فالمبيدات تسبب الكثير من الأمراض للإنسان وتهدد التوازن الطبيعي البيئي ، وفي الوقت نفسه فإن الآفات تسبب خسارة ضخمة تبلغ قيمتها مئات البلايين من الدولارات ، كما أن الملايين من البشر يعانون من الأمراض ، ويموتون جوعاً أو يموتون من سوء التغذية ، أو نقص البروتين . وفي ظل هذا طُرح سؤال مؤدّاه :

« هل هناك احتمال في زراعة أراضي المستقبل بالمحاصيل دون اللجوء إلى هذه السموم » ؟ وكانت إجابات معظم العلماء بالنفي .

إلا أن هناك بعض البشائر والآمال والنتائج التي توصل إليها الباحثون والتي يمكن بواسطتها حماية المحاصيل دون اللجوء إلى هذه المبيدات . . هذه الآمال تتمثل في استخدام المقاومة الحيوية ضد الحشرات ، واستخدام أنواع من **الخنافس** للمساعدة في مقاومة الحشائش ، واستحداث طرق



جديدة لمقاومة أمراض النبات ، وأيضاً تطبيق الجديد في مجال تصنيع المحاصيل الغذائية . **وحفظ الغذاء بالإشعاع الذري** ووقاية الأغذية أثناء النقل والتخزين ، وهي وسائل كفيلة إذا ما تم تطبيقها على الوجه الأكمل بحماية المحاصيل والغذاء وتوفيره وحل جزء كبير من مشكلة الغذاء العالمي .

وسائل حماية المحاصيل وحفظ الغذاء

أولا : المقاومة البيولوجية : تشمل المقاومة الحيوية للحشرات تشجيع أعدائها الطبيعية الموجودة في البيئة من المفترسات والمتطفلات والأحياء المسببة للأمراض الحشرية ، وتشمل كذلك استيراد مثل هذه الطفيليات والمفترسات من مواطنها الأصلية وتربيتها وأقلمتها وإطلاقها في البيئة الجديدة لمقاومة الآفات الموجودة بها . وقد أمكن استخدام هذه الطريقة بنجاح كبير في بعض الحالات .

وهذه بعض الأمثلة لنجاح هذه الطريقة :

* وجد العلماء من بين الزنابير والحشرات غشائية الأجنحة أنواعاً متعددة تفترس سوسة **البرسيم الحجازي** وذبابة **الموالح السوداء** وذبابة **ثاقبة السيقان الأوروبية** وغيرها وأمكن القضاء على هذه الحشرات .

* وفي **العالم العربي** بدأت هذه الطريقة حديثاً لكن تحول بعض الظروف الفنية في استيراد وتربية وتوزيع تلك المفترسات والطفيليات لكنها نجحت في بعض البلاد العربية في خفض أعداد الحشرات واستطاعت تلك البلاد بهذه الطريقة وغيرها القضاء على أنواع من الحشرات فيما يسمى **بالمقاومة المتكاملة** Integrated Control ونعني بها المقاومة التي تجمع بين أكثر من طريقة زراعية وطبيعية وميكانيكية وقانونية لمقاومة الآفة دون اللجوء بالطبع إلى استخدام السموم والمبيدات والكيماويات المختلفة .

ثانياً : تجاذب الجنس : وهناك طرق جديدة متعددة استخدمت في مكافحة الحشرات . . لعل أبرزها استخدام الجاذبات الجنسية ومانعات التغذية والهرمونات والضوء غير المرئي أو ما نسميه **بالأشعة فوق البنفسجية** .

* وإذا كان معروفاً أن للحشرات غدداً تفرز مواداً تستطيع بها جذب الجنس الآخر لتكتمل عملية التزاوج ، فإن إفراز هذا النوع من الغدد قد حظي بانتباه كثير من الحشريين والكيماويين على السواء ، وحضروا الكثير منها صناعياً لاستعماله في جمع الحشرات ثم إعدامها بعد ذلك ، أو بوضع هذه المواد داخل مصايد خاصة لجذب ذكور الحشرات فلا تستطيع الإناث أن تنتج الأجيال التالية .

* تمكن مجموعة علماء من الولايات المتحدة من **إبعاد أسراب من فراشة دودة ثمار الطماطم بالتشويش عليها بأصوات عالية تشبه أصوات الاستغاثة التي تميزها هذه الحشرات مما يجعل الحشرات في حالة ذعر وفوضى** تهرب معها مبتعدة عن المحاصيل ولا تستطيع وضع بيضها وبالتالي لا تستكمل دورة حياتها .

* أجريت اختبارات ناجحة لتعقيم دودة اللوز التي تسبب أضراراً كبيرة جداً وخسائر جسيمة بالقطن في الأقطار التي تزرع هذا المحصول الاستراتيجي وتجرى عملية التعقيم بواسطة **أشعة جاما** أو بواسطة معقم كيماوي يسمى (**أفولان**) وقد قضي على هذه الآفة في حقول التجارب ، وتجرى تجارب مشابهة على الذبابة المنزلية .

ثالثاً : مبيدات الحشائش : تعتبر الحشائش من مسببات الخسارة والفقد في المحاصيل وتقدر الخسارة الناتجة عن الحشائش في الولايات المتحدة وحدها بحوالي (٤) بلايين دولار سنوياً . وظلت عملية جمع الحشائش باليد أو ما يطلق عليه (**التنقية اليدوية للحشائش**) هي المستعملة والأكثر انتشاراً خصوصاً في البلاد النامية . والحشائش تشارك النباتات الأخرى الغذاء وباقي متطلبات النمو ، بالإضافة إلى أنها عوائل طبيعية لكثير من الآفات الحشرية ومسببات الأمراض النباتية .

وبدأت الحرب الكيماوية ضد الحشائش منذ عشرات السنين واستنبط العلماء كثيراً من مبيدات الحشائش معظمها مركبات كبريتية وزرنيخية . إلا أنها كانت هي الأخرى ذات ضرر بالغ على النبات الذي يراد القضاء على الحشائش من أجله بالإضافة إلى المخاطر على الإنسان والحيوان ، وبعد جهود مستمرة استطاع العلماء التوصل إلى طرق جديدة ضد الحشائش .

رابعاً : نوع من البطاطس لمقاومة الديدان : إن أمراض النبات الناتجة عن الإصابة بالفطريات أو الفيروس أو البكتيريا أو الديدان الأسطوانية هي الأخرى عامل كبير في ضياع وفقد الكثير من المحاصيل التي تصل إلى ملايين الأطنان في بعض البلاد ، ويصل التلف في كمية المحاصيل الغذائية كمية تكفي لتغذية ٣٠٠ مليون نسمة .

وقد استنبط علماء تربية المحاصيل صنفاً جديداً من البطاطس يقاوم الأمراض ويقاوم وراثياً الديدان الثعبانية (**النيماتودا**) . كما أن هناك طرقاً تقليدية مباشرة مثل معاملة البذور بالمبيدات القاتلة للفطريات والبكتيريا قبل الزراعة وكذلك حرق متخلفات النباتات وحرث التربة جيداً وتشميسها ، وغير ذلك من الوسائل المباشرة والشائعة للحد من انتشار الأمراض النباتية .

ويجب أن لا ننسى أن معظم الأمراض النباتية الناتجة عن الإصابة بفيروس تنتقل عن طريق الحشرات مثل **المن والخنافس والنطاط** .

خامساً : استخدام الإشعاع الذري : إن المحافظة على الغذاء واستعمال الطرق الجديدة والتكنولوجيا الحديثة في تصنيع المحاصيل الزراعية من تجفيف وتعقيم وتعليب وتجفيد أمر بالغ الأهمية ، ويعتبر **التجفيد** أجدى هذه الطرق . كما أن **استخدام الإشعاع الذري لحفظ الطعام عن طريق تعريض الأطعمة لأشعة جاما يوصف بأنه أهم حدث لحفظ الغذاء في القرن العشرين** ، إلا أن بعض الصعوبات واحتمالات الخطر تقف عائقاً أمام استعمال هذه الطريقة مما ينتج عنه إبطاء في استعمالها على نطاق واسع .

وعلى العموم فإن الأمل كبير أن تؤدي هذه الجهود المبذولة في حماية المحاصيل واستخدام الطرق الحديثة للوقاية من الآفات بأنواعها إلى خفض الفقد العالمي في الغذاء بمقدار ١٠ ٪ فإن الكسب سيكون هائلاً . وسيمثل زيادة هائلة في كميات

الأغذية المتوفرة للشعوب الجائعة في العالم .

الاستصلاح والاستزراع والمياه

إن استصلاح الأراضي وزراعتها ووفرة المياه هي المفتاح لإنتاج المزيد من المحاصيل الزراعية وبالتالي توفير الغذاء لكثير من الشعوب وتحديد مشكلة الغذاء العالمي المتزايدة يوماً بعد الآخر .

فالتربة صانعة للمعجزات الزراعية ، ولا بد من إضافة **الأسمدة الكيمائية** إليها لمساعدتها في تغذية المحاصيل الغذائية المختلفة ، والواجب حمايتها ورعايتها من عوامل التعرية كالرياح والأمطار ، واستخدامها بكفاءة . . كل ذلك يجعل من التربة منبع خبرات جديدة باستمرار .

تسميد التربة لزيادة المحاصيل

تعتمد خصوبة الأرض على التوازن الدقيق بين العناصر المعدنية في التربة والماء ، **والتسميد هام جداً لدرجة أن الإحصائيات تشير إلى أن أكثر من نصف بليون نسمة يرجع الفضل في تغذيتها إلى استخدام الأسمدة الزراعية** ، لأن هذه العناصر التي يتكون منها السماد تمثل عناصر لازمة لتغذية النبات وبالتالي نموه وزيادة الإنتاج الزراعي .

ووجود **التربة الخصبة** مع الماء شرطان أساسيان لإنتاج زروع ومحاصيل مرتفعة الكم والجودة ، فلا الماء وحده كافياً ولا التربة بمعادنها كافية . . ورغم اشتداد أزمة الغذاء العالمي إلا أنه للأسف نجد أن التربة في معظم المناطق المأهولة في العالم قد استنزفت نتيجة لزراعتها بصفة مستمرة ولقرون عديدة لدرجة أنها فقدت معظم محتواها الطبيعي من العناصر الغذائية الأصلية اللازمة لتغذية النباتات ، بل وفي مناطق أخرى نجد أن تربتها قد فقدت تماماً جميع العناصر الغذائية .

ويعتقد الخبراء أن الزيادة التي تحققت في المحاصيل الزراعية الغذائية والتي تقدر بحوالي ٣٠ إلى ٤٠ ٪ جاءت نتيجة لاستعمال الأسمدة . وكان ذلك في منتصف الستينات . وهناك أمثلة كثيرة حدث فيها أن تحولت الأرض المعروفة بخصوبتها إلى أرض بور نتيجة الاستغلال المستمر الذي أدى إلى سحب عناصرها الغذائية بدون تعويضها . هذا فضلاً عن تناقص مستمر للأراضي الزراعية في بعض البلدان نتيجة إقامة المباني والمصانع والمؤسسات فيها .

الواقع .. والأمل

بديهي أن النبات يأخذ عناصره الغذائية من التربة ، وعن طريق عملية التمثيل الضوئي تتكون المادة العضوية وهي قوام الغذاء في العالم كله . إلا أن هناك عدداً من المشاكل الزراعية التي تواجه العالم والتي تقلل من قيمة وفعالية التربة الزراعية وتفسد من صلاحية الأسمدة للزراعة مما تسبب معه مشكلة الغذاء العالمي . وتعود أسباب المشاكل إلى العوامل الزراعية التالية :

* تدهور التربة ـ على النحو الذي أشرنا إليه ـ وفقدها المستمر لمحتواها من العناصر اللازمة لتغذية النباتات .

* رغم أن استهلاك العالم من أسمدة **النتروجين والفوسفات والبوتاسيوم** قد وصل إلى أكثر من ٥٠ مليون طن متري (أي أكثر من سبعة أمثال ما استهلك عام ١٩٣٨ م) ، إلا أن نصيب المناطق النامية من هذا المقدار لا يتجاوز ٤ ملايين طن متري فقط ، واستخدم الباقي في الدول المتقدمة .

* من الحقائق المؤسفة أن الدول التي تحتاج إلى الغذاء تأخذ ٦ ٪ فقط من الإنتاج العالمي للأسمدة .

* من أخطر العوامل التي تتلف الأرض هي عوامل التعرية ، فمهما أحسنا استخدام الأسمدة فإننا نفقد محاصيل تقدر بملايين الدولارات ، نتيجة حركة الرياح والمياه التي تعرّي التربة من الطبقة السطحية الخصيبة كل عام .

* أحياناً يقوم الزارع نفسه بتعرية التربة عن طريق إزالة القشرة الأرضية السطحية بإزالة الغطاء النباتي ، أو سوء رعي الماشية ، أو قطع نسبة كبيرة من الأشجار الخشبية . . مما تصاب بسببه الأرض بالتلف والجدب . ونصف المساحة في بعض البلاد الآسيوية قد حدث لها ذلك بالفعل نتيجة التعرية التي يقوم بها الزراع أنفسهم .

* ومرور الأنهار في **المناطق الصحراوية** يؤدي إلى ارتفاع نسبة ملوحتها نتيجة للتبخر ، وتبقى المعادن في الجزء الذي لا يتبخر . وبزيادة الأملاح إلى حد معين يفقد الماء صلاحيته لري المحاصيل المختلفة . كل هذا وغيره كثير يعطي لنا التصور الكامل عن حجم المشكلة التي بدورها تعتبر عاملاً هاماً من مسببات مشكلة الغذاء العالمي .

ورغم هذه الصور القاتمة . . فإن الأمل معقود على مجموعة من العوامل والجهود لرفع إنتاجية التربة وزيادة محتواها من العناصر الغذائية اللازمة لنمو وغذاء النباتات .

الاستصلاح .. والاستزراع

من الحقائق الهامة أن العالم يوجد به أراض صالحة للاستزراع لكنها إما أن تكون غير خصبة أو لا تصلها المياه بدرجة كافية ، أو أنها سيئة الصرف أو ضعيفة الخدمة ، ومثل هذه الأراضي لا تشجع على الاستغلال لأول وهلة أو عند توفر غيرها أسهل وأخصب منها . ولئن كان الأمر يحتم إيجاد غذاء أكثر فالواجب استصلاح أكبر مساحة من هذه الأراضي حتى يمكن المساهمة في مكافحة نقص الغذاء .

ولقد قدر إجمالي مساحة الأراضي في العالم بنحو ٨ بلايين فداناً يمكن استصلاحها واستزراعها بالاستعانة بالطرق التكنولوجية الحديثة . وتبلغ هذه الأراضي ضعف المساحة المزروعة فعلاً .

ويتوقف استصلاح واستزراع الأراضي على عوامل كثيرة منها معرفة تركيب الأرض ، والعوامل المناخية في منطقتها وتاريخها هل زرعت قبل ذلك ، وما هي المحاصيل التي زرعت بها ، وما سبب جفافها أو تحولها إلى أرض بور ، وفي مقدمة هذه العوامل مصدات الرياح وتأثر التربة بالتعرية وحركة الرياح والمياه في جوف التربة .

وقد نظر العلماء إلى الصحراء والمناطق الصحراوية الشاسعة في العالم ومدى إمكانية

استصلاحها لاستغلالها في إنتاج المحاصيل الغذائية على أنها الأمل في إمكانية الإمدادات الغذائية لعالم الغد . ويوجد ما يزيد على خمسة بلايين فدان من تلك الأراضي جرداء قاحلة بسبب عدم كفاية الأمطار لإنتاج المحاصيل . وتتركز هذه المناطق في شمال إفريقيا والجزيرة العربية وآسيا وأستراليا ومساحات كبيرة من أميركا الشمالية وتمثل هذه المناطق هدفاً مشجعاً لمخططي ومنتجي المواد الغذائية إذا ما وضعنا في الاعتبار تلك المياه التي تفقد بالتبخر في المناطق الحارة .

إن كميات المياه المفقودة بالتبخير المباشر من مستودعات المياه التي أنشأها الإنسان في المناطق الحارة تفوق بضعة مرات كمية المياه اللازمة لإنتاج المحاصيل في هذه المناطق ، على أن هناك قلة من [illegible] ذلك أملاً صعب التحقيق . ويطلق أحدهم على فكرة استصلاح واستزراع الأراضي الصحراوية بأنها « **الوهم المكلف** » . وقد يكون من الممكن التغلب على هذه المشكلة باستخراج الكميات الهائلة من المياه الجوفية المخزونة والتي تبلغ كميات كبيرة جداً تحت سطح الصحراء الكبرى ومع ذلك فقد لا يتفاءل العلماء كثيراً بإمكانية استزراع مثل هذا النوع من الصحراء على نطاق واسع لحل مشكلة الغذاء .

إلا أن العلماء ــ من زاوية أخرى ــ يتفاءلون من إمكانية إنتاج محاصيل غذائية باستعمال المياه الملحية في الري والتي قد تأتي من البحر مباشرة أو بعد تنقيتها وإزالة الملوحة منها . . حيث يأملون في إمكانية عمل التربة الرملية كمرشحات طبيعية بحيث لا تتعرض جذور النباتات إلا بدرجة خفيفة للأملاح .

بل لقد وصل الطموح بالباحثين إلى أنهم يرون إمكانية زراعة المحاصيل بدون الحاجة إلى تربة على الإطلاق ، ولا يزال ذلك خاضعاً للتجارب . . حيث يتخذ فيها قرار بحجم هذه الإمكانية .

« الميكنة » الزراعية

أحدثت « **الميكنة** » **الزراعية** ثورة في إنتاجيات الزراعة في كثير من مناطق العالم . والميكنة الزراعية لا نعني بها الجرارات التقليدية فقط لكن العلماء يقولون إنه من الممكن زيادة الإنتاج الزراعي بمساعدة الأقمار الصناعية التي تدور على ارتفاع مئات الأميال من الأرض . فالكاميرات وأجهزة الاستشعار الموجودة على هذه الأقمار الصناعية تقوم بتزويد الزراع بمعلومات لا يمكنهم الحصول عليها عن حالة المحاصيل ومدى وفرة المياه وتقدير كمية المحصول المتوقعة في أجزاء مختلفة من العالم .

إزالة ملوحة المياه

ظلت مشكلة استصلاح واستزراع الصحراء والمناطق القاحلة من العالم هي عدم وجود المياه اللازمة لهذه العمليات ، إلا أنه في عام ١٩٦٨م ، لاح في الأفق إمكانية إزالة ملوحة مياه البحار وزراعة المحاصيل الغذائية في الأراضي الجافة وخرجت إلى حيز التنفيذ بواسطة عملية التقطير أو فصل الأملاح بأغشية شبه منفذة (عكس الأسموزية) والفصل الأيوني للأملاح (**الفصل الكهربائي**) ، وفصل الأملاح بالتجميد . **ويعتبر كثير من المخططين الاقتصاديين أن إزالة ملوحة المياه سيمكن العالم من زراعة مناطق قاحلة وإنتاج المزيد من الطعام والغذاء** .

ويعتقد كثير من العلماء أن استخدام المفاعل النووي سيحقق القدر الأمثل للطاقة اللازمة لإزالة الملوحة ليس ذلك فحسب بل سيمد مصانع الأسمدة وتصنيع الغذاء والمنتجات الكيماوية بالكهرباء اللازمة لتشغيلها .

الأمطار الصناعية

كثيراً ما حلق المزارعون إلى سحابة تمر فوق رؤوسهم محملة بالمياه التي قد تسقط في أماكن ليست بحاجة إلى مياه كالبحار أو الأراضي الصخرية القاحلة التي لا يمكن استزراعها . لذلك بدأ الباحثون في دراسة كيفية توجيه واستغلال مصادر مياه الأمطار ، **وقد برهن العلماء أنه بالإمكان حقن سحب الصيف الصغيرة بجرعات من مواد كيماوية معينة من الممكن أن تحولها إلى سحب رعدية تعلو إلى ارتفاع ٣٥ ألف قدم ، بحيث تصبح هي نفسها بمثابة ماكينة لتكوين الأمطار** . . إذ تدفع بالهواء الساخن من أسفل إلى طبقات الجو العليا مما يؤدي إلى سقوط الأمطار بغزارة ، وقد لا تزيد الفترة بين هذه العملية ونزول المطر عن ١,٥ ساعة من الزمن . . ومع ذلك فإن هذه العملية مكلفة .

على أن علماء الأرصاد الجوية والهيدروليكا ينظرون إلى مستقبل صناعة الأمطار بثقة ، ويأملون إمكان إحراز تقدم في توفير مصادر مياه أكثر تمكننا من ري أراض زراعية جديدة وهم متفقون على أن الطريق في هذا المجال ما زال طويلاً ، على أن الكثير من العلماء غير مقتنع بفكرة الأمطار الصناعية . بل لقد زاد من حيرة العلماء ما شاهدوه في بعض التجارب من ازدياد سقوط الأمطار في الأيام التي لم تزرع فيها السحب عنه في الأيام التي زرعت فيها .

وبرغم كل ذلك فإن آمالنا معقودة على تلك الجهود المختلفة والمبذولة باستمرار مما يفتح المجال للوفاء بالاحتياجات المائية لزيادة المحاصيل الغذائية لعالم المستقبل واليوم .

المراجع

(١) مجموعة مقالات عن الغذاء العالمي ونشرات منظمة الأغذية والزراعة (الأمم المتحدة) .

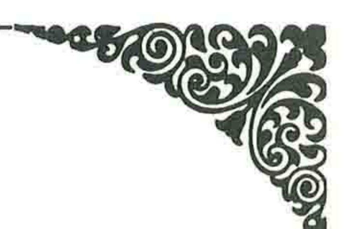
(٢) الأهمية الاقتصادية للحيوانات ، د . أحمد حسنين القفل ، القاهرة سنة ١٩٦٧م .

(٣) الحشرات الاقتصادية ، د . شاكر مراد وآخرون سنة ١٩٧٠م .

(٤) حشرات المخازن ، د . إبراهيم سليمان لبس سنة ١٩٧٨م .

(5) Fundamentals of Applied Entomology «Robert. E. PFADT. Macmilan Publishing London and New York 1978.

(6) Destructive and Useful Insects Metcalf. Flint MCGRAW-Hill. Co. London 1979.



البيعة في الفكر الإسلامي

بقلم: د. محمد فاروق النبهان

تعتبر البيعة في الفكر السياسي الإسلامي من أهم معالمه الحضارية، لأنها تعبر تعبيراً دقيقاً عن نظرة الإسلام للحكم، وللسيادة، ولطبيعة العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وهي بهذا الاعتبار جديرة بالدراسة والاهتمام.

وبالرغم من أهمية الفكر السياسي المعاصر بنظرياته الفكرية التي أسهم في صياغتها رواد الفكر السياسي في بداية العصر الحديث، فإن من المؤكد أن ما قدمه أولئك الفلاسفة من نظريات لا تضيف شيئاً جديداً إلى ما قدمه الفكر الإسلامي، وربما لا ترقى بعض آرائهم إلى مستوى ما وصل إليه الفكر السياسي الإسلامي في هذا المجال.

البيعة في أصل **دلالتها اللغوية** مصدر يفيد معنى المبايعة[1]، يقال بايع فلان الخليفة مبايعة، وهذه المبايعة تعطي معنى المعاقدة والمعاهدة، وهي مشبهة بالبيع الحقيقي، وكأن كل واحد من الخليفة والمواطن قد باع ما عنده للآخر، وتعاهدا وتعاقدا على أن يؤدي كل من الطرفين للآخر ما عنده، فالخليفة يعاقد ويعاهد الأمة على أن يحكم بالحق والعدل، وأن يرعى أحكام الشريعة، ويصون مبادئ الدين، وأن يوفر للمواطن كل ما أقرته مبادئ الشريعة للمواطن من حقوق إنسانية وحريات، ويقوم المواطن نيابة عن ذاته بالتعبير عن طاعته للخليفة، ويتعهد بنصرته، في كل ما من شأنه أن يحمي مصالح الأمة، ويدافع عن حقوقها وكرامتها.

وقد نشأت البيعة لأول مرة في التاريخ الإسلامي في **بيعة العقبة الأولى**، وذلك قبل الهجرة، عندما التقى اثنا عشر رجلاً من المدينة **برسول الله صلى الله عليه وسلم** في العقبة على مقربة من مكة، وبايعوه على الإسلام، وتعهدوا أن يتجنبوا الشرك والزنا والسرقة والقتل، ولما جاء العام التالي حضر ثلاثة وسبعون شخصاً من المدينة، واجتمعوا بالنبي صلى الله عليه وسلم، ودعوه إلى الهجرة إلى المدينة، وبايعوه على النصرة والحماية.

ثم جرت **بيعة الشجرة في الحديبية**، وذلك عندما أرسل النبي صلى الله عليه وسلم، **جواس بن أمية الخزاعي** إلى أهل مكة ليفاوضهم في أمر المسلمين الذين يريدون الحج، وهموا به، وكادوا أن يقتلوه، لولا أن منعه **الأحابيش**، ثم أرسل النبي صلى الله عليه وسلم **عثمان بن عفان** إليهم، وتأخر في العودة، وظن المسلمون أن أهل مكة قد قتلوه، عندئذ دعا الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه، إلى مبايعته على قتال المشركين، وسميت هذه البيعة ببيعة الشجرة.

كلمة العقد تفيد معنى **الالتزام المتبادل**، بحيث يمنح كل فريق للفريق الآخر ما عنده، فالفريق الأول يعرض فكرة الالتزام والثاني يقبل، ويمنحه الطاعة والنصرة.

ويجب أن تتوافر في عقد البيعة جميع الشروط التي يجب توافرها في العقود العامة، سواء فيما يتعلق بأركان العقد، أو شرائطه العامة أو الخاصة، وأركان عقد البيعة هم:

(١) **العاقدان**: وهما طرف العقد: الأمة والحاكم.. فالأمة ممثلة بأهل الحل والعقد، وذلك لاستحالة قيام الأمة بكل فرد من أفرادها بمبايعة الخليفة، ويقوم أهل الحل والعقد، وهم أهل الاختيار، نيابة عن الأمة بترشيح الخليفة ومبايعته، ومن الطبيعي أنه يشترط في أهل الاختيار أن تتوافر فيهم شروط

متعددة ، أهمها : الجدارة والكفاية والثقة ، والتعبير الأمين عن إرادة الأمة ، واختيار الشخص الذي يتمتع بالكفاءة وتتوفر فيه شروط الخلافة ، ومن يتوسم الناس فيه القدرة على تحمل المسؤولية بصدق وأمانة .

أما الطرف الآخر في العقد فهو الخليفة المرشح ، ويشترط فيه أن تتوفر فيه جميع الشروط التي يجب توفرها في الخليفة ، وقد أوردها **الماوردي** في كتابه « الأحكام السلطانية » بدقة وتفصيل[2] .. وأهمها :

(١) العدالة على شروطها الجامعة .

(٢) العلم المؤدي إلى الاجتهاد في النوازل والأحكام .

(٣) سلامة الأعضاء من نقص يمنع من استيفاء الحركة وسرعة النهوض .

(٤) الرأي المفضي إلى سياسة الرعية وتدبير المصالح .

(٥) الشجاعة والنجدة المؤدية إلى حماية البيضة وجهاد العدو .

وهذه الشروط يجب توفرها في شخص الخليفة ، ومن واجب أهل الحل والعقد وهم أهل الاختيار أن يبحثوا في مدى توافر هذه الشروط في الخليفة كما لا يجوز أن يقدموا للخلافة إلا من تتوافر فيه شروط الخلافة .

واشترط **الغزالي** صفة الورع ، واعتبرها من أعز الصفات وأجلّها وأولاها بالرعاية وأجدرها ، وهو وصف ذاتي لا يمكن استعارته ، ولا الوصول إلى تحصيله من جهة الغير .

أما الشيء المعقود عليه فهو خلافة المسلمين ، ومن الطبيعي أن كلمة « **الخلافة** » **تفيد معنى النيابة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، والالتزام بكل ما كان يلتزم به ، ويسعى لتحقيقه ، من أهداف دينية ومقاصد دنيوية .. وأهمها ما يلي**[3] :

- حفظ الدين على أصوله المستقرة ، وما أجمع عليه سلف الأمة .
- تنفيذ الأحكام بين المتشاجرين وقطع الخصام بين المتنازعين .
- حماية البيضة والذب عن الحريم ليتصرف الناس في المعايش وينتشروا في الأسفار آمنين .
- إقامة الحدود لتصان محارم الله تعالى عن الانتهاك وتحفظ حقوق عباده من إتلاف أو استهلاك .
- تحصين الثغور بالعدة المانعة والقوة الدافعة .
- جهاد من عاند الإسلام بعد الدعوة حتى يسلم أو يدخل في الذمة .
- جباية الفيء والصدقات على ما أوجبه الشرع نصاً واجتهاداً .
- تقدير العطايا وما يستحق في بيت المال من غير سرف ولا تقتير .
- استكفاء الأمناء وتقليد النصحاء .
- أن يباشر بنفسه مسؤوليات الخلافة ، ولا يتشاغل عنها بلذة أو مشغلة .

ويجب على الخليفة أن يقوم بجميع هذه المسؤوليات ، وتعتبر البيعة ملزمة له لكي يؤدي جميع هذه الواجبات المنصوص عليها ، وأن قبوله بالخلافة ، ومبايعته للأمة تتضمن موافقته على القيام بجميع هذه الواجبات . ونلاحظ أن **علماء الفكر السياسي الإسلامي** يذكرون هذه الأحكام تحت عنوان واجبات الخليفة للإشارة إلى أن الخليفة ملزم بتنفيذها ، وأن البيعة تتضمن التعمد الصريح بكل هذه المبادئ .

والركن الأخير من أركان عقد البيعة « صيغة البيعة » ، ويشترط في هذه الصيغة أن تكون بلفظ البيعة الصريحة ، بدون إكراه ولا إجبار ، فإن كانت البيعة تحمل معنى الإكراه بأية صفة من صفاته المادية والمعنوية ، فإن البيعة باطلة ، وذلك لأن الغاية من البيعة بألفاظ صريحة هي التعبير عن الإرادة ، ولكي يكون التعبير معتمداً ومقبولا فيجب أن يتوفر فيه عنصر الرضا والاختيار ، وبناء عليه فإن البيعة المرتبطة بمعنى الإكراه تعتبر باطلة ، ولا يترتب على وجودها أي أثر ملزم .

قد نتساءل عن الأهمية القانونية لعقد البيعة ، في مجال الفكر السياسي ، والجواب على ذلك ، أن الخليفة لكي يباشر مسؤولياته لا بد له من مصدر يستمد منه شرعية تصرفاته ، وهذا المصدر هو البيعة ، فإذا انعقدت البيعة سليمة ، فإنها تَمُدّ الخليفة بسلطة شرعية يستطيع بها أن يمارس مسؤولياته في السلطة .

ومن المؤسف أن موضوع عقد البيعة من الموضوعات التي لم تدرس دراسة موضوعية ، وبخاصة فيما يتعلق بمقارنة عقد البيعة بالمفهوم الإسلامي ، بمفاهيم الشرعية والسيادة بمفهوم الفكر السياسي المعاصر .

وأعتقد جازماً أن الفكر الإسلامي في هذا المجال قد تفوق تفوقاً واضحاً على الفكر السياسي المعاصر ، الذي استمد أصوله وتصوراته من **نظريات العقد الاجتماعي** التي ظهرت في بداية عصر النهضة الأوروبية خلال القرن السابع عشر والثامن عشر . . .

لا جدال في أن البيعة الإسلامية كانت مظهراً حياً من مظاهر الفكر الحضاري في تاريخ الإسلام ، وأقصد بالبيعة التصور الإسلامي لمفهوم البيعة ودلالاتها ، والتي طبقت بدقة في صدر الإسلام .

ويكفينا أن نسمع كلمة الخليفة الأول لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد مبايعته ، إذ يقول :

« أيها الناس : **إني قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني ، وإن أسأت فقوموني** » ، ثم يقول :

« **أطيعوني ما أطعت الله ورسوله**

فإذا عصيت فلا طاعة لي عليكم».

هذه الكلمة المعبرة تفيد المعنى الدقيق لمفهوم البيعة المقيدة، الطاعة مشروطة بالالتزام، فإن عصى وأخلّ بذلك الالتزام «فلا طاعة لي عليكم» أي أن البيعة في حال عصياني ليست ملزمة لكم...

هذه الكلمة المعبرة العظيمة تعطينا مدلول البيعة الإسلامية الحقيقية الالتزام بالالتزام، والإخلال بالالتزام يسقط البيعة.

ولا جدال أيضاً في أن البيعة التي كانت تجري في كثير من حقب التاريخ الإسلامي لم تكن معبرة عن البيعة الإسلامية بالمفهوم الحقيقي لها، فمن المسلّم به أن التاريخ الإسلامي لا يمثل في كثير في مواقفه التصور الإسلامي كما أراده الإسلام، ولو أننا رجعنا إلى بعض الروايات التاريخية التي تتحدث عن موضوع البيعة وكيفية إجرائها، واطلعنا على بعض النصوص التاريخية للبيعة لتأكد لنا بطريقة قاطعة حجم الاختلاف بين التصور الإسلامي والواقع الإسلامي، وبخاصة عندما نلاحظ أن البيعة كان يقصد بها تأكيد العهد على الطاعة، والحلف بالإيمان المغلظة على وجوب السمع والطاعة.

وقد ذكر **القلقشندي** في كتابه «**صبح الأعشى**» بعض صور البيعات التاريخية المشهورة، ومنها بيعة أخذت على أهل شاطبة في الأندلس **لأبي جعفر المنتصر بالله العباسي**[(٤)]، وتنص تلك البيعة على أن كل من حاد عن مقتضى تلك البيعة المدونة فإن الله بريء منها، وأن كل امرأة يتزوجها فهي مطلقة منه، وأن عليه أن يمشي إلى بيت الله الحرام على قدميه كفارة له، وأن عبيده عتقاء أحرار، وأن جميع أمواله صدقة لبيت مال المسلمين...

وهذا التصور التاريخي لمفهوم البيعة لا يعبر عن المعنى الحقيقي للبيعة الإسلامية، ولا يشير إلى دلالاتها الحضارية والإنسانية، المتمثلة في العلاقة العقدية بين الحاكم وشعبه، ومن المؤسف أن بعض مفكري الإسلام قد أغفل مفهوم العلاقة التعاقدية، واعتبرها مجرد عهد على الطاعة، ومن هؤلاء **ابن خلدون**، الذي اعتبر البيعة هي عهد على الطاعة وقال في ذلك[(٥)]:

«أعلم أن البيعة هي العهد على الطاعة، كأن المبايع يعاهد أميره على أن يسلم له النظر في أمر نفسه وأمور المسلمين، لا ينازعه في شيء من ذلك، ويطيعه فيما يكلفه به من الأمر على المنشط والمكره...».

من المؤكد أن الفكر السياسي الإسلامي لم يتأثر بالفكر السياسي الأوروبي، وذلك لسبب بسيط وبديهي، وهو أن مرحلة ازدهار الفكر السياسي وتدوين آرائه، وتطبيقاته العملية كانت سابقة لنظريات الفكر السياسي المعاصر بعشرة قرون، وبالتالي فإن الفكر الإسلامي قد أسهم على وجه التأكيد في صياغة وتكييف النظريات السياسية التي جاء بها روّاد الفكر السياسي المعاصر في بداية عصر النهضة الأوروبية...

ويجب أن نأخذ بالاعتبار هنا أن كثيراً من علماء أوروبا ورجال الكنيسة خلال العصور التي أدت إلى النهضة الأوروبية الحديثة كانوا يتلقون علومهم في الجامعات الإسلامية، وبخاصة في **مدينة فاس** المغربية التي تحتضن **جامع القرويين الذي يعتبر من أقدم الجامعات تاريخاً، ومن أكثر المؤسسات الإسلامية التي أسهمت في التعريف بالفكر الإسلامي خلال قرون.**

وأعتقد أن ما جاء به «**لوك**» في نظريته عن العقد الاجتماعي يعتبر من بديهيات الفكر الإسلامي، ويقول في مفهومه للعقد الاجتماعي بأن هذا العقد لا يتضمن إعطاء صلاحيات مطلقة للحاكم، وبالتالي فإن سلطات الحاكم تعتبر مقيدة، وإن العقد المبرم بين الحاكم والمحكوم يتضمن التزامات معينة تلزم كلاً من الطرفين، وبناء عليه فلا يجوز للحاكم أن يمس الحقوق الطبيعية للإنسان، لأنها حقوق ثابتة للإنسان قبل دخوله في الجماعة السياسية المنظمة، وهذه الحقوق تقيد سلطات الحاكم، وتحدد صلاحياته بما يعود على المجتمع بالخير والأمن، فإن خرج الحاكم عن مقتضى الاتفاق المبرم بينه وبين رعيته كأن استبد بالحكم من دونهم، أو اعتدى على حقوقهم الطبيعية، فعندئذ يعتبر ناقضاً للاتفاق المبرم...

وهذا التطور الذي قدمه «لوك» لا يعتبر جديداً في نظر الفكر الإسلامي ولا يمثل تطوراً في تاريخ الفكر الإنساني، وإذا كان هناك من تطور، فإن الفكر الإسلامي هو مصدر ذلك التطور، ومبدعه، ليس فقط في مجال الفكر النظري، وإنما أيضاً في مجال الممارسة الفعلية للحكم، واعتبار ذلك جزءً من عقيدة المسلم، لا تتكامل عقيدته إلا بها، ولا يصح اعتقاده إلا بالإيمان بها.

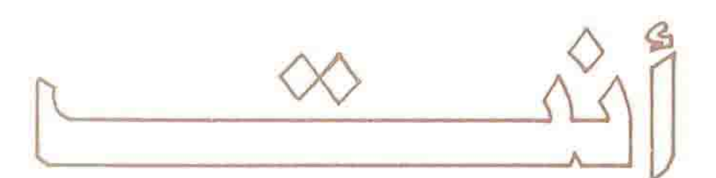
وإن «**جان جاك روسو**» لم يقدم تصوراً جديداً لم يأت به الفكر الإسلامي في مجال الفكر السياسي، وإذا كان لتلك الآراء من أثر فهي – على وجه التأكيد – منحصرة في الفكر الأوروبي المعاصر، الذي كان يؤمن بفكرة السلطة المطلقة للحكام، انطلاقاً من **النظريات «التيوقراطية»** التي كانت غايتها تبرير السلطة التي يتمتع بها الحكام في مواجهة المحكومين، وإذا كانت تلك النظريات قد احتضنها الفكر السياسي الأوروبي لمدة قرون، وقامت على أساسها كثير من السلطات المطلقة، فإن الفكر الإسلامي – انطلاقاً من مبادئه الاعتقادية الأساسية – قد أسقط كل تلك النظريات وأقام العلاقة بين الحاكم والمحكوم على أساس «**البيعة الشرعية**» المعبرة بصدق عن طبيعة العلاقة التعاقدية الحرة بين المواطن والحاكم.

الهوامش

(١) انظر صبح الأعشى للقلقشندي، جـ ٩، ص ٢٧٣.
(٢) انظر الأحكام السلطانية، ص ١٧، والأحكام السلطانية لأبي يعلي، ص ٤.
(٣) انظر الأحكام السلطانية، ص ١١.
(٤) انظر صبح الأعشى، جـ ٩، ص ٣٠٨.
(٥) انظر مقدمة ابن خلدون، ص ٧١٩.







عندما آوي إلى فراشي كل ليلة أتعجب كيف مر اليوم . من لحظات فحسب كنت في هذا الفراش ، وها أنا فيه ، يخيل إليَّ أحياناً أنني لا قمت ولا ذهبت ولا جئت ولا كتبت ولا قرأت ! وأن النهار كله لحظة فحسب . في كل مرة أجلس في المسجد لصلاة الجمعة وأسند ظهري إلى عامود وأصغي للخطيب أحس وكأن ما أسمع هي خطبة الجمعة الماضية اتصلت حتى الآن كأن لم ينقض بين الاثنتين أسبوع كامل . كيف مضى هذا الأسبوع ؟ لا أدري . والذي قبله ، والذي قبله ، وأهز رأسي : لا أدري ! .

أحياناً أحس أننا في مركبة تمر كلمح البصر ونحن فيها قعود لا ندري كم قطعت ، وكم بقي لنا فيها . أحياناً أخرى أحس وكأنني أجري وراء المركبة أحاول اللحاق بها دون جدوى ، أحياناً أخرى أحس وكأنها هي التي تجري ورائي لتدركني ، وعندما تدركني – وهي مُدْرِكَتي – سينتهي كل شيء .

إنه الزمن ، إنه ذلك الشيء الذي يمضي بالكون كله إلى حيث قدر علام الغيوب ، إنه شيء هائل غلاب لا يعلمه إلا خالقه سبحانه ، وكل الذي لي منه هو ما قدر الله لي من سنوات العمر وهي – مهما طالت – لا تبلغ أن تكون لحظات . هذه اللحظات هي الأجل المضروب لي ، وعليَّ أن أجعلها لحظات خير لي وللآخرين . هنا أذكر حديثاً نبوياً شريفاً يقول : اليوم رهان وغداً سباق والموعد الجنة . الرهان هو ما قدر لك من العمر ، والسباق ما تستطيع أن تفعله في ذلك العمر لكي تكون من أهل الجنة في الموعد . عندما أذكر كلمة السباق تعود إلى ذهني صورة المركبة التي تخطف الأرض بسرعتها وألاحقها فلا أدركها .

لقد كان بعض الصالحين يعتزل الدنيا والناس ويقضي وقته في العبادات والطاعات . هؤلاء الناس تركوا المركبة تطير وصنعوا لأنفسهم زماناً خاصاً بهم . إنهم يتعبدون ويتفرجون على المركبات الرائحة والغادية في سباق محموم لا يدري أحد غايته ولا معناه . إنهم يتعجبون من أمر المجانين الذين يلاحقون مركبة الزمان . فلسفتهم يصورها قول الزاهد عبد الكريم القشيري : لا تجر وراء الدنيا ولا تدعها تجري وراءك واصرف وقتك في البحث عن قلبك ، إذا وجدته فقد أوفيت على الغاية وبلغت راحة الدنيا ونعيم الآخرة .

لقد نظرت الكاتبة الفرنسية سيمون دي بوفوار إلى المرآة فهالها ما رأت من تجاعيد وجهها وشيب شعرها وقالت : هو الزمن ! هو الشيء العجيب الذي لا نراه ولا نحس به ولا نعرفه ولكنه أقوى ما يؤثر فينا ويصنع حياتنا . إن سنوات عمري الماضية كلها هنا على كتفي ولكني لا أحس بها على كتفي . إنني أحس بها في وجهي وشعري . هل أنا هي الشابة الرقيقة ذات البشرة الصافية والعيون المتفتحة للحياة دون أن تكون في وجهها تجعيدة واحدة ؟ ربما أكون أنا هي ، وربما لا أكون . على أي حال فإن الزمن لا يخيفني لان التجاعيد لها عندي معنى بعيد فهي التي تعطيني هدوء النفس ، فأنا بفضلها أشعر أنني أقوى من عواصف النفس ومطامع الدنيا . إن هذه التجاعيد هي أنا ولولاها ما أحسست بنفسي . إنني أحاول إخفاءها عن

والزمان

الناس ، ولكني لا أريد إخفاءها عن نفسي . معظم متاعب النساء تأتي من أنهن يحاولن إخفاء التجاعيد عن أنفسهن .

في ساعات الهدوء أشعر برهبة الزمن ، عندما أجلس في غابة ومن حولي وفوقي الأشجار السامقة أسمع دقات قلبي فأخاف أحياناً وأطمئن أحياناً أخرى . إنني أحب الجلوس في الغابات في الربيع والصيف ، وزوجتي تتعجب من أنني أقوم برحلة طويلة من بلدي إلى بلاد الغابات لكي أجلس بين الأشجار أتأمل الدنيا والناس كما يفعل العُبَّاد والزهاد ، في هذه الجلسات الطويلة أحس أنني تخلصت من حمى الزمان . هذه الأشجار أيضاً بلا عمر . بعضها عمرها سنوات قلائل وبعضها الآخر عمرها مئات السنين ، ولكنها كلها خضراء جميلة قوية قائمة بجذوعها الطويلة الذاهبة في السماء ، وأنت لا تعرف مَن منها الشابة ومَن منها العجوز . كلها خضراء سواسية ، وكلها ممشوقة القوام منسرحة الجذوع سواسية . لقد تخلصن من الزمان وأسره وسلطانه ، وعندما تنتهي أعمارهن سيمتن واقفات ، وها أنا بينهن لا أعرف منهن حية ومن منهن ميتة . في هذه اللحظات أتمنى لو كنت أنا شجرة حتى يتلاشى عندي معنى الزمان وأتخلص من سباق الحياة . هذه الأشجار أسعد مخلوقات الله فهي تسبح له سبحانه في سكون ، والحياة تتدفق في كيانها ومع ذلك فهي قانعة بما قسم لها ربها من أرض ، ولهذا فهي لا تجري ولا تعرف سباق الحياة ، وهي تعين خيرها على الحياة طواعية وعن نفس راضية ، فهذا سنجاب صغير جميل يلمع شعره الأسود وتبرق عيناه بماء الحياة الدافق في كيانه . يقولون إن السنجاب أكثر مخلوقات الله حيوية فهو يجري صاعداً هابطاً من الفجر إلى الغسق ، وهو يقفز من شجرة إلى شجرة ويفرد ذيله الكبير لكي يطير في الجو ثم يهبط على الشجرة في خفة لا يكاد يخدش لحاءها .

سبحان ربي : جمع بين أكثر المخلوقات حيوية وأقلها حركة في توافق لا تدركه الأبصار ، فالشجرة هي حياة السنجاب وهو أيضاً حياتها ، فهو يخلصها من الطفيليات ويأكل ما زاد على حاجتها من لحائها حتى تتنفس . هذا كله أحس به وأراه وأنا جالس بين الأشجار بعيداً عن الزمن وحمى الحياة ، ثم يتعجبون من أنني أقطع الأميال لكي أنعم بتلك اللحظات .

إن الزمان هو أنت ، فأنت موجود بقدر ما يقسم لك من لحظات العمر ، وحياتك محسوبة بأنفاسك ، والسعيد منا من صالح بين نفسه وزمانه ، فلا هو يلهث وراء الدنيا ولا هو يأذن لها في أن تدفعه فيتعثر . يسعى في مناكب الرزق الحلال بكل جهد ولكنه لا يأخذ إلا ما هو حقه ويقنع بهذا الحق ، وسواء أكان ما تأخذه كثيراً أم قليلاً فهو حقك من جهدك الحلال ، وعندما تنتهي من زحمة يومك وتدافعك فيه ، وتأوي آخر النهار إلى فراشك لا تأسى ولا تخف ولا تأذن للدنيا الغرورة بأن تنسيك نفسك ، واذكر الحديث القدسي : إن روح القدس ألق في روحي أن نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها .

د.حسين مؤنس



شعر : جورج رجي

بلادُكَ عنوان ... ويومُكَ مَوعدُ
تباركتِ الخمسون* ... والعز مولدُ
تُواكبكَ الأعوام مَلأى ... بنشوةٍ
تؤرخ ما أبقيتَ نهجاً يُمجَدُ
ولو رافقَ الذكرى استراحة سيرةٍ
فإرثُكَ باقٍ ... والنضالات تشهدُ
يُكمّلُهُ الأبناءُ ... بعدكَ ... بَيعة ...
وواحدُهُمْ ... في الملكِ رمز ... ومُفردُ
ومملكة الأيمانِ قامت ... وشعبُها
أخٌ للمروءات الأصيلات ... سيّدُ
حنانَكَ يا ليلَ الرياض ... بنفحةٍ ...
تجلّيتَ إشراقاً : وضوؤكَ أسودُ
تطيبُ الأعالي ... في مراميكَ ... رقة ...
وتغمرُها رياكَ ... بأساً ... وترفدُ
وتَنأى ... إذا تندى الكرامة ... مطمحاً ...
فرجعُكَ غلاّبٌ ... ولينُكَ أمردُ
وألوان ما لوَّحتَ ... في وثبةِ المَدى ...
تُوقّعُ أهدافَ الإباءِ ... وتُنشِدُ
وتَهمسُ «نجدُ» ... في حناياكَ ... عزمَها
وتتبعُها هبَّتٌ ... وفجرُك يُنجِدُ
أتاكَ الذي أعطى البطولات ذكرَهُ ...
يُحرّرُ غايات المُنى ... ويُوحدُ
أتى أملُ التاريخ ... يَرعَى جزيرةً ...
تشوّقتِ اللُقيا ... جهاداً ... يُجدّدُ
ويبعث للماضي ... إرادةَ أمةٍ
زهَت حاضراً ... في صوتِهِ ... ولها الغَدُ
ويجمعُها ... في حكمِهِ ... عربية ...
على لغةِ القرآنِ ... واللهُ مُرشِدُ

فنها ... هُنا ... كانت حضارةُ أعصُرٍ ...
هُنا عَربٌ : إذ يُطلب الدورُ ... يُسندُ
مَليكَ الوَفَا ... عبد العزيز ... تحية ...
وعفوكَ ... إن يَغشَ صَدَاها ... تَلبُدُ
أطلَّ من العلياءِ -يَرحمْكَ ربُها-
وحدّقْ بدنيانا ... وعونُكَ يَرصدُ
وهدْئ ... إذا ما خيبتكَ فواجعٌ
ألَمّت ... وأنتَ الرأيُ يُرجى ... ويُقصدُ
توالت خُطوبٌ ... وادلهمَّت مصائرٌ ...
وزُعزعتِ البلدان ... والحلُّ مُوصَدُ
وهانَت على أهلِ العروبةِ ... فتنة
تُبيدُهُمُ ... والوعيُ فيهم مُبدّدُ
أراض ... وأقطارٌ ... شعائرُ ... أنفسٌ ...
يُدنّسُها الأعداءُ ... والردُ يُفقَدُ
فلسطينُ ... كم نبهتَ من أجلِ نصرتها ...
فضاعَت ... ولا زالت تُسامُ ... وتُوأدُ
ولبنان ... واستقلالُهُ ... كمْ دعمتَهُ ...
فصارَ ... والاستقلالُ فيهِ ... مُهوَّدُ
سَماحَكَ ... فالأطماع عمَّت ديارَنا ...
كلا مشرقٍ ... أو مغربٍ ... يَتهدَّدُ
تحاسِبُهُمْ .. تلق زعاماتهم دمًى ...
سَعت تتولى الحكمَ ... والشعبُ مُبعَدُ
سَليلَ العُلى ... عبد العزيز ... وما ترى ...
مليكاً ... أبا هذي الملوكِ ... تُخَلّدُ
سعودُ ... رَعى نجواكَ ... في فسحةِ الدُنى
وعبَّرَ عن نُعماكَ ... والعطفُ يُسعدُ
وفيصلُ ... قادَ الملكَ ... يسمُو بنهجِهِ ...
ويَحمي ضَمانات التُقى ... ويُشيّدُ



وخالدُ ... ظلُ الخيرِ ... والحبُّ ... عهدُهُ ..
تَوسَّم في الأسلافِ ... ذخراً يُرَدِّدُ
وفهدُ ... مليكُ القلبِ ... والعقلِ ... والرؤى ...
يناشدُهُ الكون القرارَ ... فيعضدُ
وإن ينتظرْ كلُ العواصم نُصحَهُ ...
فحكمة ما خلَّفت ... حقٌ مؤكدُ
نيابة عبد اللهِ ... حُسن اختيارهِ ...
وليًا لعهدِ الفهدِ ... عدلٌ مُوطَّدُ
ونائبُهُ الثاني ... وسُلطانُ ... همُّهُ ...
دفاع عن الأقداس ... دوماً مُجنَّدُ
بنون ... وأحفادُ ... حُماةُ قضيةٍ ...
وآلُ سعودٍ ... كلُهُمْ ... نعمَ مَحْتِدُ
تلاقوا ... على الشُورى ... صواباً ... ومسلكاً ...
وأسْرتُهم ... فيها عميدُ ... محمدُ
تراثُكَ ... يا عبدَ العزيز ... بدولةٍ
هداها كتابُ اللهِ ... يُفدى ويُحمدُ
تنامَت ... ودامَت ... في شموخ نظامها ...
مثالا ... لكلِّ المكرمات ... يُقلَّدُ
إذا ذكرت ... بين الشعوب ... محاسن ...
فأحلى العلاقات ... سلامٌ مُسَعْوَدُ
تقومُ الصداقات ... على ما رسمتَهُ ...
وفي عنفوانِ الصدقِ ... حلمُكَ أجودُ
خُلودُكَ ... للأزمانِ ... مُنْشِئُ وحدةٍ ...
سياسَتُها ... في الأرض ... نُبلٌ ... وسُؤددُ

الهوامش

★ في الذكرى الخمسين لتأسيس المملكة العربية السعودية .

تتداخل في تكوين التجربة الشعرية عناصر الذات والموضوع والخيال والعاطفة والإحساس والفكر والموسيقى والصورة واللغة وتقنية البناء، لكنها في النهاية تصبح كلاً متداخلاً لا ينفصل فيه عنصر عن عنصر، أي أن ما نسميه بالفكر أو الخيال أو العاطفة لا يعيش داخل التجربة الشعرية مستقلاً بخصائصه الأولية التي كانت له قبل أن يصبح جزءاً من كل التجربة، ولكنه يعيش حياة التجربة بكاملها، بمعنى أن كل العناصر التي تشترك في تكوين الشكل النهائي للتجربة الشعرية تصير عناصر التجربة والتجربة ذاتها، أي أنها تفقد وجودها المستقلة فيما هي صائرة إلى وجود واحد آخر، (فجميع العناصر التي جرت العادة على تمييزها في الشعر «الإيقاع، موسيقى الحروف المتحركة، الصور، المعنى، الانفعال، وما إليها» تشارك، أو بعبارة أدق يشارك تذوقها، في إيجاد التجربة الشعرية) كما يقول هاملتون[1].

إطار التجربة الشعرية

والتجربة الشعرية تعني في النهاية معايشة كاملة لإحساس معيّن، من بدء ملاحظته، إلى تخلّقه فنياً، إلى تشكّله النهائي عالماً له وهجه واقتداره على الحلول فينا بشكل معيّن يدفعنا دفعاً إلى خلقه في إطار فني، كما خلقنا هو على مستوى عاطفي وفكري.. وبديهي أن معايشتنا لإحساس معيّن لا تعدّ (تجربة شعرية) إلا إذا تحققت بالفعل في عمل شعري يحمل بَوحها ومخاضها جميعاً، فإذا استطاع العمل الشعري أن يقتنص إيقاع هذه التجربة في تناغم واتساق فقد أعطى تجربة شعرية ناجحة، أما إذا أفلت الخيط من يده، وتخبّط في رحلة التعبير من بدء إلى ختام، ومن ختام إلى بدء، ومن توهج إلى انطفاء، ومن انطفاء إلى توهج، دون وعي بنائي بما يفعل. فقد أحبط تماماً في إعطائنا تجربة شعرية حقيقية.

قد يقصد الشاعر إلى عبثية الترتيب المنطقي، أو إلى إحداث نوع من الفوضى الذهنية والعاطفية في القصيدة، ليثير إحساساً معيّناً، أو يخلق حالة معادلة تشي بتشوش الأشياء وهنا تكون تجربته الشعرية تجربة ناجحة. أما إذا حدثت الفوضى وعبث الترتيب على الرغم من إرادته الفنية، أو تحت ضغط قصور معيّن من وعيه البنائي، فإن التجربة الشعرية تصبح تجربة جهيضة، وتصبح القصيدة خالية من حسّ التجربة بلا حدود.

وليس معنى التناغم في معايشة التجربة أن يحبس الشاعر نفسه في (موضوع) معيّن لا يتعداه من خلال القصيدة، إلى ما سواه، كما يحاول بعض الباحثين أن يفهم من مصطلح التجربة.. (فالموضوع) أساساً لم يعد هماً من هموم القصيدة الحديثة، وربما أعطى تزاحم الأضداد في مضمون القصيدة شعراً أروع بكثير مما يعطيه الخاطر الواحد المستقصى، المهم هو أن يظل الشاعر قادراً – من خلال وعيه البنائي – على حبسنا بين قوسين من عالم القصيدة فلا نفلت منه لا إلى الملل، ولا إلى المراقبة من خارج القوسين، ولا إلى الصحو الكامل الذي ينفينا خارج الحالة الشعرية...

الشعر.. بين التجربة والذاكرة

إن الفرق الحقيقي بين **شعر (التجربة) وشعر (الذاكرة)**: أن شعر التجربة غائص في قرارة الأشياء، بينما يكتفي شعر الذاكرة بالطواف من حولها.. وأن شعر التجربة (يكتشف) في كل مرحلة أصقاعاً جديدة، بينما (يتذكر) شعر الذاكرة معالم اكتشفها له سابقوه.. وأن شعر التجربة (خلق) عالماً لم يكن مخلوقاً، بينما يكتفي شعر الذاكرة (بوصف) عالم مخلوق بالفعل.. وأن شعر التجربة يسير في استقصاء الخاطر سيراً (عُمْقياً)، بينما يكتفي شعر الذاكرة في استقصائه للخاطر بالسير على مستوى (أفقي).. وأن شعر التجربة يحاول الوصول من خلال الجزء إلى الكل، بينما يكتفي شعر الذاكرة بالتلكؤ على هوامش الأجزاء.. وأن شعر التجربة يمثل مغامرة في الكون بالفن، وفي الكون والفن، وفي الكون الفن، بينما يكتفي شعر الذاكرة بإيلاف المكرور الذي يحتذي قامات من سبقوه، ويكبّ على آثار أقدامهم تأملاً وتقليداً.. وأن **شعر التجربة يعطينا وجه شاعره المتفرد الواضح بينما يكتفي**



شعر الذاكرة بارتداء كل أقنعة الآخرين .

وينبغي أن نعي حقيقة أولية ، وهي أن هذه الملامح الفارقة بين شعر التجربة وشعر الذاكرة هي هي الملامح الفارقة بين **شعر (الصدق الفني) ، وشعر (الصنعة الكلامية)** ، لأن الصدق في النهاية هو الفصل بين حقيقة التجربة وقشريتها ، فالمعاناة الحقيقية المبدعة في الفن هي المدخل إلى الفن الحقيقي المبدع . ولكن من الضروري أن نلاحظ أن الشاعر لا يعاني هنا ـ بالضرورة ـ معاناة مباشرة ، ولكنه قد يعانيها بالمعايشة العاطفية وديمومة التفكير في إيقاعها كما هي ، أو كما هي عند الأغيار ، وهو حين يستدعي فكره وذاكرته وخياله وعاطفته ليعيش التجربة الغيرية فإنما يؤهل نفسه بالضرورة لمعانقة (الصدق الفني) فإذا استطاع أن يمارس فعلاً فنياً على مستوى إيجابي . . وإذا كان الشعر يتولّد من (الرغبة الجائعة) لا من الرغبة المشبعة التي لا يتولّد عنها شيء ما ـ كما يقولون[٢] ـ فإن عطش الشاعر إلى ممارسة الفعل الكلي ، في نفس الوقت الذي هو فيه محاصر بمحدوديته البشرية ، يمكن أن يشعل فيه هذا العطش الأسطوري الكوني بلا ملال .

إلا أننا هنا مضطرون إلى التنبيه على أن (الصدق الفني) ليس هو الصدق التاريخي الذي يطالب بالمطابقة بين الواقع الشعري والواقع التاريخي . وليس هو الصدق الأخلاقي الذي يطالب بهذه المطابقة من منظور الالتزام بالوجهة الأخلاقية المفارقة للكذب الأخلاقي . ولكنه الصدق الفني الذي يطالب بما وراء المطابقة أو المفارقة ، من الالتحام العاطفي والفكري والخيالي بموضوع التجربة ومفرداتها جميعاً . وتجسيد هذا الالتحام في واقع شعري يتجاوز حتى موضوع التجربة ومفرداتها . إلى خلق عالم آخر معادل ، فيما هو مستقل ، لعالم التجربة الحقيقي ، من خلال أصالة ذاتية تمنح الشاعر جواز مروره الدائم إلى ذاته وليس إلى محفوظه عن الغابرين .

التجربة . . والموضوع

وليست عظمة التجارب في عظمة موضوعها الجليل والجميل ، ولكن التجربة قد تنحني على الموضوع العادي أو حتى الرديء وما تزال تنفذ في أقطاره من عمق إلى عمق ، حتى يصبح عالماً فنياً جليل الجمال أو جميل الجلال إذا شئنا أن نقول .

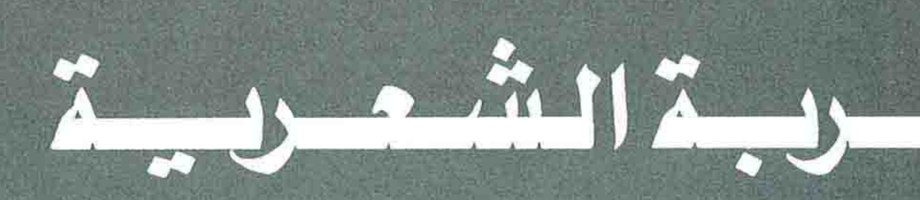
وهذا يؤكد أن الكون بكامله موضوع للقصيدة الشعرية ، وأنه ليست هناك موضوعات غير شعرية ما دامت هذه الموضوعات تصادف شاعرها الحقيقي القادر على تفجير الخلود في حصى الوادي ، وبائعة الخبز ، وصغائر الأشياء ، **إن الشاعر الرديء لا يستطيع أن يعطي تجارب شعرية ممتازة حتى لو كان موضوعه تذكرة ترام ، أو حشرة من هوام الطريق** . كل ما هناك هو أن يكون الشاعر على قدر من الوعي البنائي يتيح له أن يعكس تجاربه في أشكال شعرية تتسم بالمهارة الفائقة ، والتنظيم السليم ، فليست عظمة الموضوع ، حتى ولا حدة التجربة ، هي التي تهب التجربة قيمتها الحقيقية (وإنما الذي يضفي قيمة على التجربة هو تنظيم الدوافع فيها تنظيماً تنتج عنه الحرية والحياة الفنية)[٣] . وإذن فسّر قدرة الشاعر غير العادية كما يقول **رتشاردز** (هو إلى حد ما في أن هذه التجارب أثناء معاناته لها تتسم بقدر من النظام أكثر من العادي . ويرجع ذلك إلى كون الشاعر يتميز بقسط غير عادي من اليقظة ، فتنشأ في ذهنه علاقات لا تظهر في ذهن الرجل العادي الذي يتصف بالجمود ، والذي لا تتداخل دوافعه بحرية)[٤] .

وإذن فليست قيمة التجربة في كون موضوعها يكون جليلاً أو ضئيلاً ، ولكن قيمتها الحقيقية في كون شاعرها يكون شاعراً أو غير شاعر ، كونه يكون قد أحس هذه التجربة إلى حد المعاناة أو يكون قد لفقها هكذا بلا حس وبلا معاناة .

التجربة الشعرية . . والنقد

ويبدو تحليل التجربة الشعرية (نقدياً) عملاً باهظاً بلا حدود ، يقول **هاملتون** : (إن ناقد الشعر يبدو في موقف صعب ، فالتجربة الشعرية شيء متماسك ، وهي موضوع محيّر للإستبطان فهي عضوية فردية ولا يمكن تقسيمها ، كما أنها تتعدّل أثناء نموّها . فكيف

بقلم : د . محمد أحمد العزب



إذن يستطيع الناقد أن يحللها تحليلاً مفيداً ؟ ما الذي يصنعه حينما يتحدث عن هذا العنصر من القصيدة أو ذاك ، عن الشكل أو المضمون ، الصوت أو الصور ، الفكر أو الانفعال ، كما لو كان في الإمكان تقسيم القصيدة إلى هذه الأجزاء ؟ .

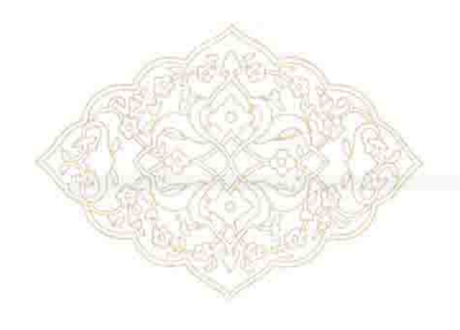
يجب علينا في المقام الأول أن نوضح هذه النقطة . وهي أنه ما من ناقد يستطيع أن يفسّر القصيدة تفسيراً كاملاً ، لأنه ما من ناقد يستطيع أن يفسّر تجربته تفسيراً كاملاً حتى لنفسه ، فقد يجد عدة أسباب لإعجابه ، ولكن مجموع هذه الأسباب مهما كانت صحتها ، « وقد يكون الناقد مخدوعاً فيها بلا شك » لا يوازي تجربته كلية ، تلك التجربة الفريدة المنسقة تنسيقاً كاملاً ، وفضلاً عن ذلك فإن تجربة القصيدة يكتمل نموّها في نهاية عملية حيوية وتأخذ الصورة التي هي عليها بسبب هذه العملية ، وقد يقترب الناقد من الفهم الكامل لنفسه إن حاول أن يحلل لا لإعجابه النهائي فحسب ، وإنما إن حاول أيضاً أن يتذكر كيفية نموّ إعجابه .

غير أن الخطوات التي مرّ بها أثناء تطور إعجابه ، والأسباب التي يظهر أنها دعته إلى هذا الإعجاب ، هي حلقات منفصلة ، ومهما كانت جودة السلسلة فإنها لا تعادل العملية الحيوية التي كانت متصلة . . . وهكذا فالأسباب التي هي مجردات لا يمكنها تفسير التجربة المحسوسة تفسيراً كاملاً ، وإن كان بمقدورها أن تلقي ضوءً عليها ، **إن واجب الناقد أن يحلل ولكن متى ضاعت كلية التجربة وتفككت عراها عن طريق التحليل ، أصبح من المستحيل إعادة تركيبها بنفس الصورة التي كانت عليها من قبل**[٥] .

ولعل مما يسهّل على الناقد تتبع مراحل النمو في التجربة الشعرية احتفاظه بالانطباع الأول الذي يتلقاه عن هذه التجربة ، ثم مقارنته بين مرحلتها النهائية ومرحلتها السابقة ، ليس بمعنى أنه يكتشف في المراحل النهائية عناصر جديدة أضيفت إلى المراحل الأولى ، ولكن بمعنى أنه يلاحظ أن تيار الإبداع وإيقاع الخلق قد تغير كله ، بحيث يؤلف في كل مرحلة كلًّا متكاملاً وليست مرحلة ، وعلى هذا الأساس فإن التجربة النهائية التي قد تتعدى أي تجربة سابقة لها (ليست كلًّا أكبر نصل إليه عن طريق الجمع بين أكثر من كل أصغر يحتويه هذا الكلّ الأكبر ، كما لو كانت المسألة مكانية صرفة ، ولكنها كلّ متماسك بشدة ، وأكثر تعقيداً في تركيبه وأدقّ نظاماً)[٦] .

ومن هنا يصبح على الناقد أن ينظر إلى التجربة الشعرية على أنها كلّ متدامج يفقد فيه كل عنصر خصائصه الأولى ليستحيل حجراً في بناء خصائص كلية تتسم بها التجربة على نحو من العموم والشمول ، فإن (كل عنصر من عناصر تجربتنا لقصيدة من القصائد ملون بلون جميع العناصر الأخرى ، فلولا معنى الأبيات وإيقاعها وتأثيراتها الحسية واللمسية وما إليها لما كان لهذه الأبيات صوتها الذي يميّزها . كذلك لولا صوتها وإيقاعها وغير ذلك من الصفات الأخرى لما كان لها معناها الذي نجده فيها)[٧] .

وإذن ، فلكي يصل الناقد إلى فهم وتقييم التجربة الشعرية ، فإن عليه أن يتلبس حالة الشاعر لحظة الإبداع ، وأن يسلّح نفسه بالاقتدار المميّز الذي يفصل بين نوعية من التجارب ونوعية أخرى ، وأن يمتلك إمكان الحكم السليم على القيم الفنية التي تنحني عليها التجربة[٨] .



الهوامش

(١) هاملتون : الشعر والتأمل ، ص ٨٨ .

(٢) انظر : النقد الأدبي الحديث ـ للدكتور محمد غنيمي هلال ، ص ٣٩٣ .

(٣) رتشاردز : مبادئ النقد الأدبي ، ص ١٨٦ ـ ١٨٧ .

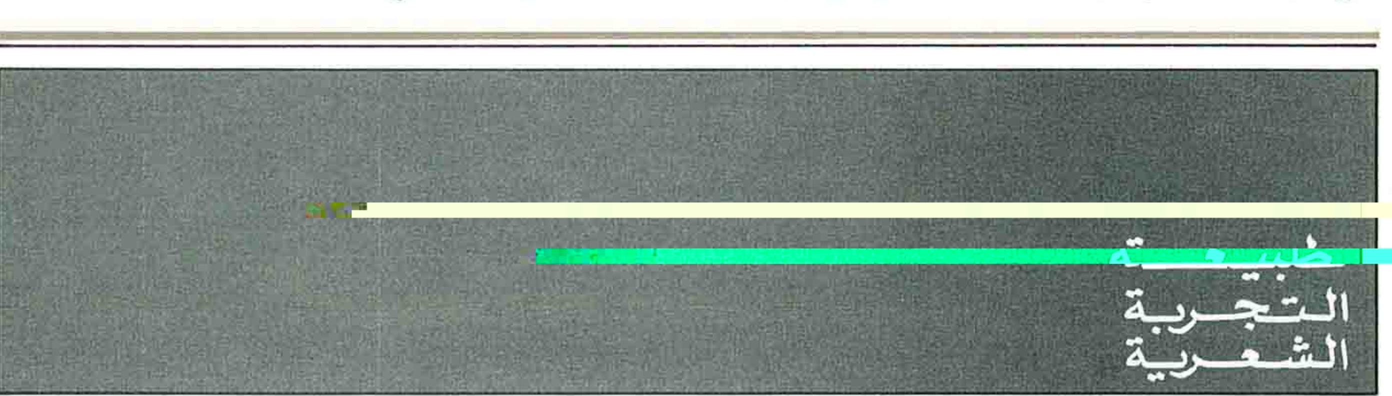
(٤) رتشاردز : مبادئ النقد الأدبي ، ص ٢٤٣ .

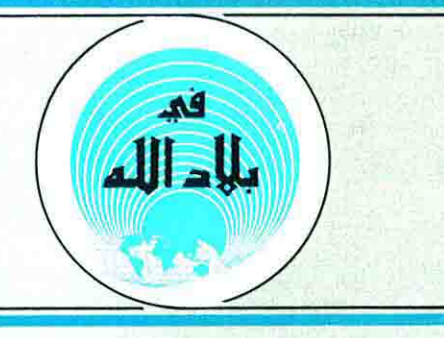
(٥) هاملتون : الشعر والتأمل ، ص ٨٤ ـ ٨٥ .

(٦) هاملتون : الشعر والتأمل ، ص ٦٨ .

(٧) هاملتون : الشعر والتأمل ، ص ٥٣ ـ ٥٤ .

(٨) انظر : مبادئ النقد الأدبي ـ لرتشاردز ، ص ١٦٦ .





تايلاند

أرض الأحرار وبلد المتناقضات والعجائب

بقلم: زكريا يحيى لال

★ قصر «فوفنج» على إحدى الروابي التايلاندية ★

تمثل «تايلاند» مملكة سيام سابقاً حيث تقع في شرقها: «لاوس وكمبوديا»، وفي الغرب: «بورما»، وفي الجنوب: «ماليزيا».

وتعتبر هذه المملكة القديمة «الدولة الوحيدة في جنوب شرقي آسيا» التي لم تحكمها قوة استعمارية أوروبية واسمها الرسمي «موانج تاي» أي [أرض الأحرار].. ومنذ الحرب العالمية الثانية حدثت بها عدة انقلابات عسكرية وتغيرات في الحكومة كان آخرها ما حدث في أول أبريل (نيسان) ١٩٨١م، لكنه لم ينجح.. إلا أن تايلاند ظلت من أكثر بلاد جنوب شرقي آسيا نجاحاً واستقراراً.

تايلاند
أرض الأحرار وبلاد المتناقضات والعجائب

★ نماذج من الطراز المعماري التايلاندي ★



جغرافية تايلاند

يمكن تقسيم **تايلاند** بشكل عام إلى خمس مناطق تبعاً لطبيعتها الجغرافية :

(١) **الجبال الشمالية** : وهي منطقة أراضي مرتفعة وعرة ، وتشمل كل القمم التي تفوق ٦٠٠٠ قدم (١٨٢٥ متراً) فوق سطح البحر . . وأعلاها دوي انثانون (٨٥١٢ قدماً) = ٢٥٩٥ متراً بالقرب من بورما .

(٢) **السهل الأوسط** : وهو منخفض ، مثلث الشكل يمتد ٣٠٠ ميل (٤٨٥ كيلومتراً) من الشمال إلى الجنوب . . ويمكن إعادة تقسيمه إلى منطقتين عليا ودنيا . . والمنطقة الثانية تحتل « **دلتا تشاو فرايا** » وهي أكثر مناطق البلاد ازدحاماً بالسكان وتقدماً في الزراعة .

(٣) **هضبة كورات** : وهي أرض مرتفعة تقع شرقي تشاو فرايا ، ولها سطح يمتد في هدوء ، وتقع على ارتفاع عام يبلغ ٥٠٠ قدم (١٥٠ متراً) فوق سطح البحر ، وتوجد سلسلة تلال منخفضة هي « **فوفان** » وتفصل روافد الميكونج الصغرى عن مجموعة تشي ــ مون الشرقية .

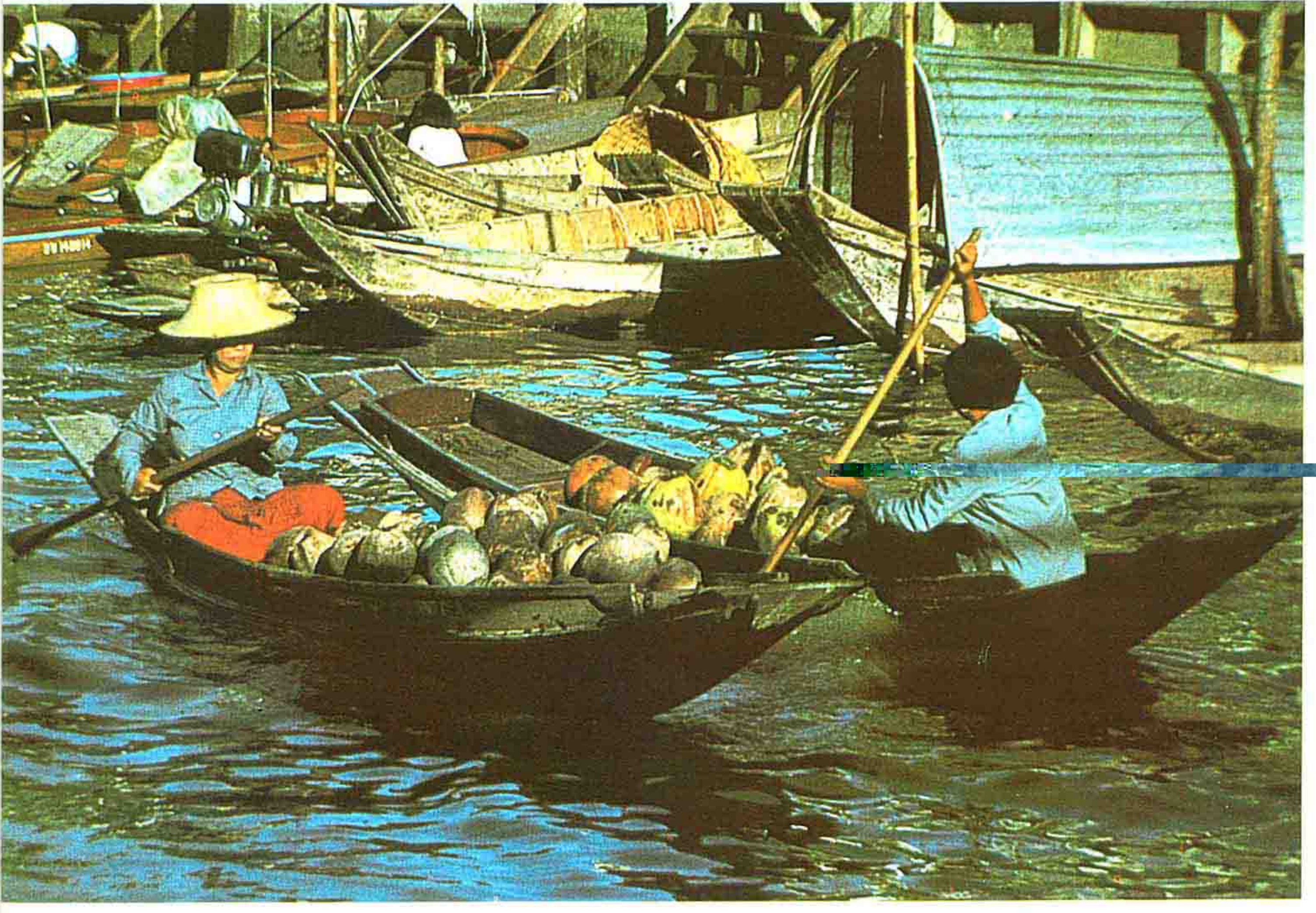
(٤) **سلاسل الجبال والوديان في التلال الجنوبية الشرقية** : وتمثل الامتداد الشمالي لسلاسل كمبوديا الغربية ، وتتجه غالباً من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي .

(٥) **شبه جزيرة تايلاند** : وهي منطقة تلال منخفضة تمتد من سلسلة « **جبال تينا سيريم** » في اتجاه جنوبي داخل ماليزيا .

وتتصل غالبية **أنهار تايلاند** إما بمجموعة « تشاو فرايا » كما هو الوضع في شمال البلاد ووسطها ، وإما بمجموعة « تشي مون » في الشمال الشرقي ، وأكثر الأنهار طولا هو « **نهر نان** » الذي ينساب حوالي ٦٢٠ ميلاً (١٠٠٠ كيلومتر) قبل أن يتصل بتشاو فرايا .

ويسود غالبية تايلاند جو مداري موسمي

★ السوق العائم .. الذي اشتهرت به تايلاند ★



يتميز بتتابع محدد جداً للمواسم الممطرة والجافة ، ويحل الموسم الممطر مع المونسون الجنوبي الغربي ، ويدوم من مايو (أيار) إلى سبتمبر (أيلول) وتتلقى أكثر المناطق حوالي ٧٠٪ من أمطارها السنوية في هذا الموسم ..

إلا أن إجمالي الأمطار يتفاوت تبعاً للتعرض للرياح الموسمية ، ولبعد المنطقة نحو الداخل .. ويأتي معدل الأمطار في المناطق الداخلية بحوالي ٥٠ بوصة « ١٢٥٠ مم » في العام .

ويظل معدل **الحرارة اليومي** فوق ٧٧° ف « ٢٥° س » مدى العام .. ومعدل الحرارة في شهر يناير (كانون الثاني) « ٦٠,١٥° ف » في الشمال ، ٨٠° ف (٢٦,٥° س) في الجنوب بينما ترتفع درجة الحرارة في موسم الجفاف الحار فوق ٨٠° ف (٢٦,٥° س) .

السكان والحياة الاجتماعية !

تقدر **مساحة تايلاند** بحوالي « ١٩٨,٤٥٥ ميلاً مربعاً » ٥١٤,٠٠٠ كيلومتر مربع .. ويبلغ **عدد السكان** : « ٤٥,٣٨٠,٠٠٠ نسمة » ومعدل زيادة السكان يصل إلى نحو « ٣,١٪ » .

وتعداد سكان « **العاصمة بانكوك** » يقدر بحوالي « ٤,٥٤٥,٦٠٠ » نسمة .

أما اللغة المستعملة هناك فهي « **لغة تاي** » وتستعمل أيضاً لغات [الصين ، والملايو ، وفيتنام] .

و ٩٥٪ من السكان « بوذيون » ، و ٥٪ بين مسلمين وكونفوشيوسيين ، ومسيحيين .. ويزداد عدد المسلمين يوماً بعد آخر .. خاصة بعد الوعود التي قدمتها الحكومة للمسلمين على إثر المساعدات الموعودة من حكومة المملكة العربية السعودية لحكومة تايلاند .

أما **العملة الرسمية للدولة فهي « البات »** أو الباهت والبات الواحد يساوي

تايلاند
أرض الأحرار وبلد المتناقضات والعجائب

★ ألوان من الأزياء الشعبية التايلاندية ★



« ١٠٠ ساتانج » .. « وكل مائة بات » تايلندي = من ١٥ إلى ٢٠ ريالا سعودياً ، وكل « ١٠٠ دولار » = « ٢٠٢٠ » باتاً تايلندياً .. أو من ٢٠٠٠ إلى ٢١٠٠ ، حسب ارتفاع وانخفاض سعر الدولار .

ويبلغ عدد المواطنين الأصليين حوالي ٨٠ ٪ من مجموع السكان .. أما البقية فمن الجاليات الصينية ولاجئي فيتنام الذين استقروا في الشمال الشرقي ، كما توجد أقليات من لاوس وكمبوديا وفي الجنوب نسبة كبيرة من الملايو .

الزراعة والاقتصاد والصناعة !

يمكن أن نقول بأن حياة النباتات في تايلاند تتشكل في الطبيعة ، وهي التي تميز أي منطقة موسمية عن الأخرى ، وقد أزيل كثير من الأشجار وخاصة في الأودية والسهول لتصبح الأرض معدة للزراعة من جديد ، ولكن ما زالت هناك مناطق جبلية كثيرة في الشمال تغطيها الغابات ، وتحتوي على أنواع ثمينة من الأخشاب الاستوائية الصلبة مثل « التك واليانج » وتنمو **الغابات** الكثيفة كذلك على المنحدرات الغربية لسلاسل جبال شبه الجزيرة .. بينما ينمو « **المنجروف** » على كثير من أطراف خليج سيام .

وغابات تايلاند غنية بالثروة الحيوانية ، وتشمل أنواعاً من النمور والفهود والقردة ، وما أكثر الطيور ..

ويستخدم من الحيوانات « الجاموس » على مستوى كبير من الأعمال ، كما أمكن استئناس الفيلة لتعمل في الغابات .

ويعيش أكثر من ٨٠ ٪ من الأهالي في أكثر من « ٤٤ ألف قرية » .. وتقوم وسط مناطق زراعة **الأرز** .

أما الذين يقطنون المناطق العمرانية فإن كثيراً منهم يتركزون بكثافة في العاصمة « **بانكوك** » .. ومن المراكز العمرانية الكبيرة الأخرى .. تشيانج ماي ، وناخون راتشاسيما ، وتون بوري .

وتسهم الزراعة بحوالي ٣٥ ٪ من إجمالي

★ حتى الأفيال .. تشارك في الإحتفالات ★

الدخل القومي ، والأرز هو أكثر المحاصيل أهمية ، والمحصول السنوي وقدره أكثر من ١٢ مليون طن يتوفر من زراعة ٢٠ مليون فدان « ٨ ملايين هكتار » .

وتعتبر تايلاند ثالث أهم البلاد المنتجة للمطاط الطبيعي في العالم .. ويأتي من المنطقة الجنوبية .. **والذرة محصول هام آخر للتصدير** .. ويبلغ إنتاجه السنوي حوالي ١,٥ مليون طن ، وتصدر حوالي (٢٥٠) ألف طن من « جوت » مرتفعات الشمال الشرقي .. وكميات متزايدة من التابيوكا من الجنوب الشرقي ، ومجموعة المحاصيل الاستوائية وتحت الاستوائية للاستهلاك المحلي .

ويوجد حوالي ١٠٦,٠٠٠ ميل مربع (٢٧٥ ألف كيلومتر مربع) من الغابات ، ويبلغ الإنتاج السنوي للأخشاب حوالي ٣,٤ ملايين ياردة مكعبة (٢,٦ مليون متر مكعب) .

وتبلغ حصيلة « **الصيد** » حوالي مليون طن من **الأسماك البحرية .. وأسماك المياه العذبة** .. ويقتصر « الصيد البحري » في خليج سيام على ولايات ساموت براكان ، وساموت ساخون ، وتشامفون ، وتشانتها بوري ، ومونجخلا .

وأهم « المعادن » المتوفرة .. « القصدير » على هيئة كاسيتيريت ، وتعتبر تايلاند من أهم البلاد المنتجة للقصدير في العالم .. وتنتج كل عام (٣٠ ألف طن) من ركائز القصدير .. ويستخرج أكثره من **جزيرة فوكيت ، وولايات فانج ، نجاورانونج** ، وتنتج كميات متواضعة من الولفرام ، والرصاص ، والمنجنيز ، وركاز الحديد ، والفلوريت ، والجبس ، وفحم اللجنيت .

وتتصل معظم الصناعات بتجهيز المواد الخام ، وتكثر بنوع خاص مضارب الأرز ومصانع تجهيز الأخشاب .. غير أنه في السنين الأخيرة أضيفت مجموعة ملفتة للنظر من الصناعات الحديثة نتيجة لتوسع السوق المحلية ، والزيادة في رأس المال الأجنبي المستغل فيها ، والتطور العام في الاقتصاد ، وتشمل هذه المصانع **إنتاج المنسوجات والكيماويات ، والأسمنت ، وتجميع السيارات ، ومصافي البترول ، والمنتجات المعدنية ودرفلة الصلب** ، والتزايد السريع في الطاقة الكهربائية .

ومن ناحية **النقل** فيبلغ طول شبكة الخطوط الحديدية ٢,٣٤٠ ميلاً (٣,٧٦٥ كيلومتراً) وتحمل هذه الشبكة في كل عام ٤٨

تايلاند
أرض الأحرار وبلد المتناقضات والعجائب

مليون راكب ، وخمسة ملايين طن من البضائع .

أما « شبكة **الطرق** » فقد توسعت حتى أصبح امتدادها ٧٨٢٠ ميلاً (١٢٥٨٦ كيلومتراً) ، وتبنى الآن طرق ريفية لتغذي الشبكة الرئيسية ، ومن المتوقع أن يكون لهذه الطرق أثر كبير في تطوير المناطق الداخلية التي كانت منعزلة . . وقد أثرت الفيضانات الأخيرة التي حدثت في نهاية السبعينات وبداية الثمانينات في الطرق المعبدة الطويلة وخاصة الموجودة في بانكوك العاصمة .

المعالم والآثار الموجودة

عند زيارتنا للعاصمة « **بانكوك** » شاهدنا مدى تأثير الفيضانات التي حدثت للطرق والشوارع وخاصة لطريق المطار بوسط المدينة . . الذي يبعد حوالي ٣٠ كيلومتراً . . وقد تحولت معظم المناطق القريبة إلى « مستنقعات ومسابح » .

ويستخدم التايلنديون السيارات اليابانية الصغيرة في مواصلاتهم . . كما أن هناك بعض الطبقات الغنية التي تقتني السيارات الأميركية إلى جانب وسائل المواصلات العمومية ، الأوتوبيسات ، والوانيتات أيضاً .

ويمر بميناء **بانكوك** عند كلونج تووي أكثر من ٩٠٪ من التجارة الخارجية ، وتوجد **موانئ ساحلية** تشمل فوكيت ، وسونجخلا ، وباتاني ، كما توجد **موانئ نهرية** هامة على اليكونج مثل تونج ـ خاي ، وموكداهان .

وتهتم تايلاند حالياً « **بالسياحة** » والترحيب بالزوار من كل مكان . . وذلك لكي تسد ثغرة هامة في الميزان التجاري والاقتصادي .

وفي تايلاند توجد بعض « **المتاحف** » المتنوعة التي تضم في حوزتها أصالة ومعالم وآثار المملكة القديمة . . ولعل الزائر لمدن تايلاند المختلفة يلاحظ الآثار الشكلية الظاهرة على البيوت والقصور القديمة . . والأسطح المائلة الشكل الزاهية في بروزها لكي لا تتأثر بالأجواء الدائمة الأمطار والعواصف والفيضانات المعروفة .

★ إحدى حلبات مصارعة الثيران ★



وقد ضمت بعض المتاحف صوراً وأشكالا قديمة من المراكب والسفن التي كان يقتنيها التايلنديون لعبور الأنهار والبحار على حد سواء .. وأيضاً السيوف والأسلحة والخناجر والنقود والأصنام التي أحسن صانعوها في تشكيلها وإبرازها في الأزمنة الغابرة وسواها من الآثار الأخرى .

إن الزائر لمملكة تايلاند يرى العجائب من القديم والجديد .. والمتناقضات فيما بينها .. فأنت حين تصل إلى مطار بانكوك « أو بانجوكك » تلمس عن قرب ابتسامات الشعب التايلندي ترحب بمقدمك كزائر .

المسلمون في تايلاند

يتكون جنوب شرقي آسيا من خليط من الأديان .. وفي تايلاند يشكل البوذيون نسبة عالية منهم تصل من ٨٥ إلى ٩٥٪ ، بينما المسلمون الموجودون كأقليات لا تذكر أمام هذا العدد الهائل .. إلا أن النسبة التي فرضت من جهات الاختصاص بحكومة تايلاند لا تمثل الواقع ، فقد زار تايلاند شخصية سعودية كبيرة لها أهميتها وكشف الأوضاع التي تتنافى مع التشريع الإسلامي في هذا البلد .. وكانت لهذه الشخصية دور أساسي في تركيز الدولة على الاهتمام بأمور المسلمين ورعاية مصالحهم .

وقد كشفت بعض الأوساط العربية العاملة في بانكوك بأن نسبة المسلمين في تايلاند تصل إلى ٢٠ ، ٣٠٪ إلا أنها تتلقى أسوأ المعاملات .

أما البوذيون وأصحاب الديانات الأخرى فلهم المكانة الأولى هناك حيث من الملاحظ أثناء تجوال الزوار بين المدن والقرى وجود أشخاص غرباء يسيرون بين الشوارع مرتدين قطعة واحدة من قماش أصفر .. محلقين رؤوسهم تبدو على وجوههم سمات « البلاهة والسذاجة ، واللامبالاة » وهم يمثلون آلهة البوذيين الذين يتلقون كل حرص للعبادة .

إن المسلمين في تايلاند يعانون من سوء المعاملة ، ويحتاجون إلى رعاية في مساجدهم المتواضعة واهتمام بشؤونهم الخاصة .. ولنا أمل كبير في أن تهتم الدول والمؤسسات الإسلامية بأوضاع المسلمين في تايلاند وتحسين ظروف معيشتهم المتردية .

تجارة الرقيق .. والأسواق الشعبية

لقد عرفت من قديم الزمان « **تجارة الرقيق** » في قارة إفريقيا .. أما الآن فقد أخذت تمارس هذه التجارة في جنوب شرقي آسيا .. فبيع وشراء « الإنسان » داخل هذه المناطق مثله مثل بيع السلع .. ولقد كشفت زيارتنا الثالثة لتايلاند هذه الظاهرة .

وبطبيعة الحال فإن أي سائح يزور تايلاند لا بد وأن يمر على أسواقها المختلفة الشعبية منها والحديثة ، وإذا أردت الأفضل فاسأل عن الأسواق الشعبية ، لأنك ستجد كل شيء تحبه نفسك ومما يجتذب « نظرك .. ونقودك » معاً ، فهناك التحف النادرة واللوحات الفنية والملابس والأقمشة بأنواعها وبأرخص الأثمان قيمة .



★ دقة في صناعة الحرف اليدوية ★

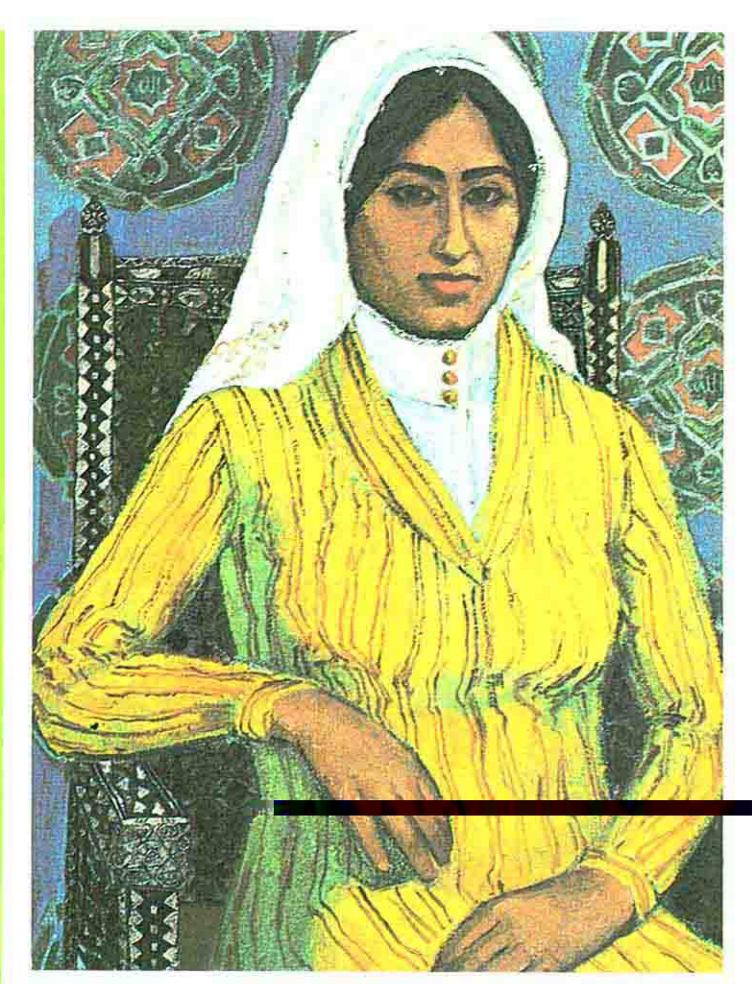
إن تايلاند بلاد تصنيع رخيصة .. ولكن احذر الخداع .. فقد تشتري سلعة قيمتها « ٥٠٠ بات » تايلندي من محل .. ثم تجد نفس السلعة بـ٥٠ باتاً في محل آخر .

وإذا كنا قد أشرنا إلى هذا المجال من التسويق ، فهناك مجال قريب منه يدعي فيه الإنسان أنه بلغ مرحلة عالية من التطور والعكس هو الصحيح .. لأنه من ناحية أخرى أخذ يمارس شيء اسمه « الرقيق » وهو **بيع الأطفال** .. فإن نحواً من آلاف الأطفال القاصرين يشترون ويباعون كل أسبوع وبين أيام الأسبوع في سوق البلد سواء في بانكوك أو غيرها من المدن .

وقد راجت التجارة بالأطفال رواجاً جيداً هناك ، والأطفال لا يرون ذويهم وأهلهم مرة ثانية بعد بيعهم إلا إذا وافق السيد المالك .. وكم من محاولات تأخذها الدولة بجدية إلا أن الأمر بات متفشياً بسبب أسلوب الرشوة المنتشر .

وقد بدأت هذه التجارة من الشمال الشرقي لتايلاند حيث الأهالي هناك يضطرون إلى طلب المساعدات وبالتالي ألفوا قناعة سماسرة الرقيق لبيع أطفالهم بثمن بخس ، إذ إن الطفل الواحد يباع « بعشرة دولارات » .. فيما إذا عرفنا أن أعمارهم تتراوح بين الـ« ٨ إلى ١٤ عاماً » ، ويعمل هؤلاء الأطفال بكل شيء يوجهون لعمله كخدم للعائلات الثرية أو كعمال أو مساعدين في الحوانيت .. وليست هناك ساعات محددة لعملهم .. ويعاملون بأقسى المعاملات .

★ « الزبون » صورة من الماضي تركته المرأة العربية تقليداً للمرأة الغربية ★



★ بيت نصيف أحد منازل جدة القديمة ★

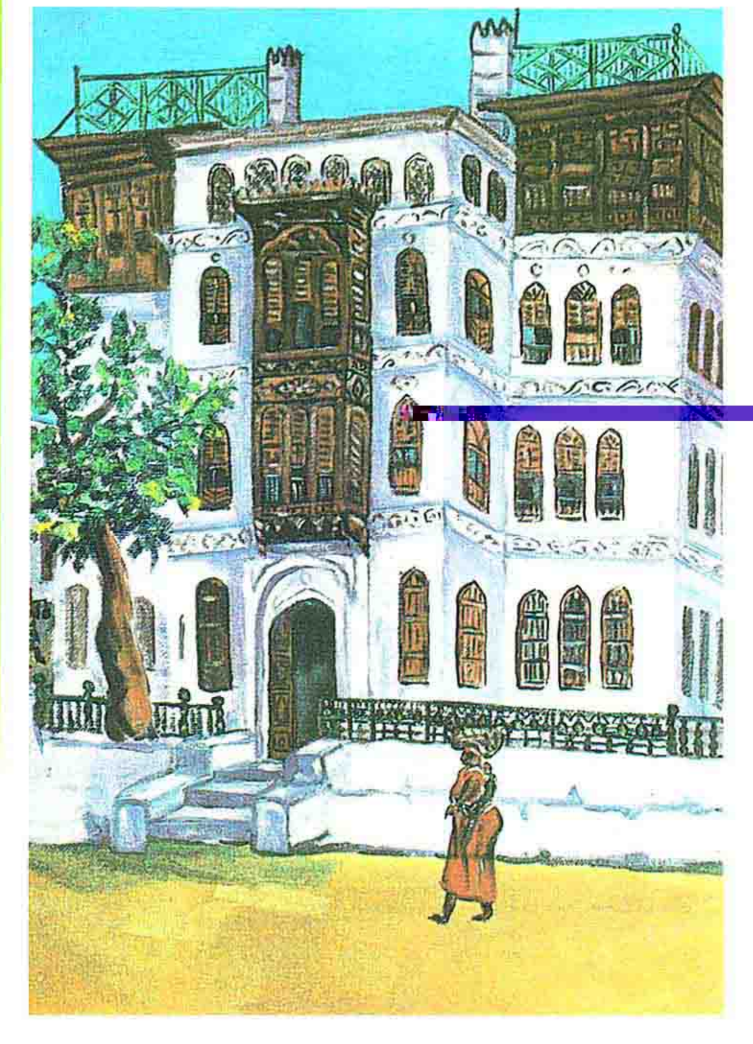


بقلم:
د. أحمد عبد القادر المهندس

المجتمع السعودي في الماضي القريب

كانت الحياة الاجتماعية غنية بالنشاطات الاجتماعية والعادات والتقاليد في تلك البيئة البسيطة والمحدودة. وكانت جميع الأشياء بسيطة، الملابس تحاك باليد، الدقيق يصنع بطحن الحبوب يدوياً. كان كل شيء من إنتاج الإنسان الذي يشارك فيه بيده وفكره وإحساسه. كان الفرد وحدة أساسية وضرورية في المجتمع، ولم يكن يستطيع أن يعيش بمفرده، بل لا بد أن يتفاعل بشكل إيجابي مع مجتمعه. كان المجتمع أكثر التصاقاً وتماسكاً، وكانت الأسر المختلفة تنتمي إلى بعضها البعض، إما بواسطة القربى، أو بالصداقات القوية، أو بالمصالح المشتركة والجيرة الحميمة. كان كل فرد سعودي يعيش في داخل مجتمعه من خلال أسرته منذ ولادته، وخلال أطوار حياته المختلفة وحتى موته، بحيث كان يشكل لبنة قوية في البناء الاجتماعي القوي.

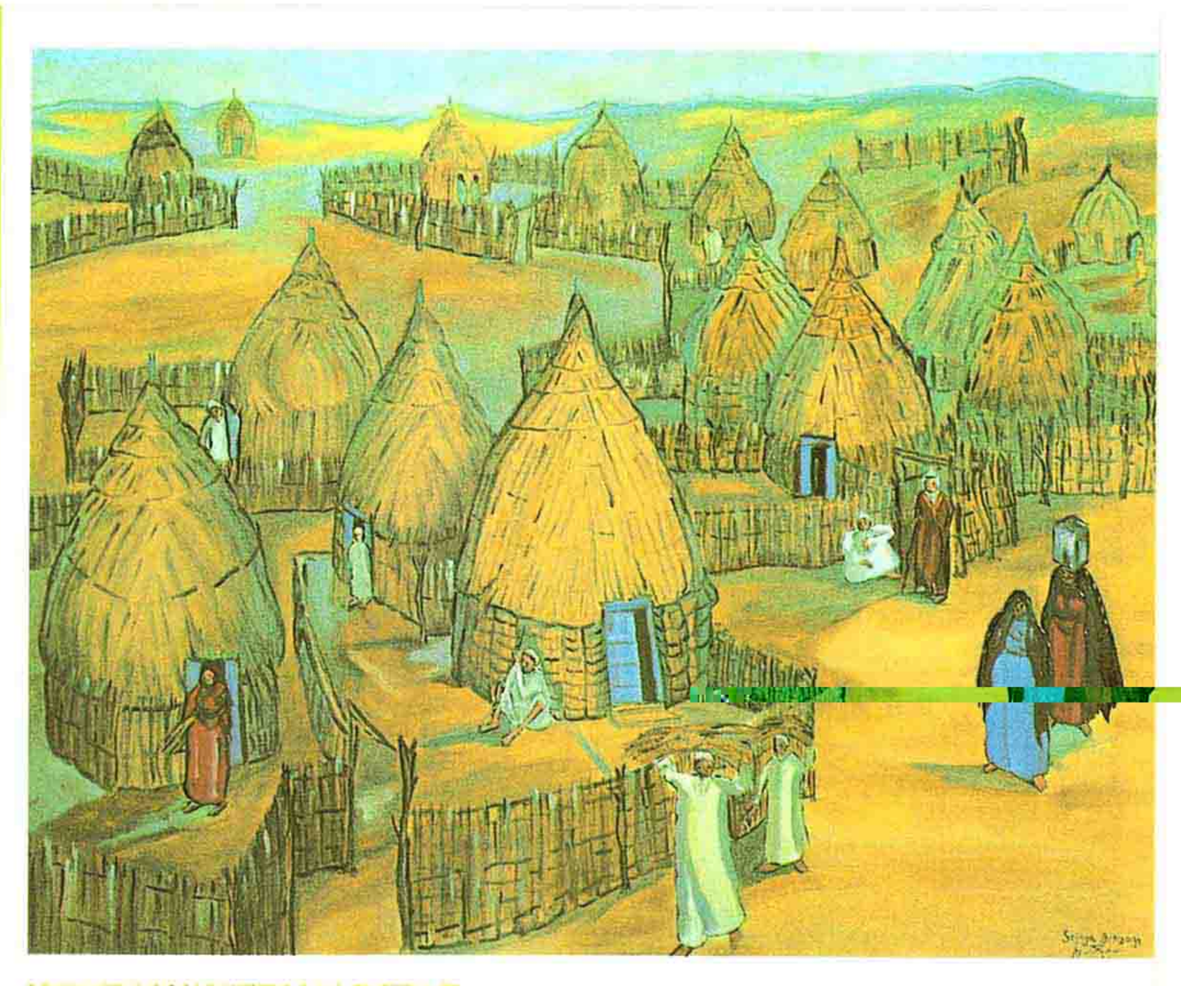
كانت البيوت القديمة في المنطقة الغربية خاصة تتميز بأنها بيوت فسيحة تطلى باللون الأبيض، وتزين بالنوافذ الواسعة، وأغطية أو مصاريع النوافذ المصنوعة من الخشب بطريقة فنية تدعو للتأمل. أما الشوارع فكانت صغيرة مستقيمة وضيقة، لتحمي البيوت من الحرارة



★ «النَّصّة» من مظاهر الزواج في المنطقة الغربية ★

★ العريس يسلم نفسه للحلاق بمناسبة زواجه ★

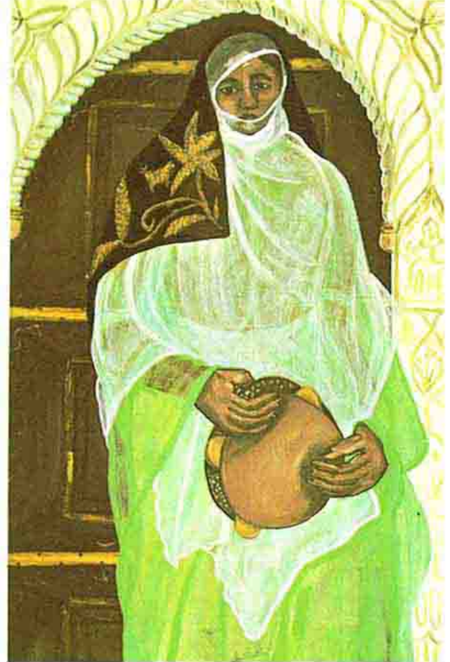




★ «العشش» نموذج لطراز البيوت في مدينة أبي عريش في منطقة جازان ★

الشديدة التي تبلغ أقصاها بعد الظهر في أيام الصيف . كان الناس يستمتعون ببيوتهم وساحاتها الجميلة ، وكان الرجال يجلسون على الدكة (ج دكك) ، ويشاهدون المارة في الطريق أو يجلسون في فناء دورهم ليستمتعوا بالمناظر الجميلة ، وبرؤية الظلال التي تنعكس من المنازل الأخرى . وكانت النسوة يشاهدن ما يدور خارج بيوتهن من خلال **الرواشين** (**المشربيات**) وفتحات النوافذ دون أن يشاهدهن أحد .

باختصار كانت الحياة الاجتماعية آنذاك مكيفة من الناحية الطبيعية والفكرية للبيئة المحيطة بذلك المجتمع البسيط .

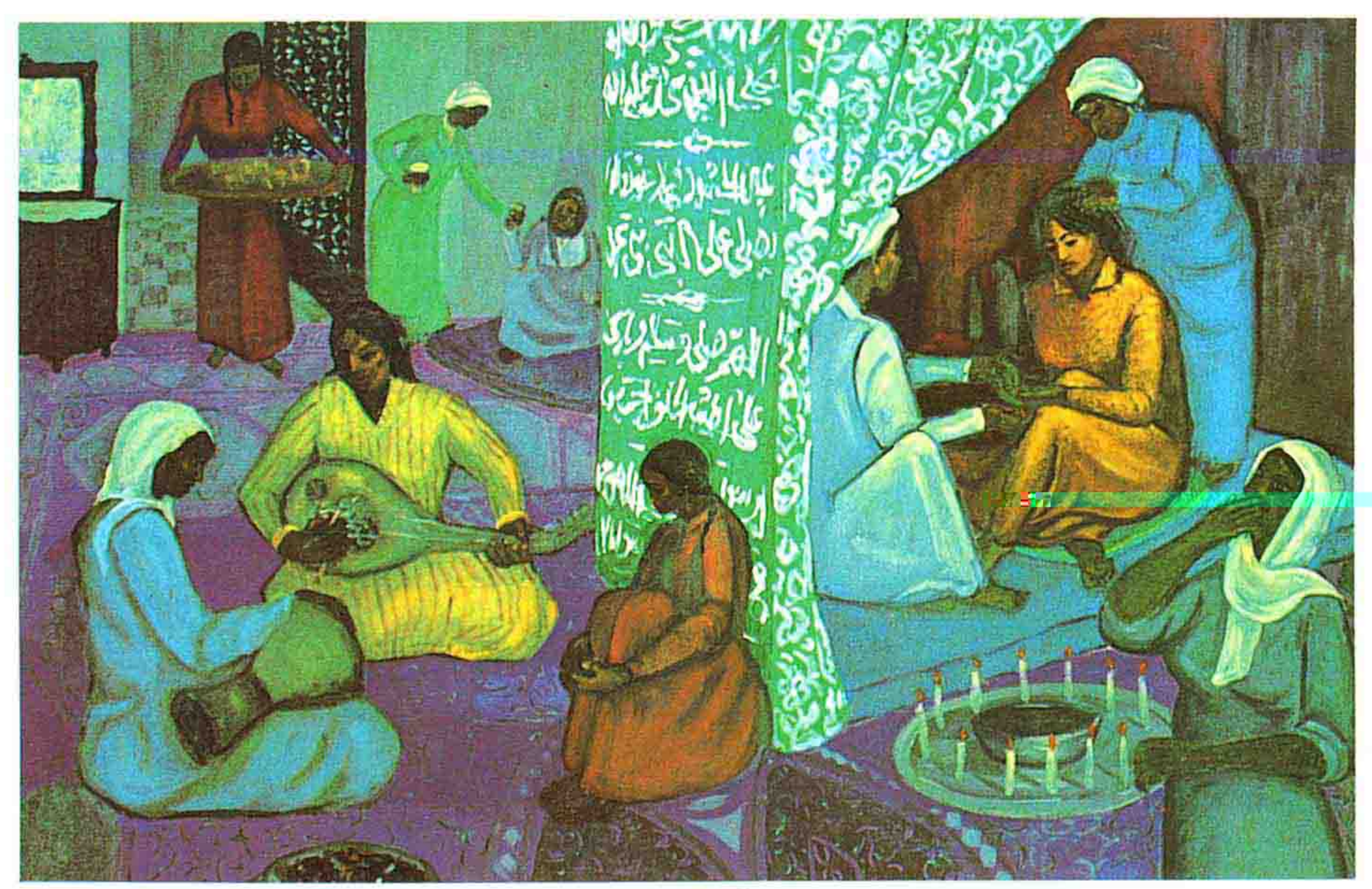


★ فتاة بدوية ★

الحياة الاجتماعية من خلال الفن

عندما يبدع الفنان ، يعيش لحظات إبداعه من أجل الآخرين . يعطيهم نبضات قلبه في الكلمات أو الصور أو الحركات أو النغمات . فالفنان يعيش الماضي بكل أبعاده ، بكل ما يحفل به ، ليعيد صياغته وتأمله من جديد ، وهو يعاني كثيراً من أجل إعادة صياغة الماضي ، حتى يكون قريباً من الحقيقة . وهو يتأمل ذلك الماضي ويعيشه من أجل أن يقدمه للجماهير في صورة رائعة قريبة إلى النفس ، حبيبة إلى القلب ، متصلة بالوجدان .

والفنانة السعودية **صفية بن زقر** استطاعت بريشتها وإحساسها الفني المرهف وانتمائها إلى بيئتها ، أن تتعمق في ماضي المملكة العربية



★ « الحنة » .. رمز الفرح ★

السعودية القريب ، لتقدم إنتاجها الفني في لوحات رائعة ، فيها من الإبداع والقرب من الواقع ما يجعلها تؤرخ لفترة مميزة من فترات تاريخنا السعودي المعاصر . فالتاريخ ليس مقصوراً على الكتابة والتحقيق ، بل إن الفن ولا سيما الفن التشكيلي ، يستطيع أن يزود الإنسان بكثير من الحقائق والانطباعات والأفكار ، وخاصة ما كان منها متعلقاً بالعادات والتقاليد ، ونمط المعيشة .

كان أهم ملهم لعمل الفنانة **صفية بن زقر** يأتي من بيئتها الخاصة ، وينبثق عن رغبتها في حفظ التقاليد والأزياء التي بدأت تختفي من البيئة السعودية المتطورة ، وليس المقصود من عمل الفنانة إعادة الماضي فقط ، والعيش فيه ، ولكن الحفاظ على بعض منه وإثرائه لتستفيد منه الأجيال القادمة . لقد شعرت الفنانة **صفية بن زقر** بأن المملكة تمر بمرحلة تطور كبيرة واقتنعت بأن كثيراً من العادات والتقاليد الاجتماعية وأنماط المعيشة ونوع العمران قد أصبحت عرضة للزوال أو التغيير ، وبدأت كغيرها من الفنانين المبدعين في المملكة مثل الفنان **عبد الحليم رضوي** ، والفنان **محمد موسى السليم** وسواهما في استلهام الماضي وتصوير البيئة السعودية . وركزت على تصوير البيئة السعودية ، وخاصة **تصوير الفن المعماري القديم الذي تتميز به منازل جدة ومكة المكرمة** ، كما اهتمت بتسجيل التراث الفني القديم من عادات وأزياء وطرز معمارية قديمة ، وبعض مظاهر الحياة في الصحراء (انظر لوحة وفنان ، (**مجلة الفيصل**) العدد ٥٥) .

مظاهر اجتماعية

وهناك لوحة تمثل صورة من صور الحياة اليومية في المنطقة الغربية ، وهي لوحة (**يوم الغسيل**) ، حيث تجتمع النسوة في كل أسبوع مرة واحدة على سقف أحد البيوت (في جدة) ، من أجل إنجاز غسيلهن المتراكم . أما لوحة (**يوم السوق**) فهي تمثل يوم الشراء الرئيسي في **مدينة أبها** حيث تعوَّد الناس أن يشتروا كل أغراضهم في ذلك اليوم . ويتدفق الناس من كل قرية قريبة من أبها ، من أعالي جبالها إلى منخفض وديانها للبيع والشراء في سوق أبها الذي كان يعقد كل يوم ثلاثاء .

وتمثل لوحة (**العرضة النجدية**) مظهراً من مظاهر الحياة في المنطقة الوسطى والخليج العربي ، حيث يجتمع عادة الحاكم مع إخوانه وأفراد عشيرته لأداء العرضة تعبيراً عن الفرحة والألفة والسرور .

وهناك لوحة تمثل بدوية ذات برقع مرصع بالذهب والفضة يغطي وجهها ، وهي تحمل ماعزاً على يديها وذلك تعبيراً عن تراثها وثراء قبيلتها .

وجميع هذه اللوحات تعطي انطباعاً إيجابياً جيداً عن انتماء الفنانة صفية بن زقر لبيئتها ، وحساسيتها في استلهام الماضي القريب الذي تحنُّ إليه ، وتعود لاستلهامه بشكل دقيق ومخلص ، بحيث تنقل لنا صوراً أصيلة من البيئة السعودية وخاصة من المنطقة الغربية . تلك الصور التي بدأت تنحسر أمام المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والعمرانية الحديثة .



عادات وتقاليد الزواج

وسأتحدث بإيجاز عن بعض لوحات الفنانة **صفية بن زقر** من الناحية الاجتماعية فقط، فمثلاً من عادات وتقاليد الزواج في الماضي، هناك «**لوحة الحناء**». وتروي هذه اللوحة بعض مظاهر احتفالات الزواج في المنطقة الغربية بالمملكة. كانت هذه الاحتفالات تستمر لفترة طويلة من الزمن، ربما لأسبوعين أو أكثر، وفي المساء الذي يسبق ليلة الزفاف، كانت العروس تنعزل في مكان خاص تحجبها ستارة مزخرفة، وذلك لوضع الحناء في يديها ورجليها وشعرها. والحناء رمز للخصوبة والحظ السعيد.

أما لوحة الاحتفال **بحلاقة العريس** فتروي كيف كان العريس يحضّر نفسه للزواج، حيث يأتي حلاق متمرس ليزين له شعر رأسه، بينما تصدح الموسيقى معبرة عن الفرحة، وتضع أم العريس جنيهاً ذهبياً على جبهة الحلاق.

أما لوحة «**النَّصَّة**»، فتروي أهم مظهر من مظاهر الزفاف، حيث تظهر العروس لأول مرة أمام عريسها، وترتدي ملابسها الثمينة المزخرفة، ويجلس العريس أمامها ليتلو سوراً مطهرة من القرآن الكريم. وبعد الانتهاء من القراءة يُفرغ العريس ما في جيوبه من قطع نقدية صغيرة ليلتقطها الأطفال، وهم في غاية الجذل والحبور.

الأزياء التقليدية

ومن الملابس التقليدية أو التاريخية، هناك «**الزبون**» الذي صورته الفنانة في إحدى لوحاتها، حيث كانت المرأة في منطقة الحجاز ترتدي هذا الزي الذي يصنع من أي نوع من القماش، وتغطي رأسها **بالمحرمة والمدوَّرة**. كانت المرأة في ذلك الماضي القريب تقوم بأعمال كثيرة فهي ربة المنزل والمشرفة على نظامه وترتيبه، وكانت تقوم باستقبال الضيوف بهذا الزبون الذي كان مكيفاً بشكل جيد للبيئة مع ما يتطلبه ذلك من حشمة ووقار.

ومن اللوحات أيضاً لوحة الملابس الرسمية للرجال وتشمل الغترة والعقال والمشلح. وقد ظهر هذا الزي الرسمي لأول مرة بعد عام ١٩٣٢م، وأصبح مألوفاً في الأربعينات والخمسينات من القرن العشرين.

ولعل أجمل لوحات الفنانة صفية بن زقر تلك اللوحات التي تصور **الفن المعماري القديم** الذي كان سائداً في المنطقة الغربية، والتي آمل من مهندسينا السعوديين أن يلتفتوا إليه، فهو فن جميل ينبع من صميم بيئتنا، وأن يبدعوا ويضيفوا ما شاء لهم الإبداع في هذا الحقل الأصيل من تراثنا المعماري الجميل. ومن اللوحات التي تصور هذا الفن المعماري: **بيت بن زقر، وبيت السيد أحمد أبو سرير، وبيت نصيف في جدة**، تلك البيوت التي تتميز بالمشربيات والأعمدة والزخارف الجصية.

وفي الختام

كان بودي لو أن الفنانة صفية بن زقر نظرت أيضاً وباهتمام إلى بعض العادات والتقاليد الأخرى في جنوب وشرق المملكة العربية السعودية، وكذلك بعض المظاهر الدينية في مكة المكرمة والمدينة المنورة. ولا أشك لحظة في أن الفنانة سوف تكرس بعض وقتها وجزءً من تفكيرها للإبداع في تصوير بعض الجوانب الأخرى من عاداتنا وتقاليدنا وأنماط معيشتنا في الماضي القريب. وهناك بعض النقاط الموجزة التي أطرحها هنا، لعل الفنانة صفية بن زقر أو بعض فنانينا أن يهتموا بها في المستقبل:

(١) عادات ختم القرآن الكريم في الماضي.

(٢) رسم بعض المباني القديمة التي اندثرت في مناطق أخرى غير مدينة جدة، مثل مباني «**حي الساحة**» **بالمدينة المنورة**.

(٣) حلقات الدروس الدينية في **الحرمين الشريفين**.

(٤) عادات وتقاليد الزراعة التي كانت موجودة، ولا سيما في قرى **جنوب غرب المملكة العربية السعودية**، مثل طحن الحبوب بوساطة الرحى.

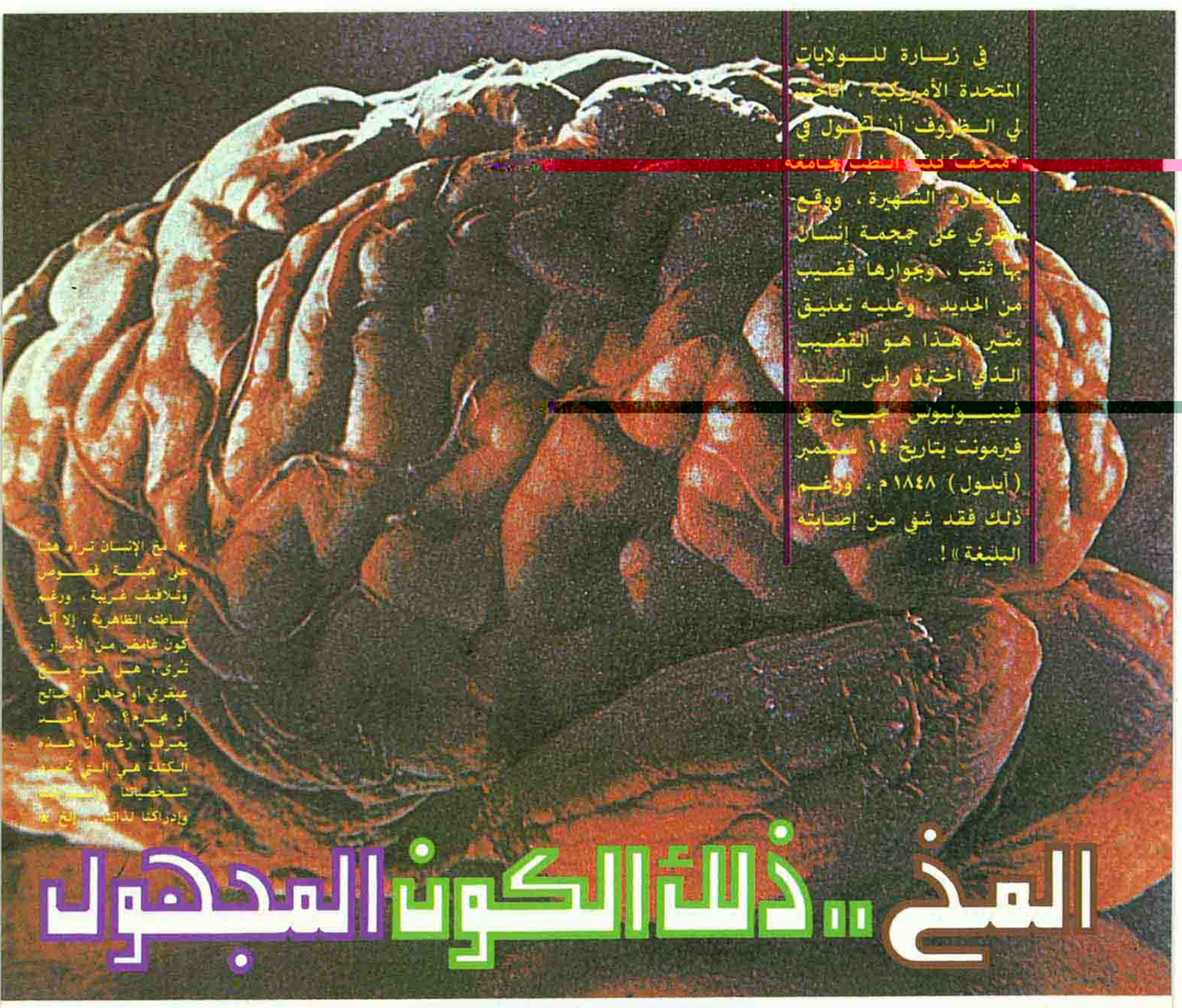
(٥) سقاية الماء من الآبار، وبداية مراحل الخطوبة في قرى **عسير** وخاصة في **مدينة أبها**.

(٦) جني الرطب من النخيل في **المدينة المنورة والأحساء**.

(٧) تصوير مراحل صناعة الجص أو النورة في **المدينة المنورة**، وما يصاحب ذلك من مظاهر النشاط الاجتماعي.

وغير ذلك من الموضوعات.

إن أعمال الفنانة السعودية صفية بن زقر تعطي لمتذوق فنها التشكيلي انطباعاً واقعياً وشفافاً عن الحياة الاجتماعية في الماضي القريب، في بداية القرن الرابع عشر الهجري وجزء كبير منه. ومع أن هذا الماضي الذي صورت الفنانة بعض نشاطاته وأحداثه وموضوعاته الاجتماعية قد بدأ يختفي ويتلاشى، إلا أن الروابط التي جعلت ذلك الماضي حقيقياً ونابضاً ما تزال موجودة. وربما يعود ذلك الماضي بشكل أكثر إشراقاً وطموحاً، ليتوافق مع نهضتنا الحضارية الشاملة.



المخ .. ذلك الكون المجهول

في زيارة للولايات المتحدة الأمريكية ، أتاحت لي الظروف أن أتجول في متحف كلية الطب بجامعة هارفارد الشهيرة ، ووقع نظري على جمجمة إنسان بها ثقب ، وبجوارها قضيب من الحديد ، وعليه تعليق مثير « هذا هو القضيب الذي اخترق رأس السيد فينيوليوس جيج في فيرمونت بتاريخ ١٤ سبتمبر (أيلول) ١٨٤٨ م ، ورغم ذلك فقد شفي من إصابته البليغة » !

★ مخ الإنسان تراه هنا على هيئة قصوص وتلافيف غريبة ، ورغم بساطته الظاهرية ، إلا أنه كون غامض من الأسرار . ترى ، هل هو مخ عبقري أو جاهل أو صالح أو مجرم ؟ .. لا أحد يعرف ، رغم أن هذه الكتلة هي التي تحدد شخصياتنا [illegible] وإدراكنا لذاتنا .. إلخ ★

بقلم : د . عبد المحسن صالح

الحادثة ذاتها – بلا شك – مرعبة ، وما تمخض عنها بعد ذلك كان أكثر رعباً وإثارة ، ولقد استطعنا أن نجمع بعض تفاصيل هذا الحدث الغريب من مكتبة كلية الطب ، ولا بد من سردها هنا باختصار ، ليتبين لنا كيف أن شخصياتنا تتحدد من خلال هذه الكتلة الرجراجة من الخلايا الثمينة التي تسكن رؤوسنا .. نعني أمخاخنا .

تقول الحيثيات إن **الشاب جيج** الذي يبلغ من العمر ٢٥ عاماً كان مشرفاً على مجموعة من الفنيين والعمال لإنشاء خط حديدي ، وقد اعترضت طريق الخط صخرة قائمة ، وكان لا بد من نسفها بشحنة من البارود ، وضعها هو بنفسه في فجوة داخل الصخرة ، ثم أمسك بقضيب ودفع به الشحنة ، وبينما كان يقوم بهذا العمل الحساس ، حدث احتكاك فانفجار ، واندفع القضيب الذي كان يبلغ من الطول حوالي متراً ، ومن السمك حوالي ثلاث سنتيمترات ، ومن الوزن حوالي خمسة كيلوجرامات ونصف ، اندفع ليخترق رأسه من تحت عينه اليسرى ، ماراً بأعلى مخه ، ليخرج من جمجمة رأسه ، فيمرق في الهواء ، ويسقط على بعد حوالي خمسين متراً .

وسقط جيج بدوره على الأرض في التو واللحظة ، وانتابت يداه وساقاه رعدة ، وبعد ثلاث دقائق عاد إلى وعيه ، وبدأ يتكلم ، وعندما حضر طبيبان ليريا هذه الحالة المرعبة ، لم يصدقا أنه لا يزال على قيد الحياة رغم كل ما أصابه ، والغريب أنه طمأنهما أن حالته عادية ، وأنه سيعود إلى عمله بعد عدة أيام .

باختصار حدثت أمور تشبه المعجزة ، وبرئ من إصابته المروعة بعد أسابيع ثلاثة ، وترك المستشفى ، وبدأ يتجول في أنحاء المدينة ، لكن بشخصية أخرى غير شخصيته التي عرف عنها الهدوء والاتزان .. لقد كان شخصاً آخر ، وهو حسب تعليق **جون هارلو** – أحد الطبيبين اللذين أشرفا على علاجه – « أن حالته الجسمانية كانت لا غبار عليها ، ولهذا فأنا

لا أملك إلا أن أوضح أنه قد شفي ، لكن التعادل أو التوازن بين استعداداته الذهنية وبين نزعاته الحيوانية قد زالت واختفت . . . إن عقله قد تغير ، والذين يعرفونه قالوا عنه أنه لم يعد جيج الذي كانوا يعرفونه » ! .

ومات جيج في **سان فرانسيسكو** بعد أن تنقل في الولايات المتحدة لعدة سنوات ، ومن هناك نقل رفاته إلى **جامعة هارفارد** ، حيث وضعت جمجمته والقضيب الذي أصابها في متحف هناك ــ كما سبق أن ذكرنا .

بداية التحريات العلمية على المخ

لقد ذكرنا هذه الحادثة الغريبة باختصار شديد ، لأنها كانت بمثابة الشرارة التي انطلقت بعد ذلك في الأوساط العلمية عامة والطبية خاصة ، وبدأت تغير بعض المفاهيم التي كانت تسيطر على العقول من قديم الزمن ، إذ كان الظن السائد أن القلوب أو الأكباد هي مراكز العواطف والانفعالات والأحاسيس ، من ذلك مثلاً أن **قدماء المصريين** قد احتفظوا بالقلب والأحشاء محنطة في أوعية خاصة ، لكنهم فرغوا المخ من الرأس عن طريق فتحتي الأنف ، وسحبوه كأنسجة متهتكة بواسطة التفريغ ، وتخلصوا منه كنفاية ليس لها من فائدة ، كذلك اعتبرت **حضارات بابل وآشور القديمة** الكبد كعضو هام تسكن فيه الروح ، ومن أجل هذا لا زلنا نسمع حتى الآن تعبيرات « يا قلبي » و « يا كبدي » بين عامة الناس كدليل على أهمية هذين العضوين ، ولقد تغنى الناس بالقلوب دون العقول أو الأمخاخ ، إذ اعتبروا المخ مثلاً بمثابة عضو لدورة دموية يتخلص فيها الدم من حرارته الزائدة ! .

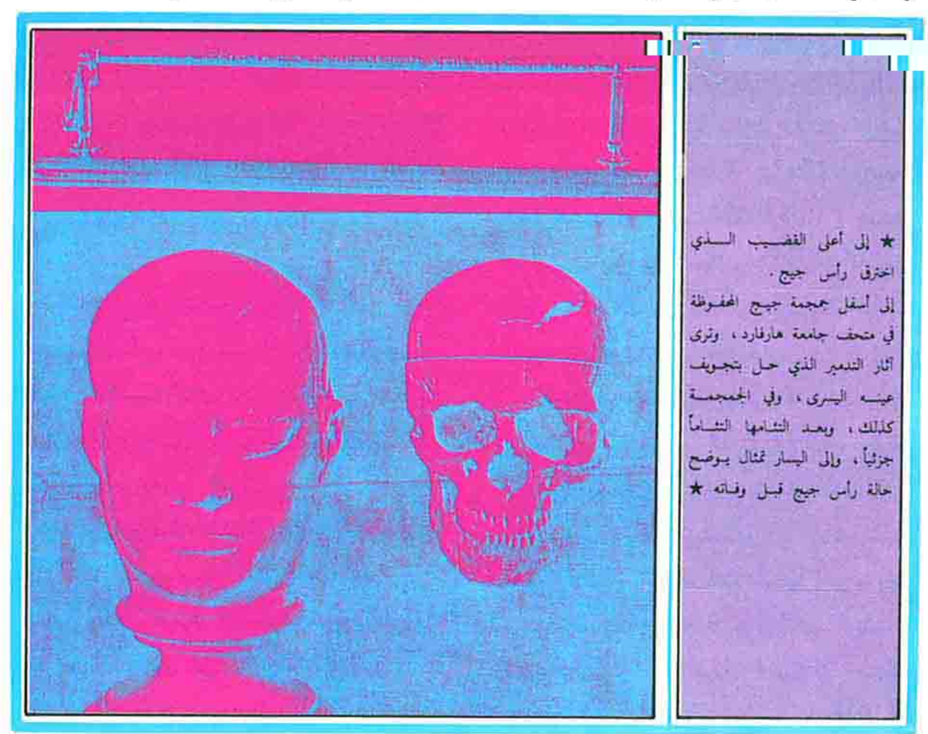
ولا شك أن القدماء كان لهم بعض العذر فيما ذهبوا إليه ، وفكروا فيه ، إذ عرفوا الظاهر دون الباطن ، ذلك أن الانفعالات الحسية والعاطفية كانت تظهر على القلوب دون الأمخاخ ، فمن منا مثلاً من لم يحس بقلبه وهو يضطرب عندما يفاجأ بخبر مثير غير متوقع ؟ . . من أجل هذا اعتبروا القلب مركز الروح والعاطفة .

ثم إن فينيوليوس جيج صاحب الحادثة المثيرة ، لو ظهر بين الناس الذين لم يعرفوا شيئاً عما أصابه ، ورأوا سلوكه وتصرفاته ، عندئذ سيكون تعليلهم لذلك بسيطاً غاية البساطة ، وسيقولون إن به مساً من الجن ، أو لبسته روح شريرة ، أو غير ذلك من أساطير كثيرة لا زالت تتردد حتى اليوم في المجتمعات الساذجة ، إذ كانت الأمراض العصبية التي تصيب المخ ، وتؤدي إلى نوبات من الصرع أو الشلل أو التقلصات الغريبة . . إلخ ، كانت تفسر قديماً تفسيراً خاطئاً ، وكان الناس يرجعونها إلى قوى غيبية ما أنزل الله بها من سلطان .

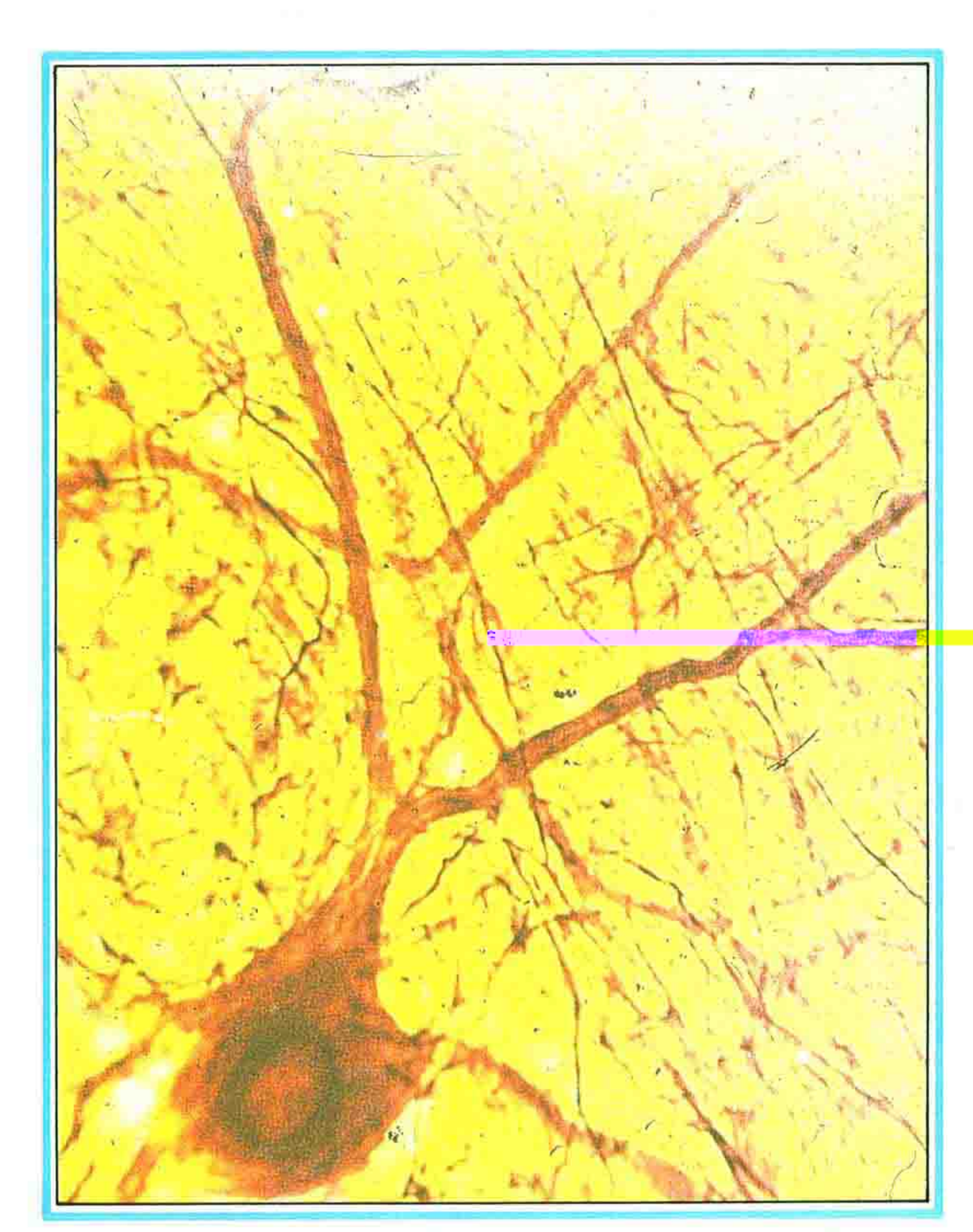
الإنسان الوحيد الذي استطاع أن يعطي المخ حقه من التقدير ، كان **أبو قراط** أبو الطب الذي ظهر منذ ٢٣٠٠ عام ، وقال عنه « **ليس من المخ فقط ينبع سرورنا وضحكاتنا ولذاتنا ، بل هو أيضاً مركز الحزن والألم والدموع ، وبه نفكر وندرك ونرى ونسمع ، ثم نفرق بين القبح والجمال . . بين ما هو مبهج وما هو مقبض . . بين الخير والشر** » . . إلخ .

ورغم هذا الوصف الدقيق والصحيح ، إلا أن أحداً لم يستطع أن يستوعب ما أشار إليه أبو قراط ، وظلت الأفكار الساذجة هي السائدة لقرون طويلة ، وحتى إلى عهد قريب نسبياً راح **الطبيب النمساوي فرانز جول** يبحث عن علاقات وعلامات ظاهرية على رؤوس الناس ، وعلى سحناتهم ، وبين الشخصية والعقل والذاكرة . . ففي بداية القرن التاسع عشر مثلاً نراه يذكر « إنني مقتنع تماماً بأن شكل العينين الواسعتين الجاحظتين دليل على ذاكرة قوية » . . وهذا بالطبع رأي خاطئ ، لأن جحوظ العينين ــ كما ثبت بعد ذلك ــ يرجع إلى زيادة في إفراز هرمون الثيروكسين من الغدة الدرقية .

والغريب أن هذا الطبيب قد اتخذ بروز العينين كدليل ملموس ليؤسس عليه بعد ذلك أية علامات أخرى شاذة قد تظهر في وجوه البشر أو رؤوسهم ، وانطلق كالثور الهائج ليتأمل فيما يمكن أن تحمله من أشياء أو علامات غريبة ، ولم يكتف بذلك ، بل ذهب إلى السجون ، ودخل المستشفيات العقلية ، وكأنما هو يريد أن يؤسس علماً قائماً بذاته ، ولقد جمع حصيلة كبيرة ليس لها وزن يذكر في المجال العلمي ، منها مثلاً أن ظهور بعض النتوءات على الرأس أو أعلى الرقبة أو خلف الأذن . . إلخ ، قد يكون ذا علاقة بالعقل والذاكرة والشخصية ، والغريب أنه قد وجد لآرائه آذاناً صاغية ، خاصة إذا عرفنا أن **نظرية « الفرينولوجيا » أو فراسة الدماغ** (بما في ذلك الوجه) كانت سائدة في



★ إلى أعلى القضيب الذي اخترق رأس جيج .
إلى أسفل جمجمة جيج المحفوظة في متحف جامعة هارفارد ، وترى آثار التدمير الذي حل بتجويف عينه اليسرى ، وفي الجمجمة كذلك ، وبعد التئامها التئاماً جزئياً ، وإلى اليسار تمثال يوضح حالة رأس جيج قبل وفاته ★



★ صورة مكبرة لخلية عصبية واحدة ، ومن جسمها البيضاوي تمتد شبكة غريبة من الألياف المتفرعة ، لتختلط بما حولها من ألياف أخرى دقيقة ، ليحدث الاتصال والتفاهم بينها جميعاً .. إن هذه الخلية ليست إلا واحدة من ١٤ ألف مليون خلية عصبية تكمن في مخ كل إنسان ، لتتمخض عن شبكة هائلة من الاتصالات ★

زمانه ، ووجد فيها سبيلاً لتحقيق خيالاته ، **وفراسة الدماغ تعني ببساطة أن الشخصية والملكات العقلية لها علاقة وثيقة بشكل الدماغ وبما يحمله الوجه من ملامح أو علامات ، وطبيعي أنها نظرية غير علمية على الإطلاق .**

وظلت هذه النظرية سائدة من بداية القرن التاسع عشر ، إلى نهايته ، خاصة إذا عرفنا أن طبيباً حاصلاً على الدكتوراه يدعى ج . ردفيلد قد اعتبر الدماغ بمثابة لوحة مبسوطة مثلها في ذلك كمثل كف اليد الذي اتخذه البعض أيضاً بمثابة لوحة يمكن من خلالها قراءة طالع الإنسان ومزاجه من الخطوط المميزة على راحة يده ، أو هو ما يعرف بين العامة باسم « علم الكف » وهو أيضاً ليس علماً على الاطلاق ، والغريب أن ردفيلد قد قسم الوجه والدماغ إلى ١٦٠ مربعاً ، وكل مربع يدل على كفاءة عقلية خاصة .

كون غامض

وطبيعي أن الأيام كفيلة بغربلة الغث من السمين ، أو التمييز بين الحقيقي والزائف ، فأما الزائف فيزول ، وأما الحقيقي فيبقى ، وعليه ينشأ صرح المعرفة ويتأسس ، فعندما تطورت العلوم وأجريت التجارب ، وظهرت النتائج ، أمكن بعد ذلك رسم خريطة مثيرة للمخ ، وعليها تحددت مواقع ، وللمواقع دوافع ، بمعنى أن لكل موقع أو منطقة محددة في المخ ، وظيفة خاصة ، وبحيث تسيطر على دافع أو موجه لكل صغيرة أو كبيرة في جسد الإنسان والحيوان .

ورغم الحصيلة العلمية الهائلة التي بدأت تتجمع منذ بداية هذا القرن إلى يومنا هذا ، إلا أن أمخاخنا لا زالت تشكل أكبر التحديات وأضخمها أمام العلماء جميعاً ، بداية من عالم المخ والأعصاب ، إلى عالم النفس ، إلى عالم الإلكترونات إلى عالم الكيمياء والفيزياء إلى المفكر والفيلسوف ، فلقد تشعبت الآراء ، واختلفت النظريات ، وتباينت المفاهيم ، حتى لكأنما المخ بالفعل كون عظيم ساحر ينطوي على ألغاز ومتاهات ليس لها من قرار .

فإذا كانت تلك نظرة المتصوف إلى الإنسان ، فإن النظرة ذاتها لا زالت تسيطر على عقول العلماء ، إذ يكفي أن نشير هنا إلى أن أحد الصحفيين قد سأل اثنين من علماء الفيزياء اللذين نالا جائزة نوبل ، سأل كلاً منهما على حدة : ما هو ــ في رأيك ــ مجال البحث الذي يستحق هذه الجائزة في عام ٢٠٠٠ م ؟ .. فأجاب كل منهما نفس الإجابة ، وبدون تردد قالا : البحوث في مجال المخ ، وتحير الصحفي ، وقال لأحدهما : لكن بحوثك التي حصلت بها على جائزة نوبل كانت في الفيزياء ، وليست في الأمخاخ ، عندئذ أجاب عالم الفيزياء : **إن مخ الإنسان هو التحدي الحقيقي الذي يجابه كل العلماء من الآن فصاعداً !** .

وهذا صحيح .. لأن المخ يحتوي على كل المجالات التي يستطيع كل عالم أن يجني من ورائها كماً هائلاً من المعلومات ، أي أنه ليس حكراً على عالم البيولوجي أو الطبيب الفسيولوجي ، بل لقد دخل في هذا الميدان علماء من كل التخصصات ، بداية من علماء الرياضيات والإلكترونيات إلى علماء الفيزياء والكيمياء .. إلخ ، والكل يبحث ، والكل يتوه فيما فيه يبحث ، لأننا بالفعل أمام كون صغير الحجم ، لكنه عظيم الشأن .

إن أعظم سؤال يجابه العلماء حتى

وقتنا الحاضر هو: هل العقل والمخ شيء واحد، أم أنهما كينونتان منفصلتان؟ بمعنى: هل أظهر العقل المخ، أم أن المخ هو الذي أظهر العقل، أم أنهما وجهان لحقيقة واحدة؟.

من الممكن طبعاً أن نحدد المخ، ونصفه بمعايير مادية، فنقول مثلاً إنه يتكرر في أدمغتنا على هيئة كتلة رجراجة من خلايا عصبية تزن في المتوسط ــ وفي الإنسان البالغ ــ حوالي ٢٪ من وزن جسمه.. أنت وزنك مثلاً في حدود ٧٠ كيلوجراماً، إذن فوزن المخ حوالي كيلوجرام وأربعمائة جرام، وفي هذه الكتلة تكمن ما بين ١٢ ــ ١٤ ألف مليون خلية عصبية، ولكل خلية منها عشرات ومئات التوصيلات أو الألياف التي تنتشر حولها، وتتصل من خلالها بجيرانها، فيؤدي ذلك إلى غابة من الاتصالات المعقدة أشد التعقيد، وبحيث تصبح التوصيلات التي نعرفها في العقول أو الحاسبات الإلكترونية بجوارها شيئاً بدائياً.

وبالإمكان كذلك تحديد نصفين متماثلين للمخ، وبينهما وصلة أو جسر يربط بينهما، وفي كل نصف تكمن تلافيف أو تجاعيد واضحة، وتنتشر في المخ مناطق حددت تحديداً، فهذه تحرك الخنصر، وتلك للبنصر، وغيرها للساق أو الكف أو القدم أو أية عضلة من عضلات الجسم صغر شأنها أو كبر، لدرجة أن وجوهنا ذاتها تحتوي على حوالي أربعين عضلة صغيرة، ومن الأنقباض والانبساط، أو الشد والارتخاء بين هذه العضلات، تتغير ملامح الوجه، بحسب تغير حالاتنا النفسية، وبحيث قد ترى الوجه عابساً، أو مرهقاً، أو راضياً، أو منبسطاً، أو منقبضاً.. إلى آخر هذه الأمور التي نعرفها تمام المعرفة، لكن معظمنا لا يعرف أن من وراء ذلك انفعالات في أمخاخنا، تؤدي إلى بث سيل من نبضات عصبية، لتنتقل عبر شبكات ليفية، فتؤثر في عضلات وجوهنا، وترسم عليها انطباعات خاصة، وبحيث يبدو الأمر كأنما نحن أمام رسام «كاريكاتيري» يلعب بالخطوط في الوجوه التي يرسمها على الورق، فتبدو عابسة أو ضاحكة أو مبتسمة.. إلخ، مع الفرق طبعاً بين فكرة بدائية تمخضت عنها يد الإنسان وفكره، وفكرة مذهلة من صنع الله الذي أتقن كل شيء!.

وجهان لحقيقة واحدة

من الممكن وصف كل شيء في المخ، لأن المخ ــ على أية حال ــ تكوين مادي، والمادة فيه تخضع للمعايير التي يتخذها العلماء في بحوثهم ليحددوا بها طبائع الأشياء.. فنحن نعرف حقاً أن المخ من مناطق.. المناطق من أنسجة.. الأنسجة من خلايا.. الخلايا من جزيئات أكبر.. الجزيئات الأكبر تنطوي جزيئات أصغر.. الجزيئات من ذرات.. الذرات من جسيمات.. والجسيمات هي نهاية المطاف، وفي النهاية نتوه، لأن الجسيمات تتجلى لنا بوجهين جد مختلفين، فهي أحياناً تبدو على هيئة جسيمية، وأحياناً أخرى تظهر على هيئة موجية، أي كأنما هي تتجسد وتتموج، ولا أحد يستطيع أن يضع لهذه أو تلك حدوداً ليميز بينها.. فكأنما المادة موجات في جسيمات، أو جسيمات تحمل صفات الموجات.

وقد يبدو أننا خرجنا من موضوع إلى موضوع، وما ذلك بخروج، لأن الحقيقة تتكرر أمامنا في أمخاخنا بصورة أخرى، فكأنما المخ تجسيد للعقل، أو العقل نابع من المخ، فكل يؤدي إلى الآخر، فبدون مخ مجسد، لن يكون عقل مميز، والمخ يخضع لقياسات معروفة ومحددة، لكننا لا نستطيع أن نحدد العقل بمعايير معروفة، فكأنما هو شيء مطلق كالموجات التي لا زمان لها ولا مكان.. فأنت لا تستطيع مثلاً أن تمسك بالعقل أو الموجة، كما تمسك مثلاً بالمخ أو المادة.. فمثل المخ والعقل هنا، كمثل المادة والطاقة، أو الجسد والروح.. الجسد معروف وملموس ومميز، والروح غير مدركة ولا ملموسة، ومع ذلك فكلاهما نابع من الآخر، تماماً كالطاقة النابعة من المادة، فلا طاقة بدون مادة، ولا مادة بدون طاقة!.

أنت مثلاً قد تشير إلى ذاتك ككل وتقول: أنا هنا.. لكن ما طبيعة الشعور بهذه الذات؟.. إنك تحس بذاتك المادية أو الجسدية، لكن هذا الإحساس نابع من كم مجهول.. من النفس البشرية، والنفس ليس لها مكان محدد في الجسم المجسد، وأحياناً أخرى قد تشير إلى رأسك، وتقول: هنا عقلي.. لكن أين يكمن العقل من هذا الرأس، وما طبيعته أو مواصفاته؟.. وهنا لا تستطيع أن تحدد، رغم أننا جميعاً نعرف أن المخ هو مركز العقل.. والعقل هو الشعور بالانتماء إلى ذاتك.

إن إصابة مخ جيج قد حولته إلى إنسان آخر غير جيج.. صحيح أن الملامح واحدة، وأن الجسد هو هو، وأن الصحة قوية، لكن الشخصية السوية لم تصبح كذلك، فلقد كان قبل الحادثة إنساناً هادئاً متعاوناً ذكياً، وبعدها أصبح جانحاً في حين، ومنطوياً على نفسه في حين آخر، وما أسرع أن يغضب ويثور إذا ما جابه أي شيء ضد رغباته، ومن أجل هذا طرد من أكثر من عمل، حتى مات.

دوائر كهروكيميائية

إن ذلك يعني بوضوح أن نفسية الإنسان ووجدانه مرتبطتان بما يجري في مخه أساساً، ثم إذا ما حدث وتغيرت شخصيته أو نفسيته، فإن التغير قد يأتي من عوامل خارجية، أي من البيئة التي يعيش فيها.. فإن خيراً فخيراً، وإن شراً فشراً، لكن المحصلة النهائية تكمن في المخ ذاته، لأنه يستقبل دائماً كل أحاسيس وانفعالات عالمنا، وبها يتأثر، وقد يتغير، ليس في الشكل، بل في سلوك خلايا المخ التي تموج بعمعمة جد هائلة من التفاعلات الكيميائية والإلكترونية المعقدة، لأن كل خلية من الـ ١٤ ألف مليون الموجودة في أمخاخنا بمثابة صمام إلكتروني، أو بطارية كهروكيميائية، وكل منها تشحن نفسها، وتفرغ شحنتها، كلما أحست بأية إثارة تثيرها، فتعيد الشحن والتفريغ في كل لحظة تمر من أعمارنا.

أي كأنما المخ هنا بمثابة دينامو العقل، وقد يرتفع في الفولت وينخفض، أو يزيد التيار

ويهبط ، ومن وراء ذلك تفاعلات كيميائية على درجة هائلة من الكفاءة والنظام والتعقيد ، لتؤدي إلى سيل جارف من الإلكترونات ، فتتحول إلى نبضات عصبية ، تنتقل في الجسم عن طريق شبكة هائلة من الألياف ، فتبلغ رسالات ، وتستقبل أخرى ، لتبعث بها إلى « السنترال » أو الإدارة العليا أو التحكم المركزي الكامن في رؤوسنا ، فيترجمها ترجمة فورية ، ويرد على ما استقبل ، وهكذا تسري ملايين وبلايين الاتصالات في كل ثانية تمر من أعمارنا ، لتعطينا الشعور بوجودنا ، والإحساس بما وبمن حولنا ، إلى آخر هذه الأمور التي نعرفها ظاهراً ، ولا ندركها باطناً ، لأن ما يجري في الباطن أعقد وأعوص مما نتصور .

لقد قلنا إن أمخاخنا تقوم بترجمة فورية للمعلومات الواصلة إليها ، والترجمة هنا ليست من نافلة القول ، ولا هي بمجاز ، بل إنها – في الواقع – لغة خاصة جداً ، بل لغات مختلفة ، ولكل لغة مركز محدد في المخ ، وهناك شيء أشبه « بالتحويلة » تقع في أسفل أمخاخنا ، وهي تقوم بتحويل وتوجيه المعلومات الواصلة ، لتصبها في مراكزها ، فيقوم كل مركز بترجمة لغته التي يتقبلها ، ويعطينا شعوراً بما نسمع ونحس ونشم ونلمس ونتذوق . . إلخ . فللعينين منطقة ، وللأذنين منطقة أخرى مختلفة ، وللمس والتذوق والشم واللذة والكلام والتهيج مناطق أخرى . . ولكل لغته أو نبضاته العصبية المحددة .

ولكي نوضح نقول : إننا نرى عالمنا بأشكاله وأبعاده وألوانه المختلفة ، والرؤية تتم عن طريق الضوء . . لا ضوء إذن لا رؤية ، أو قد يكون الضوء موجوداً ، والأشياء موجودة ، لكن العينين معطوبتان ، وعندئذ لا تتم الرؤية ، أو قد تكون العينان سليمتين ، والأضواء والأشياء موجودة ، لكن مركز الإبصار في أمخاخنا معطوب ، وعندئذ لن تتم الرؤية ، أو قد تكون كل هذه الوسائل موجودة ، لكن الاتصال مقطوع بين العينين ومركز الإبصار ، وعندئذ لا يرى الإنسان شيئاً .

وما يجري في هذا التنظيم المذهل في عالم الإبصار ، يجري أيضاً على السمع والشم والتذوق والكلام واللذة . . إلخ .

ثم إن وسائل الاتصال بين العالم الخارجي (أو البيئة التي نعيش فيها) وبين عالمنا الداخلي (أو التنظيم المذهل الذي يكمن في أجسامنا) – لا شك أن وسائله مختلفة ، **فالإبصار** يتم عن طريق الضوء ، والضوء في حد ذاته موجات كهرومغناطيسية ذات أطوال أو ترددات مختلفة ، **والسمع** يتم عن موجات أخرى صوتية ، أو ذبذبات في الهواء ، فتستقبلها طبلة الأذن ، وتهتز بحسب درجاتها ، وتصب اهتزازاتها في « كابلات » عصبية إلى مركز السمع ، فيتعامل معها بوسيلته ، وكذلك كان **للشم والتذوق** وسائل أخرى مختلفة ، لأن هاتين الحاستين لا تتعاملان مع موجات صوتية ولا كهرومغناطيسية ، بل مع جزيئات كيميائية لها مستقبلاتها التي تتفاعل معها على سطوح الأنف واللسان ، ومن التفاعل تنتج نبضات خاصة لا زال العلم حائراً في تفسيرها ، لكن الحيرة الكبرى تكمن في مراكز المخ ، حيث تتم ترجمة كل إشارة محددة على حدة ، فتوضح لنا معالم عالمنا الذي نتعامل به ومعه .

الحيرة الكبرى

لكن ليس معنى أننا نرى ونسمع ونشم ونتذوق ، ليس معناه أن يشعر المرء بذاته الكاملة ، فكم من حاسة أو أكثر يفقدها الإنسان ، لكنه مع ذلك يحس بوجدانه ويقول : « أنا » ، وفي هذه « الأنا » احتار علم العلماء ، وحكمة الحكماء ، وفلسفة الفلاسفة . . صحيح أننا قد عرفنا الكثير عن أسرار أمخاخنا ، وحددنا فيها مناطق متعددة ، لكن كيف انسجم كل هذا وتآلف وتكامل ، فيؤدي إلى أعظم ظاهرة محيرة في الوجود . . ظاهرة العقل والنفس .

إن للحيوان ما لنا من أحاسيس مختلفة ، فلا أحد يستطيع أن ينكر أن الحيوانات تسمع وترى وتشم وتتذوق وتحس ، بل إن لبعضها حواساً أكفأ من حواسنا ، لكن ذلك لا يدخل ضمن موضوعنا ، بل ذكرنا ما ذكرنا ذكراً عابراً ، لنوضح أن الحيوانات ، حتى أقربها شبهاً بالإنسان ، لا تتصف بصفة العقل ، إذ لو عقلت ، لكانت مصيبتنا معها ثقيلة وفادحة ، وسيكون من الصعب ترويضها وتسخيرها ، ولهذا كان من الأوفق أن نقول إن الحيوان مخلوق ذو ذاكرة ، لكن لا عقل له ، رغم أن له مخاً ، وفيه مناطق تتكون من خلايا عصبية لا تختلف كثيراً في الشكل والوظيفة عن خلايا أمخاخنا .

وعن طبيعة الذاكرة قد يتشعب الحديث ويطول ، لأن الذاكرة ذاتها لا زالت من الأمور الغامضة والمحيرة ، ولهذا كان من الأوفق أن نؤجل ذلك لدراسة أخرى قادمة ، لنعلم من بعض أسرارها ما لم نكن نعلم ، وما أكثر ما لا نعلم !

ومع أن الأسس التي تقوم عليها أمخاخنا في تأدية وظائفها قد درست دراسة وافية ، سواء من الوجهة الكهربية أو الكيميائية أو التشريحية أو الجزيئية . . إلخ ، مع ذلك فإن أحداً لا يستطيع أن يشير إلى مكان محدد ويقول : هنا يكمن العقل ، وهناك تكمن الذاكرة أو العاطفة أو الوجدان أو النفس . . إلخ ، لكنه يستطيع أن يحدد مراكز الإبصار واللذة والألم والكلام . . إلخ .

ثم إن البحوث الكثيرة والمثيرة التي أجراها العلماء على أمخاخ الإنسان والحيوان ، وما تمخض عنها من حصيلة علمية هائلة ، قد أطاحت بكل الأفكار القديمة التي تبناها الناس لأجيال طويلة ، وفسروها بقدر ما ملكوا من قدرات عقلية محدودة ، فكل الأمراض العصبية التي أصابت الناس من قديم الزمان ولا زالت ، ليست تأكيداً من فعل مس من الجن ، أو أعمال سحر ، أو أرواح شريرة ، بل هي نابعة أساساً من خلل في الأمخاخ ، وفي هذا أيضاً يتشعب الحديث ويطول ، وسوف نتعرض له في دراسة أخرى قادمة ، لنكشف المزيد من أسرار هذا العالم الغريب . . عالمنا الذي نحمله فوق أعناقنا ، ونحتفظ به في أدمغتنا ، ليشكل أعظم نعمة في الكون الحياة . . « صنع الله الذي أتقن كل شيء » . . ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

لقاء

أحمد محمد جمال

الإسلام لا يمنع من الفنون والأخلاق والتصرفات الإنسانية إلا ما يضر المسلمين

من متطلبات الحياة الجمع بين الثقافة والمعايشة فيها بالعمل لدفع نشاط الإنسان وحركته إلى التقدم والسمو بالدوافع والغرائز بما يحقق الأمان والسلام والاستقرار النفسي والمادي .

وللإسلام موقفه المتميز في تنظيم الحياة وتحسين ديناميكية حركتها لسعادة الإنسان وأمنه .

وعندما تجتمع الثقافة الإسلامية النقية بالأدب الذي هو التعبير عن المشاعر الجميلة تعبيراً نبيلاً جميلاً ، فإن محصلة هذا اللقاء تقود إلى التنظيم ، والإبداع والابتكار من خلال أقلام الكتّاب الموهوبين ممن وهبهم الله تعالى قول الحق ، والرأي الصائب ، والحكمة الحسنة .

وهذا اللقاء مع أحد هؤلاء الكتّاب الذين أسهموا في مجالات الثقافة الإسلامية والأدب والصحافة ، وهو واحد من الدعاة والعلماء المعروفين في داخل المملكة العربية السعودية وخارجها .. إنه الأستاذ أحمد محمد جمال .



الالتزام في الأدب

●● ما نظرتكم إلى الالتزام في الأدب ، وبصفة خاصة في أدب المملكة العربية السعودية ؟

● سبق أن دعوت إلى الالتزام في الإنتاج الأدبي خلال محاضرتي التي ألقيتها في **مؤتمر الأدباء السعوديين** ، الذي دعت إليه **كلية الآداب بجامعة الملك عبد العزيز** ، وانعقد بمكة المكرمة سنة ١٣٩٤ هـ .

وركّزت بصفة خاصة على **الأدب السعودي** .. ليكون أدباً ملتزماً بالأخلاق والمبادئ الإسلامية ، والعادات والتقاليد العربية .. لأنه يصدر في جزيرة العرب ، ومن مهبط الوحي القرآني والنبوي .

الثقافة الإسلامية .. والحضارة

●● وما أثر الثقافة الإسلامية في الحضارة المعاصرة ؟

● لا ريب أن الثقافة الإسلامية أثرت في الحضارة الغربية العلمية قديماً .. أي أن كثيراً من النظريات والقواعد العلمية في الطب والهندسة والتأريخ والجغرافيا سبق إليها علماء مسلمون ، واقتبسها علماء غربيون في عصور النهضة الإسلامية ، التي كان يطلق عليها في الغرب القرون الوسطى لأنها قرون تخلف وانحطاط بالنسبة لهم ، وقرون تقدم وحضارة بالنسبة لنا (يراجع كتابنا : **محاضرات في الثقافة الإسلامية** ـ ص ٢٩٧ وما بعدها) .

المجتمع الإسلامي .. والفن

●● ما الذي يمكن أخذه من الفن في مجتمعنا الإسلامي اليوم ؟

● لا بأس من الأخذ بأي فن من الفنون الحديثة بشرط أن يكون متفقاً مع شريعتنا وعقيدتنا وأخلاقنا . وهذا الاتفاق يعني أنه لا يضر بنا ولا يفسد حياتنا ، لأن **الإسلام لا يمنع من الفنون والأخلاق والتصرفات الإنسانية إلا ما يضر المسلمين ، ولا ينفعهم !** .

أجرى اللقاء :
فاروق صالح باسلامة

الأدب الإسلامي اليوم

●● هل يوجد أدب إسلامي في هذا القرن ؟

● نعم يوجد (أدب إسلامي) في كافة البلاد الإسلامية عربية وغير عربية . ولكنه مغلوب على أمره ، والغالب هو الأدب غير الإسلامي الوافد من شرق ومن غرب ، والمتجه اتجاهاً مادياً أو إباحياً . وقد تأثر به أدباء عرب ومسلمون ــ مع الأسف الشديد ــ .

البيئة .. وتربية الطفل

●● ما البيئة المناسبة لتربية الطفل تربية صحيحة نافعة ؟

● لا يوجد في منهج تربوي حديث ، ولا ديانة سابقة : ما شرعه الإسلام في نظامه التربوي للأطفال المسلمين . فالقرآن الكريم والحديث النبوي ، ورجال التربية والتعليم القدامى من أمثال (**الغزالي ــ وابن خلدون ــ وابن سحنون ــ وابن جماعة ــ والزرنوجي ــ** وغيرهم) . كل أولئك وضعوا التربية للطفل المسلم ، والعناية به ، ورعايته منذ ولادته إلى أن يشب عن الطوق ، ما يضمن له حياة طيبة ، وسلوكاً كريماً ، ومواطنة صالحة .

دور المرأة المسلمة

●● ما دور المرأة المسلمة في مجتمعاتنا الإسلامية المعاصرة ؟

● المرأة المسلمة كالرجل تماماً : لكل منهما حقوقه ، وعليه واجبات . وهي مطالبة بأداء هذه الواجبات أولا وقبل كل شيء كزوجة وأم .. فهذه وظيفتها الأساسية ، فإذا وجدت فراغاً فأمامها المجتمع النسائي ــ من مدارس وجامعات ومستشفيات ــ تعمل فيه وتشارك بعلمها وجهدها ، كما أنها مطالبة بنص القرآن : أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر بين بنات جنسها .

الصحافة .. والأدب

●● وعلاقة الصحافة بالأدب ؟

● الصحافة تجني على الأدب إذا انصرف الأدباء إلى الكتابة الصحفية السريعة التي لا تهتم بتجميل لفظ ، أو تحسين عبارة ، أو صياغة فقرة ، أو تجويد فكرة .

وهي تجني على الأدب ــ أيضاً ــ إذا أغرت الأدباء .. بالمكافآت أو الأجور السخية ، وشغلتهم بالكتابة في الصحف في موضوعات محلية عاجلة ، وقضايا اجتماعية مؤقتة .

التاريخ الإسلامي

●● هناك من يرى أن التاريخ الإسلامي لم يكتب بعد .. ما رأيكم في هذا ؟

● منذ أكثر من عشرين عاماً تحدث **الأستاذ عزيز ضياء** عن تاريخنا وقال : (إنه لم يكتب بعد) . حدث ذلك في ندوة فكرية عقدها مدير التعليم بجدة **الأستاذ عبد الله بوقس** (وكيل وزارة الحج الآن) فعقَّبت عليه مخالفاً رأيه : بأن التاريخ الإسلامي مكتوب بالأسلوب القديم وبالصياغة الحديثة بأقلام مفكرين عصريين أيضاً .. (ولكنه لم يقرأ بعد) . ثم فصَّلت القول في ذلك في محاضرة مطولة في كتابي (محاضرات .. في الثقافة الإسلامية) الذي يدرس في جامعة الملك عبد العزيز بعنوان (الإسلام : حضارةً وتاريخاً) .

الدعوة الإسلامية

●● ما الدور الذي يجب أن تنهض به الدعوة الإسلامية لمواجهة التيارات المعادية ؟

● لي حديث طويل عن الدعوة الإسلامية .. وكيف يجب أن تكون ؟ وقد ألقيت في موضوعها محاضرة **بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة** .. وأخرى بالمؤتمر الإسلامي الذي انعقد في كوالالمبور في ماليزيا قبل أشهر .

والعنصر المهم ، أو المبدأ الأساسي الذي يجب أن يهتم به الدعاة الإسلاميون ــ أو مؤسسات الدعوة ــ هو الانشغال بالإصلاح الداخلي أولا .. أي تقويم انحرافات المجتمعات الإسلامية قبل الاتجاه بالدعوة خارج العالم الإسلامي ، لأن الذين يدخلون في الإسلام ــ بدعوة الدعاة ــ إذا رأوا انحراف المسلمين أنفسهم داخل بلادهم ، أو خارجها خلال رحلاتهم التجارية أو الصيفية ــ ارتابوا في حقيقة الإسلام ، بل ربما ارتدوا عنه ، وقالوا في أنفسهم : إن ديناً لم ينفع أهله لن ينفعنا ! .

إذن فلا بدَّ أن نكون أفراداً وجماعات ومجتمعات : قدوة حسنة ، وأسوة صالحة لمن ندعوهم إلى الدخول في ديننا . فهذه هي طريقة سلفنا الصالح في الدعوة إلى الإسلام ، وهي سبيل النجاح والتوفيق .





دأبت جمهرة الدارسين في الغرب على طمس أي دور للشعوب غير الأوروبية في الثقافة الإنسانية، ومحو أي أثر لهذه الشعوب والأمم والأقوام الكاثرة في ارتقاء الفكر البشري وتقدمه، مستخدمة في ذلك شتى الافتراءات والافتراضات غير العلمية لتبرير ذلك، ومن ثم تمريره وتثبيته.

تطورت هذه الموجة العاتية في القرن الثامن عشر، واستشرت في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين بعد أن تحولت البرجوازية الأوروبية إلى نظام عالمي قاتل أخضع الشعوب الصغيرة ووضعها تحت هيمنته وعسفه الجائر؛ فانصب اهتمام الدارسين هناك على ثقافة الغرب وآدابه، وتجاهل هؤلاء أو تنكروا لرصيد غيرهم من الأمم. وكان ذلك يصدر إما عن عدم اطلاع على تراث الآخرين أو عن جهل تام به، وإما عن استهجان لقيمته واستصغار لدوره.

ولما كانت ثقافة الغرب هي المعيار الوحيد، والمقياس الأخير، والمحاجة الرئيسية التي يصدر عنها أي حكم أو تقدير.. وقع الخطأ الجسيم في مفهوم التطور الثقافي، والسنن التاريخية، والقوانين الموضوعية التي يسير على هديها هذا التطور، وترتب على ذلك تقليص أو إلغاء دور الثقافات القومية والمحلية الأخرى، وعدم القدرة على رسم خطوط عريضة واضحة لمسيرة الثقافة الإنسانية برمتها منذ القدم وحتى الآن.. وأدى ذلك إلى تكريس مفهوم **كيبلنغ** عن المسافة بين الشرق والغرب، وعدم التقائها كحقيقة واقعة عند هؤلاء وحواريهم.

النظرة إلى آداب الشرق

إذا تناولنا المؤلفات التي عالجت تاريخ الأدب العام على سبيل المثال لا الحصر نجد أنها لم تأت على ذكر آداب شعوب الشرق، ولا ذكر آداب الأمم الصغيرة الأخرى في أمريكا اللاتينية. وهذه المؤلفات إذا ما تطرقت إلى بعض منها، فإنما لتقوم بتشويهها أو إثارة الشبهات حول قيمتها، ومدى دلالتها وقدرتها على الأخذ والعطاء، ولم تخصها إلا ببضع صفحات قليلة، وفي كثير من الأحايين بكلمات معدودة. ويمكن أن نستثني من هذا الحكم العام **كتاب لوتورنو «التطور الأدبي لجميع القبائل»** ويدل على ذلك عنوانه، وكذلك **كتاب بوسيه «تاريخ الأدب العالمي»** اللذين يشتملان على مادة ثرة وغزيرة، وتفاصيل دقيقة لآداب شتى الأمم والشعوب. إلا أن هذين المؤلفين قاما بدورهما أيضاً بالتقليل من أهمية آداب الشعوب غير الأوروبية، والاستهانة بجهود أبنائها وعطائهم الأدبي والفكري، وبمدى أصالتهم ومواهبهم، وذلك لأن المؤلفين يريان أن دراسة آداب شعوب الشرق لا تفيد كثيراً، وأن ضرورة الإلمام بها والاطلاع عليها تأتي لخدمة سعة الاطلاع والاستزادة من المعلومات التي لا تخدم بناء الصرح العام للأدب.



★ أرنولد توينبي ★



★ فيكتور هيجو ★

وقد جاء في **كتاب جيرارد «مقدمة في الأدب العالمي»** أن الأدب العام «لا يوجد إلا لسعة الاطلاع، وهو يشمل مختلف الآداب في شتى مختلف العصور.. ولكن بدون التشديد على وحدتها أو تواشجها. فالأدب العام يقتصر على تلك المبدعات التي تثير المتعة لدى الجميع، أي لدى كل الناس من الناحية المثالية، أما من الناحية العملية ــ فلدى ممثلي ثقافتنا الخاصة، الأوروبية أو الغربية». أما **ميلخ الناقد الألماني الغربي** فينكر أن تكون هناك آداب قومية متكافئة وعلى قدم المساواة.

نظرة الغرب إلى العرب

وثمة من يستكثر على شعوب الشرق منجزاتها الإبداعية والفكرية، ويعتبر

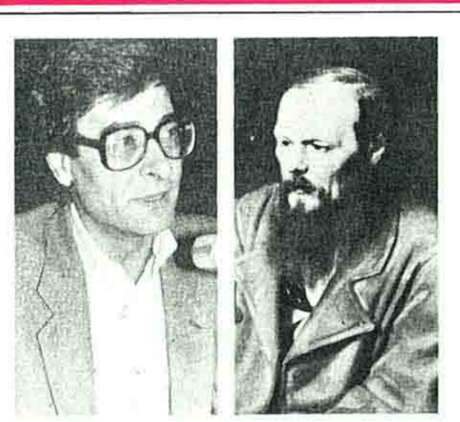
بعض فترات الرقي الذهني عند هذه الشعوب مجرد نزوة عابرة وصدفة مثيرة لن تتكرر، وسرعان ما يزول تأثيرها ومفعولها لتعود هذه الشعوب إلى الهمجية أكثر من سابق عهدها.

ورد في كتاب **«أدب جميع الشعوب في جميع العصور» هولبورن** وآخرين ما يلي:

«لم تستطع أية أمة من الأمم منذ القرن التاسع وحتى السادس عشر أن تضاهي **العرب** في قيمة مكتسباتهم الذهنية.. لكنهم انهاروا على عجل وبمثل السرعة التي صعدوا بها، والآن هم أكثر بربرية ووحشية مما كانوا عليه قبل أكثر من ألف عام.

وجاءت في مؤلفات **فيليب حتي** آراء شبيهة بما ذكرت، مع إجراء بعض التغييرات الطفيفة في الشكل، مع أن الجوهر واحد، وهو حرمان هذه الشعوب من الموهبة والنبوغ الذهني، والقدرة على الخلق والإبداع. **والغريب في الأمر حقاً أن يشاطر بعض الدارسين العرب، عن قصد وعن غير قصد، المؤلفين الغربيين هذه النظرة الخاطئة وغير العلمية، وهي مغالطة مكشوفة ومقصودة وغير مدروسة ولا مدعومة بالأدلة العلمية والبراهين الموضوعية وتراكم التجربة**. ويعزى تخلف الشرق إلى قصور الذهن وفساد المنطق لدى شعوبه وهذه نظرية عرقية فاسدة يعرفها الجميع ويدركون مراميها جيداً، كما يرجع البعض أسباب تدهور الشرق إلى طبع غريب لديه، أو سلوك متخلف متوارث عند هذه الأجناس البشرية.

ولما كنا نرى أن الثقافة القومية والإنسانية لا تنتقل من جيل إلى آخر بالتوارث البيولوجي، وإنما تكتسب اكتساباً عن طريق التواصل الاجتماعي، فإن الآراء والمغالطات السالفة الذكر تصب في تيار جارف واحد وهو تمجيد العقلية الأوروبية المتفتحة والفريدة، وازدراء العقلية الشرقية المغلقة والمتفتحة لتبرير استعباد الشرق، والقبول بالهيمنة الغربية على مصيره ومستقبله.



★ دستويفسكي ★ ★ محمود درويش ★

نظريات الحضارة

ويقوم تصور تمايز الحضارات على اعتقاد يرى أن التواصل الثقافي والحضاري لا يتم إلا في نطاق ثقافة قومية واحدة، أو في نطاق ثقافات متشابهة، أصحابها ذوو أصول عرقية واحدة أو متقاربة. لذا، فإن الثقافات المتنوعة والمتباينة لا تلتقي، بل تظل مغلقة على نفسها لا تأخذ ولا تعطي، تعيش حياتها الخاصة المعزولة.. تحيا وتموت دون أن تترك أي أثر على غيرها، وإذا حدث المستحيل وتلاقت ثقافتان مختلفتان فإن الثقافة الأقوى تخمد الثقافة الأضعف، وتطغى عليها وتذيبها؛ فتتلاشى الأخيرة نهائياً وإلى الأبد بدون أن يحدث ذلك أي تغيير يذكر على الأولى. وهذه الفرضية الواهية تتنكر للأصالة القومية، وتدعو إلى العزلة والتقوقع.

يتم هذا الفصل التعسفي بين الثقافات من منطلقات عدة، أهمها تلك النظريات التي ولدت نتيجة أفول شمس الحضارة الغربية البرجوازية، وغروب بريقها، وزعزعة الأسس التي تقف عليها، وتصدع قيمها وانهيار مثلها، وخيبة الأمل وعدم الثقة بمستقبل هذه الحضارة المتداعية مع تداعي النظام الاجتماعي الذي يحميها ويرعاها.

وأفضى هذا الدفع إلى نشوء مختلف الفرضيات وبروز عدد من النظريات المعادية لتقدم الثقافة ورقيها، والتكهن بقرب انهيارها وفنائها التام، ليبدأ العالم دورته الثقافية والحضارية من جديد.. وهكذا. ويصدر هذا عن ضعف الإيمان برقي الحضارة الغربية، وغروب عزها ومجدها كما أثار ذلك **شبيغلر** في كتابه «**غروب الحضارة الغربية**»، أو عن قناعة ثابتة بأن الحضارات الإنسانية تدور في حلقات مغلقة ومعزولة، تبدأ من اللاشيء لتنتهي عند حد ما حيث ينتظرها الفناء المحتوم (**فيكو، توينبي، سوروكين، مانرو، أورتيفا ـ إي ـ غاسيت**)، يعني أن الحضارة ومكوناتها الأساسية الثقافة تقطع مسيرتها طبقاً لمسيرة الإنسان، إذ تمر بالمراحل التالية: الطفولة، الشباب، الشيخوخة فالفناء.

هذه النظرية ليست جديدة تماماً، فقد أشار «**كانت**» في كتابه «**نقد خواص الحكم**» إلى أن النبوغ والمهارة ميزتان لا يمكن توارثهما، فالفرد يكتسبها من الطبيعة مباشرة وبدون وسيط، ويزولان بفنائه وموته، وعلى الإنسانية عندئذ أن ترقب الأيام إلى أن تمن الطبيعة عليها بآخرين. وهذا ما قال به **هوجو، وجوته** كذلك، إذ أكدا على أن الإبداع يبدأ حياته مع كل فنان من البداية، ولا يعترفان بتفاعل الثقافات وتأثر بعضها ببعض، مع أن هذه التأثرات والتفاعلات شكل من أشكال استمرار الثقافة الإنسانية ورقيها، وتصاعدها إلى أمام. ومن هذا المنطلق فإن هؤلاء لا يرون في بزوغ نجم العبقرية أي ارتباط بالزمكان، أو بثقافة العصر، وإنما يعتمد ظهورها على شيء ما سري خارج على قوانين الحياة والطبيعة.

وعصارة القول أن هذه الفرضيات الواهية والزائفة تقطع الصلة بالماضي، لا سيما بالتراث، وتقفل الباب أمام استمرار رقي الثقافة وتقدمها باتئاد إلى أمام، كما تنكر كذلك أي شكل من أشكال التواصل بين الثقافات المختلفة، أو أي تأثير كان مهما قلّ شأنه بينها.

وخطأ هذه النظريات ينبع من عدم إدراك مفهوم الرقي الثقافي، ذلك أن لهذا الرقي طابعاً موجهاً، وخليفته توجيه ما يحدث من تغيرات، وتصعيد الإبداع والفكر إلى مرحلة أعلى وأعقد، أو إلى مستوى جديد من التطور التاريخي.

التواصل في الثقافة والأدب

التطور الارتقائي

إن التطور الارتقائي لأية ظاهرة حياتية كانت أم ثقافية ، يتم عبر التصاعد من المراحل أو المستويات الدنيا إلى العليا ، وهذا يؤدي بالتالي إلى تكوين ومن ثم تعقيد بنية الظاهرة المتطورة ، والتي « تسير تصاعدياً وإلى أمام باستمرار على درجات سلم واحد . يعني حصيلة تطور جدلي عام يتم على طريق صراع الأضداد ، وعبر نشوء التناقضات والتغلب عليها ، ونفي المراحل السابقة . وهذا التطور قد يعرف التجمد والانحطاط ، والتحرك التائه ، ولكنه في نهاية المطاف خاضع للضرورة الحتمية ، ولا مناص عنه » ، كما يشير **فانسلوف في كتابه القيم « الرقي في الفن »** .

التخلف موجود شأنه شأن الرقي ، لكن مشكلة الرقي الأساسية هي قهر الجمود والتغلب على الإنهيار . التخلف لحظة من لحظات المد التصاعدي العام ، وظاهرة طبيعية تتولد من جراء تناقضات مراحل الرقي الملموسة ومحدوديتها . لذا ، فإن التخلف شكل من أشكال هذا الرقي ، لأن التصاعد إلى أعلى يتم عبر صراع الاتجاهات المتقدمة والمتخلفة ويتحقق نتيجة لانتصار الأولى على الثانية .

بدون صراع وتعارض وتنازع لا يوجد رقي أو تقدم . هذا هو القانون العام الذي تخضع له الحضارة الإنسانية منذ نشوئها وحتى الآن .

يتضح الرقي الثقافي أو الفني في الجدلية القائمة بين الفقدان والاكتساب ، بين الخسارة والأخذ التي تتم أثناء مسيرة الظاهرة الفنية أو الثقافية ، وكذلك التواشج التواصلي بين الظواهر الفنية المختلفة .

فالواقعية التي ورثت **الرومانسية** جاءت نتيجة صراع حاد وعنيف مع الرومانسية ، وتواشج تواصلي وإياها كذلك . . فكسبت أشياء وفقدت أشياء . . وهذا ما حدث للرومانسية التي انتصرت على **الكلاسيكية** نتيجة احتدام الصراع بينهما ، وقد أثرت إثراءً كبيراً ووافراً ، واكتسبت أشياء كثيرة بتجسيدها للعالم الداخلي للإنسان والولوج إلى أعماقه ، مع أنها فقدت في الوقت ذاته الحماس الوطني وقوة التعميم ، أو ما تميز به الفن الكلاسيكي .

إذن ، كل عصر يحرز مكسباً جديداً يضيفه إلى الثقافة والفكر لكنه يخسر في الوقت نفسه شيئاً ما ، وبهذا يرق الفن ، وترق الثقافة إلى أن يصلا إلى الأوج ، مع ما يعتور هذا الرقي من معوقات وإحباطات . وتشق الثقافة والفن طريقهما عبر الكسب والخسارة إلى أمام وفي تصاعد مستمر ، وتتسع الإمكانات أمامهما دوماً ، وتتراكم القيم الثقافية والفنية مع الزمن بشكل دائم متواصل .

وهذا الحال يضعنا وجهاً لوجه أمام الإبداع والإبداع ، التجديد والتقليد ، الأصالة والحداثة وغيرها . إن انتقال تقاليد السلف إلى الخلف بشكل قضية لا يستهان بها ، ولا يمكن الغض من شأنها وأهميتها .

الارتباط بالتقاليد لا يمكن إدراكه كصلة عرفانية ، ولا كوشيجة شكلية محض ، وإنما كارتباط فكري كذلك ، ذلك أن الأفكار الفنية الجديدة تبرز نتيجة إعادة تشكيل الأفكار الموجودة سابقاً وصياغتها ، ولا تتولد من فراغ ولا في فراغ .

فالفنان الناشئ مثلاً يستمد من سابقيه ليس المقدرة والتقنية والمهارة فحسب ، وإنما كذلك الارتباط بالحياة ، والتصور عن القيم الحقيقية والقيم الخادعة ، والمثل الفنية والقناعات الشخصية ، وتربية المبادئ الفكرية ــ الخلقية العليا ، وتشكيل رؤية للواقع ، وتنمية الفكر الفني لديه .

يعترف غالبية الكتاب البارزين بتأثير سابقيهم وبفضلهم في خلق مهاراتهم وملكاتهم الخاصة وتكوينها ، وقد أشار **دستويفسكي** مرة قائلاً : « **إننا جميعاً خرجنا من معطف غوغول** » وهو يعني أن كتاب جيله قد تأثروا جداً **بقصة غوغول (« المعطف ») ، وتركت بصمات لا تمحى على منهجهم الفني وطرائق تناولهم لهموم الناس ومشاكل الحياة . يقول تشيرنيشيفسكي** بهذا الخصوص : « جاء الكتّاب الموهوبون المعاصرون جميعهم من غوغول ، مع أنهم لم يحاكوه في شيء ، ولا يذكر نتاجهم به ، إلا أنهم بفضله أصبحوا مستقلين ، وبدراستهم لأعماله فهموا الحياة والشعر » .

ويكتب **محمود درويش** في معرض تقريظه لديوان **أبي سلمى** « من فلسطين ريشتي » قائلاً : « أنت الجذع الذي نبتت عليه أغانيا » ، مشيراً إلى أهمية شعر أبي سلمى لكتاب الأرض المحتلة واستمدادهم لمواقفهم البطولية من تراث هذا الشاعر ، مع أن نتاجهم لا يذكر ــ بشكل مباشر ــ بنتاج أبي سلمى .

عندما يتصارع الجديد والقديم فإن الجديد يرفض القديم ، وهذا السجال الدائم هو شكل فريد من أشكال التواصل . والتواصل هو قانون تطور الفن ، وهو قانون موضوعي لا يعتمد على إرادة الشخصية ووعيها كما هو الحال بالنسبة لبقية أشكال الإنتاج المادي والمعنوي .

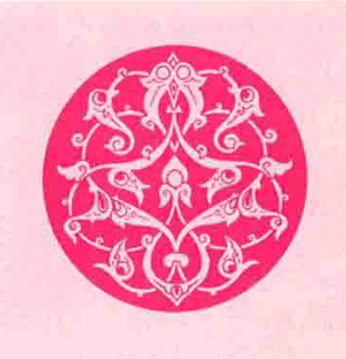
يرى عالم الجمال السوفياتي المعروف في كتابه القيّم « **محاضرات في علم الجمال** » أن : « **تأثيرات فنان على فنان آخر موجودة دائماً ، ولكنها تنمو على تربة اجتماعية ملموسة ، وهذه التربة هي التي تفسر بالتالي هذه التأثيرات** » .

صفوة القول أن حدود التوارث الثقافي والتواصل الفني لا تتحدد قط بمستوى تطور ظاهرة بعينها ، وإنما تشمل جميع القيم الثقافية والحضارية المتراكمة .



يحتفل العالم بذكرى مرور ألف عام ميلادي على مولد العالم والفيلسوف الإسلامي ابن سينا. فقد ولد هذا الفيلسوف عام ٣٧٠هـ ـ ٩٨٠م.

وإذا كانت صور الاحتفال بهذا الفيلسوف تتعدد وتتنوع، من إقامة مهرجان أو أكثر له، أو تأليف كتاب تذكاري عنه، أو تحقيق كتاب من كتبه العديدة وما أكثرها، إلا أننا مساهمة من جانبنا في الاحتفال بذكرى هذا المفكر العظيم، قد آثرنا أن نكتب عن جانب من جوانب فكره الخصب العميق، جانب لم يدرس باستفاضة وعمق حتى الآن، وهذا الجانب هو التصوف عند ابن سينا، أي فلسفة الصوفية، مع بيان موقفه كفيلسوف، من التصوف والصوفية.



ابن سينا وفلسفته

بقلم: د. عاطف العراقي



وأعتقد من جانبي أن دراسة هذا الجانب يعد على جانب كبير من الأهمية. إذ إن الدارسين قد درسوا باستفاضة حياة هذا الفيلسوف ونشأته، كما قدموا الكثير من الدراسات عن طبه وعلمه، كما أفاضوا في الحديث عن فلسفته التي إذا كان في بعض جوانبها متأثراً بفلاسفة اليونان، إلا أنه في جوانب أخرى كان مقدماً لنا آراء لا نجدها عند فلاسفة اليونان الذين سبقوه.

إننا إذا كنا نجد اتفاقاً بين كثير من الباحثين حول آرائه الفلسفية، إلا أننا نجد اختلافات عديدة بين الباحثين الذين درسوا آراءه الصوفية.

وقبل أن نعرض لأبرز الآراء التي قال بها في مجال التصوف، نود الإشارة إلى أهم مؤلفاته ورسائله التي نجد فيها اهتماماً من جانبه بدراسة الأبعاد الصوفية.

١ ـ كتاب الإشارات والتنبيهات

الأنماط التي يبحث فيها **ابن سينا** في مجال التصوف في هذا الكتاب، أنماط ثلاثة، هي: **النمط الثامن والنمط التاسع والنمط العاشر.**

موضوع النمط الثامن، **البهجة والسعادة**. ويتضمن هذا النمط تسعة عشر فصلاً. وموضوع النمط التاسع، **مقامات العارفين**، ويحتوي على سبعة وعشرين فصلاً. وموضوع النمط العاشر والأخير، **أسرار الآيات**، ويعني بها العجائب والغرائب التي تحدث عن العارفين بالله، ويندرج تحت هذا النمط ثنتا وثلاثين فصلاً.

ونود أن نشير إلى أن كتاب الإشارات والتنبيهات إذا كان ينقسم إلى قسم منطقي، وقسم طبيعي، وقسم إلهي، وقسم صوفي، إلا أن ذلك لا يعني أن الأفكار الصوفية، تعد موجودة داخل القسم الصوفي فحسب، إذ إن الدارس للقسم الطبيعي والقسم الإلهي يجد بعض الأفكار والاتجاهات الصوفية متناثرة هنا وهناك وخاصة في القسم الإلهي

★ أرسطو ★ ★ أفلاطون ★

من هذا الكتاب .

نقول هذا حتى لا يحسب القارئ أن كل آراء ابن سينا في مجال التصوف ، إنما تعد محصورة داخل القسم الصوفي ، بل إن له – كما ذكرنا منذ قليل – بعض الأفكار في أقسام أخرى من كتاب « **الإشارات والتنبيهات** » ، تماماً كما نقول إننا نجد بعض الأفكار الصوفية في القسم الإلهي من كتاب « **الشفاء** » .

٢ – رسالة في ماهية العشق

تتضمن هذه الرسالة ستة فصول ، بالإضافة إلى فصل سابع يعد الخاتمة لهذه الرسالة .

والفصول الستة هي :

١ – في ذكر سريان العشق في كل واحد من الموجودات .

٢ – في ذكر وجود العشق في الجواهر البسيطة غير الحية .

٣ – في ذكر وجود العشق في الموجودات ذوات القوى المغذية من جهة قواها المغذية .

٤ – في ذكر وجود العشق في الجواهر الروحية من حيث لها قواها الحيوانية .

٥ – في ذكر عشق الظرفاء والفتيان للأوجه الحسان .

٦ – في ذكر عشق النفوس الإلهية .

ونود أن نشير إلى أننا نجد خلافاً بين الباحثين حول حقيقة هذه الرسالة ، هل يفصل فيها ابن سينا أمر العشق كشيء نفساني ، أم أنها رسالة صوفية تعالج العشق كما يفهمه المتصوفة ؟

وإذا درسنا فصول هذه الرسالة ، تبين لنا أن الكثير من الموضوعات الموجودة بين ثناياها ، لا تخرج عن الموضوعات التي يبحثها ابن سينا في الفلسفة العامة ، طالما أنه يبحث في سريان العشق في الكائنات .

بيد أن هذا لا يمنع من القول بأن لها صلة بالناحية الصوفية ، وإن كانت صلة ليست مباشرة ، وخاصة إذا وضعنا في الاعتبار أن ابن سينا في القسم الخاص بالتصوف في كتابه « **الإشارات والتنبيهات** » يشير إلى بعض الجوانب التي تتعلق نوعاً من التعلق بموضوع هذه الرسالة ، وخاصة حين يشير في الإشارات إلى الفرق بين مرحلة الشوق ومرحلة العشق .

وبوجه عام يمكن القول بأن ابن سينا يرى أن الموجودات تعد ثمرة من ثمرات عشقها للخير الأسمى وشوقها إليه .

هذا بالإضافة إلى أن الخير المطلق يتجلى لعاشقه . وهذا العاشق يقبل على المعشوق ويتصل به ، بحيث تكون الموجودات كلها بسيطة كانت أو مركبة ، عليا كانت أو دنيا تجمعها حركة العشق .

أما لو اقتصرنا على المستوى الطبيعي الصرف ، فإننا نجد أنه من المبالغة تحميل هذه الرسالة الكثير من الدلالات الصوفية .

٣ – رسالة العروس

هذه الرسالة لا تتضمن إلا القليل جداً من العناصر التي ترتبط بموقف ابن سينا من التصوف .

ونجد فيها إشارة إلى بعض الموضوعات التي يبحث ابن سينا فيها باستفاضة في كتابه « **الإشارات والتنبيهات** » .

فهو على سبيل المثال ، حين يبحث في هذه الرسالة في ترتيب الموجودات ، ويتحدث عن العقل الفعال ، وعن النفس القدسية ، يريد من ذلك كله إثبات النبوة .

فهو يرى أن أشرف الناس في هذا العالم من كانت نفسه النطقية عقلاً بالفعل ، وأشرف من كانت نفسه النطقية عقلاً بالفعل ، من له النفس القدسية النبوية .

ويخرج ابن سينا من ذلك إلى القول بضرورة وجود السنّ من جهة أقوى الناس عقلاً وأزكاهم نفساً ، لا يهمه في الدنيا إلا الضروريات ، ولا يتوخى الرياسة فيما يفعل ، بل يفعل ابتغاء لمرضاة الله ، ويكلم الناس على قدر عقولهم ويفهمهم أمر المبدأ أو المعاد ، مفرقاً بين الأنفس الشريرة والأنفس المقدسة . وهذه كلها موضوعات سيدرسها ابن سينا على نحو أكثر تفصيلاً في القسم الصوفي من كتاب « **الإشارات والتنبيهات** » .

٤ – رسالة في النبوات وتأويل رموزهم

تتضمن هذه الرسالة بعض الجوانب الصوفية ، وإن كانت جوانب قليلة للغاية وهذه الجوانب ترتبط ببعض الموضوعات التي يبحثها في القسم الصوفي من كتاب « **الإشارات والتنبيهات** » .

٥ – الرسالة النيروزية في معاني الحروف الهجائية

لا نجد في هذه الرسالة أفكاراً صوفية ، إلا الفكرة الخاصة بالعشق عشق ما هو أدنى لما هو أعلى .

ويقسم ابن سينا هذه الرسالة إلى ثلاثة فصول هي :

١ – ترتيب الموجودات والدلالة على خاصية كل مرتبة من مراتبها .

٢ – الدلالة على خاصية كل مرتبة من مراتبها .

٣ – الغرض من هذه الحروف .

٦ – رسالة في علم الأخلاق

هذه الرسالة التي يعرض فيها ابن سينا لمعاني كثير من الفضائل الخلقية كالقناعة والعفة والسخاء ، وإذا كانت تدلنا على استفادة ابن سينا من **أفلاطون وأرسطو** ، إلا أنه يضيف إلى هذه الاستفادة أبعاداً دينية . ثم سنجده يشير إلى هذه الفضائل بأبعادها الفلسفية والدينية ، في كتابه « **الإشارات والتنبيهات** » ، وخاصة حين حديثه عن درجات العارفين وتمييزه بين الزاهد والعابد العارف ، والزاهد العابد غير العارف .

٧ ـ رسالة في العهد

هذه الرسالة كسابقتها ـ **أي رسالة في علم الأخلاق** ـ تتضمن تحليلاً موجزاً لبعض الفضائل التي يغلب عليها الجانب الخلقي . وابن سينا يشير إلى هذه الفضائل بصورة أو بأخرى في القسم الصوفي من كتابه «**الإشارات والتنبيهات**» .

٨ ـ رسالة حي بن يقظان

نستطيع القول بأن لهذه الرسالة بعض المدلولات الصوفية ، وخاصة إذا وضعنا في الاعتبار أنها تعتمد من بعض الوجوه على أسطورة قديمة ، وهي **قصة سلامان وأبسال** .

ويرى **دي بور** أن شخصية **حي بن يقظان** الرمزية ، تبين صعود النفس من عالم العناصر مجتازة عوالم الطبيعة والنفوس والعقول ، حتى تبلغ عرش الواحد القديم .

ويظهر **حي بن يقظان** لابن سينا شيخاً بهي الطلعة قد أوغل في السن ولكنه لا يظهر عليه الضعف والمشيب ، ويتطوع بهدايته إلى السبيل .

وقد حاول ابن سينا ـ كما تحكي القصة ـ معرفة الأرض والسموات بحواسه الظاهرة والباطنة وينفتح أمامه طريقان : طريق إلى **المغرب** ويعني به طريق المادة والشر وطريق إلى **المشرق** ويعني به طريق الصور المعقولة التي لا تلامسها المادة . ويقود **حي بن يقظان** ابن سينا في هذا الطريق ، ويردان معاً شرعة الحكمة الإلهية ، حيث الحسن والنور والسر الأزلي .

فحي بن يقظان يعد هادئ النفوس الناطقة الإنسانية ، وهو العقل الفعال ، وهو الذي يؤثر في العقل الإنساني .

قلنا إن **ابن سينا** يعتمد من وجه الوجوه ، في رسالة **حي بن يقظان** ، على **قصة سلامان وأبسال** ، وهي التي ترجع إلى العصر اليوناني المتأخر .

ويشير ابن سينا في كتاب «**الإشارات والتنبيهات**» ، إلى هذه الأسطورة .

٩ ـ رسالة في معنى الزيارة وكيفية تأثيرها

هذه الرسالة تعد إجابة عن سؤال سأله لابن سينا ، **أبو سعيد بن أبي الخير** . إنه يسأله عن سبب إجابة الدعاء وكيفية الزيارة وحقيقتها وتأثيرها في النفوس والأبدان ؟

ونستطيع القول بأن لهذه الرسالة بعض الدلالات الصوفية . وإذا تساءلنا عن وجه للتشابه بين محتويات هذه الرسالة ، وبين أي نمط من أنماط الإشارات والتنبيهات ، باعتباره أهم كتبه في هذا المجال ، مجال التصوف ، قلنا إن هذه الرسالة تشبه من بعض الوجوه ما يحدثنا ابن سينا عنه في النمط العاشر ، من بيان لأسرار الآيات ، أي الأفعال الغريبة والكرامات التي تحدث عن العارفين دون غيرهم ، وكيف أننا نجد تأثيرات من العالم العلوي في العالم السفلي ، وتحدث عن هذه التأثيرات مجموعة من الأفعال على يد بعض الناس دون غيرهم من بقية أفراد البشر .

وابن سينا في هذه الرسالة يتحدث عن تأثير النفوس التي غادرت الأبدان بعد الموت ، في نفوس أخرى في هذا العالم ، نقول إن العقول السماوية تؤثر في عالمنا الأرضي . ومن هنا نجد ـ **فيما يرى ابن سينا** ـ فائدة للدعاء والزيارة .

ففي الدعاء والزيارة اتصال بين نفوس فارقت أبدانها ونفوس غير مفارقة ، بغية جلب خير أو دفع ضرر . وفي الزيارة أيضاً ، كزيارة بيت الله حيث تجتمع العقائد ، نجد حكماً عجيبة في خلاص النفوس من عذابها ، وإعراضاً عن متاع الدنيا وطيباتها ، وانصرافاً للفكر إلى قدس الجبروت ، والاستدامة بشروق نور الله تعالى في السر ، أي الروح .

١٠ ـ رسالة في ماهية الصلاة

هذه الرسالة تتضمن بعض الجوانب من التي ترتبط من قريب أو من بعيد بما نجده في رسائله النفسانية والإلهية .

كما نجد نوعاً من الارتباط بين ما يبحثه ابن سينا في هذه الرسالة ، وبين حديثه في الإشارات والتنبيهات عن مقامات العارفين وأحوالهم ودرجاتهم .

وتنقسم هذه الرسالة إلى **ثلاثة فصول** : يتحدث **ابن سينا في الفصل الأول** عن ماهية الصلاة . ويبين في **الفصل الثاني** ، كيف أن الصلاة تنقسم إلى ظاهر وباطن ، ويدرس في **الفصل الثالث** كيفية تعلق كل قسم من هذين القسمين ، بصنف من الناس .

ويرى ابن سينا أن الصلاة هي تشبه النفس الناطقة الإنسانية بالأجرام الفلكية ، والتعبد الدائم للحق المطلق طلباً للثواب السرمدي . ومن هنا نفهم قول الرسول صلى الله عليه وسلم : «**الصلاة عماد الدين**» . **والدين يعد تصفية للنفس الإنسانية عن الهواجس الشيطانية والبشرية والإعراض عن الأعراض الدنيوية .**

ويبدو لنا أن هذه الفكرة من جانب **ابن سينا** تشبه من بعض الزوايا ، فكرة **الكندي** التي يعبِّر عنها من خلال رسالته في «**سجود الجرم الأقصى وطاعته لله عز وجل**» . فالأجرام العلوية تطيع الله كما نطيعه نحن أفراد البشر عن طريق الصلاة والصيام وغيرهما من عبادات .

وإذا كان ابن سينا قد بيَّن لنا في هذا الفصل حقيقة الصلاة ، فإنه حين ينتقل من هذا الفصل الأول إلى الفصل الثاني ، يبيِّن لنا كيف أن الصلاة تنقسم إلى قسم ظاهر وقسم باطن . **إن القسم الظاهر هو القسم الرياضي والقسم الباطن هو القسم الحقيقي .**

ويبدو لنا ابن سينا في هذه التفرقة مفرقاً بين ظاهر الشرع وباطن

الشرع ، وهي تلك التفرقة التي نجدها عند بعض المتصوفة .

فهو يرى أن الظاهر هو المأمور به شرعاً والمعلوم وضعاً ، ألزمه الشارع وكلف الإنسان به وسماه صلاة ، فإن هذه الصلاة تعد قاعدة الإيمان . ومن هنا نفهم قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « **لا إيمان لمن لا صلاة له** » . كما أن هذه الصلاة تعد أشرف الطاعات ومرتبتها أعلى من سائر العبادات .

هذا عن **القسم الأول** ، وهو **القسم الظاهر** . أما **القسم الثاني** ، **فهو الباطن الحقيقي** . إنه مشاهدة الحق بالقلب الصافي والنفس المجردة المطهرة عن الأماني .

إن هذا القسم يجري مجرى الخواطر الصافية والنفوس الباقية . إنه يتمثل في مناجاة الرب .

ونود أن نشير إلى أن المناجاة التي يقصدها **ابن سينا** ، ليست مناجاة بالأعضاء الجسمية ولا بالألسن الحسية ، ولكنها تضرع إلى الرب بالنفس الناطقة العالمة العارفة بوحدانية الله الحق من غير إشارة بجهة .

ويدافع **ابن سينا** عن ذهابه إلى أن هذه المناجاة ليست بالأعضاء الحسية ، بالقول بأن المناجاة الحسية لا تصلح إلا بالنسبة لمن يحيط به مكان ويطرأ عليه زمان . أما الواحد المنزه الذي لا يحيط به مكان ، ولا يدركه زمان ، ولا يشار إليه بجهة من الجهات ، ولا تتغير ذاته في وقت من الأوقات ، فمناجاته لا تكون مناجاة حسية لأنه غائب عن الحس غير مرئي . ومن عادة الجسم أن لا يناجي ولا يجالس إلا من يراه ويشير إليه . فحينئذ تكون المناجاة الحسية مع الغائب محالة ، ولا بد أن تكون مناجاة نفسية .

يقول **ابن سينا** : إن مناجاته تعالى بالظواهر بحسب المظنونات والموهومات أمحل المحالات . وقول النبي صلى الله عليه وسلم **ان المصلي يناجي ربه** ، محمول على عرفان النفوس المجردة الخالية الفارغة عن حوادث الزمان وجهات المكان . **فهم** يشاهدون الحق مشاهدة عقلية ويبصرون الإله بصيرة ربانية لا رؤية جسمانية . **فيبين أن الصلاة الحقيقية هي المشاهدة الربانية ، والتعبد المحض هو المحبة الإلهية والرؤية الروحانية .**

وإذا كان **ابن سينا** قد بيّن لنا الفرق بين القسم الظاهري والقسم الباطني ، ورفع من شأن القسم الباطني على القسم الظاهري ، فإنه يرى أن لكل قسم فريقاً من الناس .

ولكن كيف توصل إلى ذلك؟

إنه يذهب إلى أن الإنسان متفاوت بحسب تأثير قوى الأرواح المركبة فيه . فمن غلب عليه طبعه الحيواني فإنه عاشق للبدن ، ويحب نظامه وتربيته وصحته وأكله وشربه ولبسه وجلب منفعته ودفع مضرته . وهذا صنف يعد من عداد الحيوانات . إن أيامه مستغرقة في الاهتمام ببدنه ، وأوقاته موقوفة على مصالح شخصه . **إنه غافل عن الخالق ، جاهل بالحق ولا يجوز له أن يتهاون بأوامر الشرع حتى يفيض الله عليه بجوده وينجيه من عذاب وجوده ويوصله إلى منتهى أمله .**

أما الصنف الثاني ، فهو من غلبت عليه قواه الروحانية ، وسيطرت عليه النفس الناطقة ، وتجرد عن الاشتغال بالأشياء الدنيوية ، وهذا الصنف هم أصحاب التعبد الروحاني .

وهكذا يكشف لنا ابن سينا عن ماهية الصلاة ومعناها ، وكيف تنقسم الصلاة إلى ظاهر وباطن وتعلق كل قسم بصنف من الناس .

١١ ـ رسالة في القدر

هذه الرسالة لا تخلو هي الأخرى من بعض الدلالات الصوفية ، بل إن هذه الدلالات في هذه الرسالة تعد أكثر بروزاً مما نجده في رسائل أخرى له **كرسالة العروس ورسالة العشق** وغيرهما .

والموضوع الرئيسي الذي يبحثه **ابن سينا** في هذه الرسالة ـ كما يدل على ذلك عنوانها ـ هو موضوع القضاء والقدر .

وإذا كنا قد قلنا بأن ابن سينا يتجه في هذه الرسالة اتجاهاً صوفياً ، فإن سبب ذلك أنه يسلم بالقضاء والقدر ، ويتجه اتجاهاً جبرياً ، وهو الاتجاه الذي نجده عند الزهاد والعباد والمتصوفة . **إنهم لا يوافقون على القول بحرية الإرادة عند الإنسان ، قائلين إن كل ما في الكون من كائنات ، ومن أفعال هذه الكائنات ، إنما ينسب إلى الله تعالى .**

ونود أن نشير إلى أن **ابن سينا** إذا كان يتجه في هذه الرسالة نحو القول بالجبر والتسليم بالقضاء والقدر ، فإن هذا الاتجاه من جانبه يعد مخالفاً لكثير من الآراء التي نجدها في مجالات فلسفية عديدة بحث فيها ولا نجد فيها هذا الاتجاه .

فدراسته مثلاً للعلاقة بين **الأسباب والمسببات** ، وقوله بعلل أربع هي : **العلة المادية والعلة الصورية والعلة الفاعلة والعلة الغائية** ، هذا المجال من الدراسة عنده يعد مجالا يتجه فيه ابن سينا اتجاهاً عقلانياً إلى حد كبير وذلك غير اتجاهه في هذه الرسالة وغيرها من رسائل تتسم بالسمة الصوفية .

قلنا إن ابن سينا يؤيد في هذه الرسالة القول بالجبر إلى حد كبير . ولكن المقدمات التي أدت به إلى هذا القول ، غير المقدمات التي أدت **بالأشاعرة** إلى الاتجاه اتجاهاً جبرياً برغم قولهم بفكرة الكسب والتي تعد فيما نرى من جانبنا فكرة جبرية .

صحيح أن النتيجة التي وصل إليها **ابن سينا** تعد مطابقة إلى حد كبير مع النتيجة التي وصل إليها **الأشاعرة** . ولكن المقدمات عنده تختلف عن المقدمات عند **الأشاعرة** . إن الحس الصوفي عنده يعد مقدمة أدت به إلى نتيجة تتمثل في نسبة كل شيء إلى الله تعالى . والحس الجدلي الديني يعد مقدمة أدت **بالأشاعرة** إلى القول بالجبر أو هكذا يظنون .

وفي هذه الرسالة نجد شخصيات ثلاثة يدور بينهم الحوار **شخصية المتكلم** ، وهو **متكلم معتزلي لا أشعري** ، نظراً لأنه يقول بالاختيار ويرى أن القدر لا سلطان له إلا على عدد من الأسباب مضبوط . إذ لو

كان القدر مصدر أفعالنا ، لما وعدنا الله بالثواب وتوعدنا بالعقاب ، كما أنه يتخذ من العقل مرشداً له وهادياً ، ومن هنا فإن هذه الشخصية التي نجدها في هذه الرسالة تعد ـ كما قلنا ـ شخصية معبِّرة عن الرأي الاعتزالي في موضوع القضاء والقدر لا عن الرأي الأشعري . **والشخصية الثانية هي شخصية ابن سينا** . أما الشخصية الثالثة فهي شخصية **حي بن يقظان** ، **وابن سينا** يعبِّر عن آرائه من خلال شخصية **حي بن يقظان** .

هذه هي أهم الكتب والرسائل التي تركها لنا ابن سينا والتي تهتم أساساً بالجانب الصوفي ، وإن دلتنا على شيء ، فإنها تدلنا على أن هذا الفيلسوف قد اهتم اهتماماً كبيراً بالبحث في هذا المجال ، **مجال التصوف** .

ولننتقل الآن إلى عرض أبرز الأفكار الصوفية عند ابن سينا وذلك حتى يتسنى لنا التعرف على آرائه في هذا المجال .

لقد اتضح لنا فيما سبق كيف أن بعض مؤلفات ابن سينا تتضمن جذوراً وجوانب صوفية . هذا إذا نظرنا إلى التصوف لا على أنه تجربة روحية عاطفية عاشها صاحبها ، بل على أنه تعبير بصورة من الصور عن جانب وجداني غير عقلي . **بمعنى أن حياة ابن سينا المغرقة في اللذات الحسية والشهوات ، بالإضافة إلى مشاغله السياسية والاجتماعية العديدة ، لم يتيحا له الفرصة لأن يعيش كما ينبغي أن يعيش الزاهد العابد ، ولا أن يحيا كما يحيا المتصوف الذي يمر بالأحوال والمقامات الصوفية** .

قد يقال ان **ابن سينا** قد ارتضى التصوف طريقاً له في نهاية حياته ، بدليل الجزء الذي كتبه في **الإشارات والتنبيهات** ، والذي يعد ـ كما يذهب كثير من المصنفين لكتبه ـ آخر كتبه .

ولكن هذا القول لا نرتضيه ولا نوافق عليه ، طالما أننا نجد بعض الجذور الصوفية في فلسفته والتي عبَّر عنها في كتب أخرى غير كتاب **الإشارات والتنبيهات** ، ومنها كتب متقدمة ، وكل ما في الأمر أن الجزء الذي كتبه في آخر مؤلفاته يعد ـ كما سبق أن ذكرنا ـ أوفى وأدق ما كتبه عن الجانب الصوفي . وإذا كنا قد نبهنا أكثر من مرة إلى أن التصوف عنده ليس كتصوف الكثيرين ممن أقاموا تصوفهم على أسس راسخة من الزهد والعبادة ، فإن هذا يؤكد لنا أن هذا الجزء الذي كتبه في **الإشارات والتنبيهات** لا يعني تحولا رئيسياً من منهج فلسفي إلى منهج صوفي .

اللذة

ويبدأ ابن سينا بحثه للجانب الصوفي في كتابه ، **الإشارات والتنبيهات** ، بالنمط الثامن وموضوعه « **البهجة والسعادة** » ، فيرى أن العوام قد يرون أن اللذات القوية هي اللذات الحسية ، بحيث تكون ما عداها من لذات ، لذات ضعيفة ، أقرب إلى الخيال منها إلى الحقيقة .

ويرد ابن سينا على هذا الزعم ، بأن يبين لهذا الفريق من الناس بأننا قد نترك لذة حسية في سبيل لذة أخرى غير حسية وهو يضرب لنا أمثلة يؤيد بها وجهة نظره ومنها :

١ ـ لاعب الشطرنج مثلاً قد يعرض له نوع من الطعام فيرفضه مفضلاً اللذة التي يجدها في لعب الشطرنج .

٢ ـ طالب العفة والرئاسة قد يؤثر الحشمة على المنكوح والمطعوم .

٣ ـ الكريم قد يؤثر لذة إيثار الغير على نفسه فيما يحتاج إليه ضرورة ، على لذة التمتع به .

٤ ـ كبير النفس ينظر باستخفاف إلى الجوع والعطش ويقاسي أهوال الموت والهلاك في سبيل المحافظة على ماء الوجه . بل إنه قد يهجم على العدو متعرضاً للخطر ، نظراً لما يتوقعه من لذة الحمد ولو بعد الموت . فهذه اللذة أفضل عنده من لذة الحياة .

ومن هذه الأمثلة وغيرها ينتهي **ابن سينا** إلى القول بأن اللذات الباطنة أي الوجدانية تعد أعلى وأسمى من اللذات الحسية .

ولم يقتصر ابن سينا على إثبات ذلك بالنسبة للكائن الناطق فقط ، أي الإنسان ، بل إنه يدلل عليه بالنسبة للحيوانات العجم ، فهو يرى مثلاً أن كلاب الصيد قد تؤثر اللذة الوهمية التي تنالها حين تتوقع إكرام صاحبها لها ، على لذة الأكل برغم جوعها .

والمرضعة من الحيوانات قد تفضل أولادها على نفسها ، بل إنها قد تخاطر للدفاع عن أولادها وحمايتهم أعظم من مخاطرتها للدفاع عن نفسها .

وبهذا يدلل **ابن سينا** بعد ضرب أمثلة من أفعال الحيوانات الناطقة وغير الناطقة على أن اللذات الباطنة أي الوجدانية أعظم من اللذات الحسية الظاهرة .

وإذا كانت هذه اللذات الباطنة لذات غير عقلية ، فكيف الحال إذن في اللذات العقلية ؟ إن هذه اللذات العقلية أفضل وأعظم من اللذات الأخرى .

ونود أن نشير إلى أن **ابن سينا** ، يفرق لنا بين **الزاهد والعابد والعارف** ، نظراً لأن هذه الأحوال (**الزهد والعبادة والمعرفة**) قد توجد في الأفراد كل على حدة ، وقد توجد مجتمعة في فرد واحد .

فالزاهد هو المعرض عن متاع الدنيا وطيباتها ، أي يمثل حال الإعراض عن كل شيء ما عدا الحق تعالى ، وخاصة الإعراض عن الأشياء التي تشغله عن زهده .

أما **العابد** ، فهو الذي يواظب على فعل العبادات مثل الصلاة والصيام وغيرهما .

ونود أن نشير إلى أن **الزاهد** يمثل حال الإعراض ، والعابد يمثل حال الإقبال . بمعنى أن طالب الحق يلزم له في البداية الإعراض ، أي الإعراض عن الأمور الدنيوية التي تشغله عن الله تعالى . ثم يجيء بعد ذلك حال الإقبال ، وهو موقف العابد الذي يقبل على ما يعتقد أنه يقربه من الله تعالى .

هذا عن حال الإعراض (**الزهد**)، وحال الإقبال (**العبادة**). فإذا وجد العابد، الحق، فإن أول درجات وجدانه هي المعرفة، وهذا ما يعنيه ابن سينا بالعارف.

أما **العارف** فهو المتصرف بفكره إلى قدس الجبروت، مستديماً لشروق نور الحق في سره.

النبوات

وإذا كان **ابن سينا** قد ذهب إلى أن الزهد والعبادة يقوم بهما غير العارف، لاكتساب الأجر والثواب في الآخرة، كان لا بد لابن سينا من إثبات النبوة والشريعة حتى يوجد تبريراً لترك الشيء العاجل (**الحياة الدنيا**) في سبيل شيء آجل (**الحياة الأخرى**).

فهو في رسالته «**في إثبات النبوات وتأويل رموزهم**» وأمثالهم، يبين لنا كيف أن كل فاضل يسود المفضول ويرأسه، ولما كان النبي أفضل من غيره، فإذن النبي يسود ويرأس جميع الأجناس التي يفضلها.

ويأخذ **ابن سينا** في الدفاع عن فكرته هذه، فيرى أن الإنسان لا يمكن أن يستقل بمفرده في أمور معاشه لأنه يحتاج إلى الغذاء والملبس والمسكن والسلاح سواء لنفسه أو لأولاده. وهذه أشياء لا يقوم بها صانع واحد، بل جماعة يتعاونون ويتشاركون في فعلها، ويعطي الواحد منهم عمله للآخر على سبيل التبادل. فإذن الإنسان محتاج إلى غيره. وهذا معنى القول بأن الإنسان مدني بطبعه.

وإذا كان اجتماع الناس على التعاون يتطلب المعاملة والعدل، منعاً للغصب والظلم، فلا بد من وجود شريعة تنظم هذه الجوانب. والشريعة لا بد لها من واضع أو شارع.

ولكن منعاً للتنازع بين الناس في وضع الشرع، فلا بد من امتياز الشارع بميزة معينة، حتى يطيعه بقية الناس.

هذه الميزة تتمثل في المعجزات سواء كانت قولا أو فعلاً. فإذن لا بد من وجود نبي ذو معجزة.

وإذا كان العوام وضعفاء العقول قد يقدمون على مخالفة الشرع، كان لا بد من وجود الثواب للمحسن والعقاب للمسيء جزاء من عند الله. ولكي يثبت معرفة الثواب والعقاب في أذهان الناس، فلا بد من وجود عبادات تعد تذكاراً مقروناً بالتكرار كالصلاة مثلاً.

من هنا كانت دعوة النبي إلى التصديق بوجود خالق قدير خبير، وإلى الإيمان بشارع مبعوث من قبل الله تعالى، وإلى الاعتراف بالوعد والوعيد في الآخرة، وإلى القيام بعبادات تذكر فيها الخالق وجلاله، وإلى الانقياد لقوانين شرعية يحتاج إليها الناس في معاملاتهم حتى تستمر الدعوة إلى العدل المقيم لحياة النوع الإنساني.

إذا كان هذا يعد نفعاً عظيماً دنيوياً (**النفع العاجل**)، فإن العناية الإلهية قد شاءت أن تضيف إليه أجراً جزيلاً أخروياً (**النفع الآجل**).

ومن هنا نفهم السبب في زهد غير العارف وعبادة غير العارف. إنهما زهد وعبادة يتمثلان في التضحية بمتاع الدنيا لأجل متاع الآخرة.

أما بالنسبة للعارفين، فإننا نجد أنه قد أضيف إليهم بجانب النفع العاجل والأجر العاجل، كمالا حقيقياً بالنسبة لهم. ويتمثل هذا الكمال — كما سبق أن ذكرنا — في اطلاعهم على نور الحق وفي ابتهاجهم ببهجة لا مثيل لها.

وإذا كان **ابن سينا** قد بيَّن لنا الفرق بين اللذات الحسية واللذات النفسية الوجدانية، وفضل اللذات الوجدانية على اللذات الحسية، أي الجسمانية، وإذا كان قد بيَّن لنا في معرض دراسته للتصوف، حاجة البشرية إلى النبوة، فإنه قد تحدَّث باستفاضة عن الدرجات أو المراحل التي يقوم بها المتصوف وذلك حتى يصل إلى الله تعالى.

لقد تحدَّث باستفاضة عن ضرورة وجود إرادة عند المتصوف بدونها لا يمكنه السير قدماً نحو الوصول إلى معرفة الله تعالى. وبعد الإرادة تجيء الرياضة الصوفية التي تحدث عنها **ابن سينا** حديثاً مطولا غاية في الدقة والشمول. وبعد الرياضة يبدأ تحقق الثمرات والنتائج، تلك الثمرات والنتائج تتمثل في الأوقات. إنها — كما يقول **ابن سينا** — تجيء خلسات وكأنها البروق تلمع ثم تخمد عنه. وبعد الأوقات تأتي آخر مرحلة وهي ما يسميه الصوفية بالوصول التام. إن العارف أي الصوفي يكون في تلك المرحلة الأخيرة مستغرقاً في الله تعالى. أي لا يلحظ إلا جناب القدس فقط، بحيث يكون منصرفاً تماماً عن العالم الدنيوي وما فيه من شواغل حسية مادية.

وإذا كان **ابن سينا** قد تحدث عن درجات العارفين أي الصوفية، تلك الدرجات التي تعد درجات أربع — كما سبق أن أشرنا — وهي: **الإرادة ثم الرياضة ثم الأوقات ثم الوصول التام**، فإننا نجده في كتبه ورسائله الصوفية وخاصة كتابه «**الإشارات والتنبيهات**» يتحدث عن أخلاق الصوفية.

والواقع أننا لو تأملنا في التراث الذي تركه لنا **ابن سينا**، سواء في مجال التصوف أو مجال العلم أو مجال الفلسفة، لتبيَّن لنا كيف أن **ابن سينا** يعد عملاقاً بين العلماء مارداً بين الفلاسفة، وإذا كنا في مقالتنا هذه قد درسنا جانباً واحداً من الجوانب التي نجدها في التراث الضخم الذي تركه لنا هذا المفكر العظيم، فإن هذا قد يعد مساهمة من جانبنا في تكريم هذا الفيلسوف في ذكراه الألفية، ومن واجب بلداننا العربية والإسلامية، أن تهتم بإحياء ذكرى هذا المفكِّر العملاق بإقامة أكثر من مهرجان له، والبحث عن بقية كتبه التي لم تحقق بعد تحقيقاً علمياً حديثاً، والتي ما زالت مدفونة ومبعثرة في المكتبات شرقاً وغرباً.

إن هذا الفيلسوف قد بذل جهداً، وجهداً كبيراً استحق عن طريقه أن يدخل تاريخ العلم وتاريخ الفلسفة من أوسع أبوابها، ومن واجبنا أن نحتفل بذكراه احتفالا يليق بالمكانة التي احتلها هذا الفيلسوف وهذا العالم.

نيرون العصر

شعر: سعد البواردي



«شارون» .. يا نيرون»
يا لعنة التاريخ ..
.. والإنسان ..
.. والأديان ..
.. والأزمان .
يا بؤرة الأوجاع ..
.. والأطماع ..
.. والأحقاد ..
.. والطغيان ..

★

«شارون» .. يا «نيرون»
«صيدا» .. و «صور»
«بيروت» .. و «الدامور»
و «الدمار» .. و «الدماء»
و «الجــوع» .. و «الآهــات» ..
و «الظما» ..
جميعها .. يا أيها السفاخ
لن تقتل الكفاح
لن ترهق الإنسان
لن تزهق الأوطان

★

«شارون» .. يا «نيرون»
كل «طلقة» ..
وكل «صاروخ» يدك .. أو «قذيفة»
منابت لغرسة الأبطالْ ..
لجذوة الآمالْ ..
لشعلة الأجيال ..
لكل حلم مستفيض .. يقهر المحال ..

★

«شارون» .. يا «نيرون»
أمْطر السماء .. باللهب
لوّث الهواء .. بالغضب
وفجّر التراب بالسغب
فأنتَ يا «نيرون» توقد الغضب ..
وأنتَ يا «نيرون» توقض «العرب» .



من المكتبة السعودية

يسعد مجلة «الفيصل» أن تفتح هذه النافذة الجديدة إلى جانب النوافذ الأخرى، للإسهام في تسليط الأضواء على الحركة الفكرية والأدبية والعلمية في المملكة العربية السعودية من خلال إصدارات الكتب العديدة في مختلف فروع المعارف الإنسانية.. وذلك لإيمانها بفاعلية هذا الاهتمام الهادف إلى مد جسور جديدة بين الحركة الأدبية والعلمية في المملكة، وبين القراء في الوطن العربي الكبير.

وقد استقطبت المجلة لتحقيق هذا الهدف أقلام النقاد والباحثين والدارسين في مختلف أقطار الوطن العربي.

ولكي نحقق ما نطمح إليه فإن الكتّاب والأدباء والمؤسسات الثقافية السعودية مدعوة للتعاون معنا بتزويدنا بنسخ من الإصدارات القديم منها والجديد.. والله الموفق.

● الكتاب: معجم المصادر الصحفية لدراسة الأدب والفكر في المملكة العربية السعودية صحيفة أم القرى من سنة ١٣٤٣هـ ـ ١٣٦٥هـ.

● المؤلف: الدكتور منصور الحازمي.

● الناشر: جامعة الرياض ـ ط١ (١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م)، ٢٦٤ ص.

نبع اهتمام المؤلف الدكتور منصور الحازمي بهذا العمل من إيمانه بأهمية الجهود الببليوجرافية، وأهمية الصحافة مصدراً للبحث، ومدى إسهام الفهرسة في مجال البحث لدى الغربيين والعرب، وباحث الأدب في المملكة العربية السعودية في حاجة إلى المصادر الصحفية لأسباب ثلاثة هي:

● أن الصحيفة والمجلة أداتان رئيسيتان للنشر طيلة الحقبة من ١٣٤٣هـ (١٩٢٤م)، حتى أواخر ١٣٦٥هـ (١٩٤٥م).

● وأن الكتاب لا يزال عاجزاً عن تقديم صورة للنتاج الأدبي والفكري في المملكة.

● وأن الصحيفة والمجلة تُعنيان في تتبّع حياة الأديب.

ولعل الباحث قد أعرب عن طموحه إلى استكمال هذه المسيرة في أجزاء قادمة، وهو وإن اقتصر في هذا الجزء على صحيفة (أم القرى) فلأنها تتّسم بما يلي (فوق كونها أول صحيفة سعودية تصدر في الحجاز):

● أنها الصحيفة الرسمية للدولة، فهي مصدر وثائق تاريخ الدولة.

● أنها عنيت بالنواحي العملية التطبيقية الطامحة إلى البناء والإصلاح، فهي جريدة الجماعة لا جريدة الفرد.

● أنها اهتمت بالأدب الرسمي أكثر من اهتمامها بالأدب الخاص، أما الأدب الرسمي فالمقصود به (الأدب الذي يعنى بالأمة ممثلة في زعمائها وولاتها المصلحين) كما يعبّر المؤلف.

بلغت مواد المعجم (١٢٠٨) مواد في قسمين أساسيين هما:

● الشعر بشتى أغراضه وقوالبه، وقد بلغت مواده نسبة أكبر من النثر نظراً لتدفق الشعر في الجزيرة العربية وهو في ٤٦١ مادة. وقد حظي شعر المناسبات بنصيب الأسد في تكوين (الأدب الرسمي).

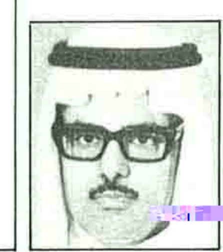
● النثر بقوالبه وأغراضه، وبلغ (٧٤٧) مادة. وقد ضم أربعة قوالب هي:

المقال والبحث ـ والقصة ـ والرحلة ـ والمحاضرة. وأقلها الفنون الثلاثة الأخيرة لا سيما القصة، واحتلت المقالات المنزلة الأولى وتعددت بين الأدب والنقد ـ وهما في المقام الأول ـ ومواضيع أخرى متنوعة.

ولقد وقف المؤلف أمام ظاهرة أوليات الأجناس الأدبية، حيث تُنشر في الصحف، كما لاحظ اختلاف النصوص مع تعدد الطبعات.

وعلى الرغم من قصد المؤلف إلى ذكر أدب الأدباء المحليين فحسب، فإنه ذكر نصوصاً لأدباء غير محليين مثلما نجد من شعر لحليم دموس، ومقالات لمحمد علي حمام، والسيد رشيد رضا، وأحمد مظهر العظمة، في الوقت الذي نرى فيه عدم إثباته قصائد ألقاها بعض العرب الوافدين لم يشأ أن يثبتها كما ذكر في معجمه.

ونرى أن الباحث ـ وهو بصدد رصد ما نُشر في صحيفة أم القرى وفهرسته ـ لا ينبغي أن يحذف المواد التي كتبها غير سعوديين، ويمكنه في هذه الحالة أن يشير إليها في تصنيف خاص، يبيّن أنها كتابات غير محلية.











★ د. منصور الحازمي ★

★ أحمد سالم باعطب ★

وبعد صدور هذا المعجم بنحو ثلاث سنوات صدر الكشّاف التحليلي السنوي لصحيفة (أم القرى) إعداد حسين بدران، وعباس طاشكندي عن جامعة الملك عبد العزيز بجدة عام ١٣٩٧ هـ.

وهكذا نجد أنفسنا إزاء تعريف ببليوجرافي لصحيفة لها أهميتها في تاريخ الصحافة العربية، والسعودية بنوع خاص يفيد الباحثين والدارسين.

- الكتاب: الروض الملتهب (ديوان شعر).
- الشاعر: أحمد سالم باعطب.
- الناشر: النادي الأدبي بالرياض (١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م)، ٢٦٧ صفحة.

هل تُصنَّف همسات الشاعر في موضوعات؟.

هل ينفصل الوجدان عن معطيات الفن أم يمتزج بها؟.

خاطرتان عبرتا مع غيرهما من الخواطر، وأنا أقرأ ديوان الشاعر أحمد سالم باعطب، فأتساءل لماذا بوّب الشاعر ديوانه جرياً على ديوان البارودي وشوقي وحافظ وأضرابهم فجعله أقساماً: القصائد الوطنية، والقصائد الاجتماعية، وقصائد ذات مناسبات، وقصائد غزلية... وأقول للشاعر ما كان له أن يصنّف قصائده ويباعد بين مجالاتها الوجدانية.

يتردد الشاعر بين طريقين للتعبير: المباشرة، والإيماء، وهو في ذلك يميل في كثير من الأحيان إلى المباشرة، وبخاصة في القصائد الوطنية، وقد نجت من ذلك قصيدته: «رسالة إلى أختي في الخيمة»، حيث يتحدث عن القدس:

أختاه لم تعد الخيام اليوم حصن الأوفياء
فالداء في أرسانها يسري بجرثوم الشقاء

وفي هذه القصيدة نراه يقترب اقتراباً كبيراً من الشاعر السوداني محمد الفيتوري.

والشاعر حريص على أن يجعل للغة الشعرية ثوباً تقليدياً ظناً منه أن ذلك مما يخلع على القصيدة مهابة وجلالا، والحق أن لكل عصر لغته، ولغة الشعر تتجدد وتنمو كما تتجدد النباتات وتنمو، بل تتأقلم مع عصرها ومكانها، فتصطبغ بألوان البيئة، وتتفق مع الزمان كما تصنع الطيور والكائنات الحية في البيئات المختلفة، ومن هنا بات من غير الحتم الفني تشبث شاعرنا بألفاظ معجمية مثل: أرسان، والكماة، والتلاعب بالبديع في قوله: صحائفها، وفضائلها، ولفظة الحوب.

وإن كان يقع في ضعف لغوي أحياناً من مثل قوله: ألقوني لوحدي، ورغم الجماعة وهذا استعمال غير صحيح.

وقد نجد فيه روحاً من بيرم التونسي في فكاهاته الشعبية، ومن حافظ إبراهيم في تفكهه الشعري من ذلك قصيدة «سماء بلا نجوم» ومطلعها:

شرقت بفرحتها حماتي عندما
علمت بأني قد ظفرت بدار

وقصيدة «الموظف والراتب» ومطلعها:

إذا ما أدبرت عشر فعشرٌ
وشمُّ الجيب رائحة المعاش
أعدت زوجتي كشفاً مليئاً
بأسماء الجديد من القماش

وقصيدة «سجين ليلة الزفاف» ومطلعها:

باتت تغط وبت رهن شجوني
أحصي بأنفاسي عليّ ديوني

وقد يتحول هذا النقد الاجتماعي، إلى تأمل فكري، من ذلك قصيدته «يا نفس» ومطلعها:

يا نفس ويحك قد أطلت شقائي
وضبغت بالأشجان وجه سمائي
وتركتني نهب الظنون تلفني
وحجبت عن قلبي وميض رجائي

ومن منطلق مناجاته النفس، نجد ظاهرة شائعة في شعره هي الحديث عن الأخ أو الأخت أو النداء بهما في صفحات عديدة، ومنها قصيدته «احتضار السلام»، ومنها قوله:

دعني أخي رهن الكرى
كيلا أرى سحب الظلام

وقد نجد لديه ميلاً إلى الشعر الحواري، أو استعمال الأوبريت في قصائد بدأت بقصيدة بناة المجد في صفحات عديدة.

وقد قلنا إن أحسن قصائد الديوان هي ما دارت حول (التأمل) وحول النفس، أي إن التيار الوجداني هو أحلى ما في الديوان من أنفاس، ونسوق لذلك جزءاً من قصيدته (تهويمات شاعر):

تاهت الخطوة في درب الخطايا
ساقها الشك إلى سوق الدنايا
تخذت من جهلها الحوب مطايا
أنهكت منها قواها والخبايا
ثم لما لم تعد إلا بقايا
قبعت تلهث في إحدى الزوايا

سيفيات المتنبي

كم على دربك يا شك ضحايا
افلست عقلاً وعلماً وسجايا

والشاعر ملم بأدواته الفنية حقاً، وهو عروضي واع، لكن فلتات أفلتت من قبضة قلمه الشاعري فلم يراع «الضرب»، و«التدوير»، واكتفى بالإشارة الموجزة: نبراساً، وبأهليه، والعمر صفو، والبيت تلقاني.

● الكتاب: سيفيات المتنبي - دراسة نقدية للاستخدام اللغوي.

● المؤلف: سعاد عبد العزيز المانع.

● الناشر: عمادة شؤون المكتبات - جامعة الملك سعود (١٤٠١هـ/١٩٨١م) ٥٠٥ ص.

هذه رسالة علمية نالت بها مؤلفتها سعاد عبد العزيز المانع درجة الماجستير من جامعة القاهرة سنة ١٩٧٨م.

وقد نبع إيمان الباحثة بموضوع بحثها من الاهتمام السائد في حقل الدراسات النقدية بالتحليل اللغوي للنص الأدبي، الذي هو أساس الدراسة الفنية، مهما بالغ النفسيون في الاعتداد بسيكولوجية الأدب، ومهما فتن الاجتماعيون والتاريخيون بالبيئة والوسط والعصر والزمان والمكان، إذ نرى تعدد مناهج الدرس الأدبي يؤدي أولا أو آخراً، إلى النص، فمهما تعددت دعاوى المنظرين، فإن النص الأدبي - فيما نحسب - هو أساس كل دراسة أدبية.

ولقد آمنت الباحثة بذلك دون حاجة إلى استشهادها بنصوص موثِّقة (بكسر الثاء) لديفيد ريتشس وغيره.

والكاتبة - وهي بصدد دراسة شعر أبي الطيب المتنبي في سيفياته - مضت في خمسة فصول، جعلت الأول للسلاح والحرب، والثاني للطبيعة والحيوان، والثالث للإنسان، والرابع للزمن والحياة والموت، والخامس دراسة فنية بعنوان (سمات الاستخدام اللغوي للألفاظ).

وفي نهاية كل فصل من دراستها وضعت جداول لغوية خاصة بصيغه وألفاظه في شكليها اللغوي والبلاغي.

وما إن انتهت من فصولها الخمسة حتى جعلت للكتاب ملحقاً هو نصف الكتاب كماً وكيفاً أسمته (معجم ألفاظ المتنبي في قصائده السيفيات) جعلت له مقدمة تشرح هدفها من المعجم الذي يشرح الكلمة، ويذكر صيغها، ومطالع القصائد، وقد رتبته حسب الترتيب الهجائي، وكان إضافة فنية حقاً.

والحق أن الجهد المبذول في الكتاب جمعاً، وتصنيفاً، وتحليلاً، واستنتاجاً يستحق التحية حقاً، ويُعد هذا الكتاب واحداً في سلسلة دراسات تهتم بالجانب اللغوي في النص الأدبي، ذكرت بعضه الكاتبة، وأهملت ذكر أكثره. فقد ذكرت للدكتور لطفي عبد البديع - وهو في رأيي من أنشط من بدأوا الاهتمام بدراسة الأدب لغوياً قبل أن يصمت هذا الصمت الطويل - ذكرت له (الشعر واللغة) الصادر سنة ١٩٦٩م، ولم تذكر له كتاباً أخطر من ذلك هو التركيب اللغوي للأدب) الصادر سنة ١٩٧٠م، كما ذكرت في مقدمتها كتاب (اللغة والدلالة في الشعر) ولم تذكر مؤلِّفه، كما لم تنوه بجهود كثير من الدارسين في هذا المجال، وهل تعلم أن مجلة (المقتطف) أصدرت عدداً خاصاً عن المتنبي كتبه الأستاذ محمود محمد شاكر، في يناير (كانون الثاني) ١٩٢٦م، وما كاد يصدر هذا العدد من (المقتطف) حتى صدر كتابان ذكرت ثانيهما ولم تذكر أولهما وهو ما كتبه عبد الوهاب عزام، ثم ما دار حول المتنبي على صفحات (البلاغ)، و(الرسالة) آنذاك شارك فيه - إلى من ذكرنا - كل من الرافعي، وسعيد الأفغاني.

ونقول - في النهاية - إن من الدراسات الحديثة في حقل الدراسات النقدية (الأسلوبية)، ولقد كان في مقدرة الكاتبة أن تطبق جانباً من جوانبها على دراستها، وبخاصة استحداث الصيغ وابتكارها عند الشاعر على نحو ما يفيض الأسلوبيون من حديث حوله، وعلى نحو ما نطمح إليه في ملكة المتنبي الشعرية العبقرية.

وذلك كله لا يحول دون توجيه الشكر إلى الكتاب وصاحبته.



الشيب والشعر العربي

وفي المعجم شاخ يشيخ صار شيخاً وشيخة دعاه شيخاً أو قال له يا شيخ تبجيلاً ، ويطلق الشيخ على الأستاذ والعالم وكبير القوم ورئيس الصناعة ، وعلى من كان كبيراً في أعين القوم علماً أو فضيلة أو مقاماً ونحو ذلك ، وشيخ المرأة زوجها .

والشيخ وجمعها شيوخ وأشياخ وشيخة وشيخان وشيخة ومشيخة ، وجمع جمعها مشايخ وهو من استبانت فيه السن وظهر عليه الشيب .

وفي القرآن الكريم (سورة مريم) قوله تعالى **﴿ الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيباً ، يخلق ما يشاء وهو العليم القدير ﴾** . فالشيخوخة ضعف وشيبة .

وشاب الإنسان شيبة ومشيبة ومشيباً ، ابيضّ شعره فهو أشيب وشائب وهي شائبة ، ولا يقال شيباء بل شمطاء . ويقال شابت رؤوس الأكام أي ابيضّت بالثلج ، والأشيب من الأيام الذي فيه غيم وثلج ، والشيب : الجهال التي ابيضّت بالثلج وشيبان وشَيّبان : شهر كانون الأول (ديسمبر) وذلك لابيضاض الأرض فيه بالثلج والصقيع . ويوم شيبان ، يوم فيه برد وثلج وغيم . .

فالشيب إذاً مرافق للشيخوخة ملازم لها . فهل نجا منه الشباب ؟

إن الأيام شديدة الهول تجعل الولدان شيباً ، وهذا الشاعر يتحدث عن هذه الأيام التي تمر بهولها :

أشاب الصغير وأفنى الكبير
كر الليالي ومرّ العشي

. غير أن هذا الشيب المبكر يخالف طبيعة الأشياء ، ولهذا نرى شاعراً يتعجب عندما غزا الشيب شعره صغيراً فيقول :

أهي أربع من بعد عشرين عشتها
طلوع مشيب؟ إن ذا لعجيب

ولكن شاعراً آخر رأى جمالا في شيب الفتى فهو كالزهر في الشجرة الصغيرة :

قد يشيب الفتى وليس عجيباً
أن يرى النور في القضيب الرطيب

هكذا يبدو شيب الشباب ، فكيف يبدو شيب الشيوخ وكيف يقفون أمام بياضه في هذا العمر الذي تبدو فيه التأثيرات واضحة بين الجسم والوجدان ، فالجسم يؤثر في الحالة الوجدانية كما يؤثر في الحالة النفسية ، وهذا التأثير قد يكون مشفوعاً بالتعاون والمودة ، وقد يكون مشفوعاً بالعداء والتربص والخوف ، قد يبدو هذا التأثير في إعلان الحرب على الشيب والشيخوخة مع التفاؤل وحب الحياة ومجابهتها ، أو قد يبدو في الشعور بمرارة اليأس ، وكأن كل ما يحيط بالشيخ الشائب من أشياء وما يحدث من وقائع وما ينشأ من علاقات بينه وبين من حوله ، باطل الأباطيل وعبث لا بد أن تمحوها يد الفناء المتربصة بالإنسان .

ولقد جسّد لنا الشعراء هذه المواقف التي يقفها الناس ، لأنهم قادرون على بسط ما في أعماق النفوس تجاه مختلف المواقف : فقد نظر **ابن خفاجة** في المرآة فبدت له أول شعرة بيضاء في عذاره فشمله شعور غريب هو مزيج من الأسف على ذهاب الشباب والحزن على

الحرمان من عطف الحسان فصور ذلك تصويراً ماهراً :

أرقت على الصبا لطلوع نجم
أسميه مسامحة مشيبا
كفاني رزء نفسي أن تبدّى
وأعظم منه رزءً أن يغيبا
ولولا أن يشقّ عليّ الغواني
للاقيت الفتاة به خضيبا
فلم أعدم هناك به شفيعاً
إلى أمل ولم أبرح حبيبا
فأحسن من حمام الشيب عندي
غراب شبيبة ألف النعيبا
يطيب بنفسه عند الغواني
فيغني عن فتيت المسك طيبا

وللمتنبي من الشيب موقف فيه الكثير من اللف والدوران إذا جاز التعبير، فهو يتمنى الشيب ليخفي شبابه ببياض في شعره لأن الشيب أوقر وأوجل في العيون فيقول :

مني كنّ لي أن البياض خضاب
فيخفي بتبييض القرون شباب

ولكنه في الوقت ذاته كان يفتخر بجلكة شعر فوديه عندما كان شاباً وكان فتنة للناظرين لحسن شعره وسواده ، وإن كان يفتخر بذلك على استحياء حين يقول : (فالشيب أوقر والشبيبة أنزق) . وعندما تسلل الشيب إلى شعره ، تذكر أمنيته وهو شاب فقال :

فكيف أذمّ اليوم ما كنت أشتهي
وأدعو بما أشكوه حين أجاب
جلا اللون عن لون هدا كل مسلك
كما انجاب عن ضوء النهار ضباب

لقد كان الشيب كامناً في سواد شعره ، فلما زال سواد الشعر وانكشف ، اهتدى صاحبه إلى كل طريق من الرشد والخير كالنهار إذا انجلى عنه الضباب ، اهتدى السالك في ضوئه . . وهكذا فالشاعر **المتنبي** يكابر دائماً ، يتمنى الشيب ، والشيب فيه ضعف وعجز ولكنه يتحداه فهمته لا تشيب ولا ينال منها ضعف بسبب شعره ، حتى ولو شاب شعر وجهه أيضاً وصارت الشعرات البيض في وجهه حراباً :

وفي الجسم نفس لا تشيب بشيبه
ولو أن ما في الوجه منه حراب

لقد كان الشاعر شاباً لا يشيخ بمجيء الشيب ، كان من القادرين على التجدد بالطموح الذي يملأ قلبه والسفر الذي يشد الرحال إليه دائماً ، والتجدد معناه استمرار البناء لمغالبة الهرم .

ولكن الشاعر كان كغيره في الربط بين انصراف النساء عن الرجل وشيب رأسه فهؤلاء النساء :

إذا شاب رأس المرء أو قلّ ماله
فليس له في ودهنّ نصيب

ولقد كان انصراف الغواني عن الشيب من الشعراء مدار أشعار كثيرين منهم .

فهذا **ابن المعتز** على الرغم من الشيب قد غزا شعره قبل أوانه فإن محبوبته تعزف عنه وتتباعد فيقول :

صدت شيرين وأزمعت هجري
وصغت ضمائرها إلى الغدر
قالت كبرت وشبت ، قلت لها :
هذا غبار وقائع الدهر

وهذا الشاعر الذي شاب يتحسر على انصراف الغواني عنه ، وعلى تلك الأيام التي كان طلبة النساء ، يتسابقن ليختلسن إليه النظرات :

رأين الغواني الشيب لاح بعارقي
أعرضن عني بالخدود النواضر
وكنّ إذا أبصرنني أو سمعن بي
جرين فقرعن الكوى بالمحاجر

وآخر يتحدث عن قلب صاحبته القلب عندما شاب :

وأنكرْتِ شمس الشيب في ليل لمتي
لعمرك ليلي كان أحسن من شمسي
كأن الصبا والشمس يطمس نوره
عروس أناس مات في ليلة العرس

وهذا **الصاحب ابن عباد** كغيره ، يتعجب مما هو بديهي فينشد :

ما بال وسني عرضتني
عند شيبي للأذى
تقول بعداً بعدما
كانت تقول حبذا
وكنت كحل عينها
فصرت فيها كالقذى

فهل حرام على الشيوخ أن يحبوا ؟! إننا نرى كثيرين من الشيوخ ينخرطون في حالات الحب وألوانه ، ولا يكون بأضعف من حب الشباب أو أقل تأريقاً لهم مما قد يعتور حياة الشباب المراهق الولهان الذي أحس لأول مرة بالحب يغمر حياته ، وذلك أن الشيخوخة وإن افتقرت إلى الحيوية الجسمية فإنها لا تفتقر إلى خصوبة العاطفة وتأجج الوجدان ، فالحب هنا حنين وانجذاب ، فهذا الشاعر **عبد الرحمن الخزندار** يقف أمام صبية حلوة ينظر إليها مفتوناً ، فتخاطبه قائلة :

تقول كفاك ألا ترعوي
ألست ترى الشيبة المفزعة
وهذا المشيب علا مفرقيك
نذيراً لآمالك الضائعة

فيرد عليها وفي قلبه حب عارم للحياة وتحد أكيد لسني العمر :

يا حلوة العينين لا تفرقي
إذا رأيت الشيب في مفرقي
لا تحسبي أني نسيت الهوى
أو تهت عن مورده الريّق
لا تنفري مني ففي أضلعي
قلب لغير الحب لم يخلق
عدمته أن رف حسن ولم
يحرّك الوحي ولم يخفق

أما **بشارة الخوري** فعلى الرغم من أن ركب العمر قد مضى به مودعاً ربيع الشباب

وأيام الحب وليالي الشوق الخوالي فإن نار افتتانه بالجمال يبقى موقداً في فؤاده ، غير أن الجمال ينفر منه فيسأله :

ماذا يريبك مني
وما همست بشين
أصفرة في جبيني
أم رعشة في اليدين

لقد كان بشارة الخوري عاشقاً للحياة والجمال قبل أن يكون شاعراً ، أقبل عليها بشوق لا تفتر له وقدة فكان يأبى أن ينفض يده من المسرات والمباهج على الرغم من المشيب الذي ثلم سيف العافية من جسده وعلى الرغم من الثلج الذي أطفأ نار الشباب في جسمه فهو شديد التمسك بالحياة لا يريد أن تأفل شمسها الساطعة ، وهو على استعداد للتضحية بكل متعه الأولى ليطيل أمد حياته يوماً واحداً ، فيقول :

دعني وما زرع المشيب بمفرقي
ما كنت أدفن في الثلوج صداحي
من كان من دنياه ينفض راحه
فأنا على دنياي أقبض راحي
إني أفدي كل شمس أصيلة
حذر المغيب بألف شمس صباح

ويهتف الشاعر القديم بهذا الشيب اللعين :

أبعد بعدت بياضاً لا مثيل له
فأنت أسود في عيني من الظلم

وحتى يخفي الرجل هذا البياض اللعين كان يلجأ أحياناً إلى الخضاب . وفي اللغة خضب يخضب خضباً وخضّب الشيء : لوّنه ـ تخضّب واختضب بالحناء تلوّن فهو خضيب (ج) خضب ومخضوب ومخضّب . أما الخضاب فهو ما يخضّب به والخضبة : المرأة الكثيرة الاختضاب .

ـ ولكن هل يخفي العطار ما أفسد الدهر ؟؟ ـ

فهذا **ابن حمديس** يتحدث عن الشيب والحنين إلى الوطن فيقول :

نفى همّ شيبي سرور الشباب
لقد أظلم الشيب لمّا أضاء
أتعرف لي عن شبابي سلوّا
ومن يجد الداء يبغي الدواء
أأكسو المشيب سواد الخضاب
فأجعل للصبح ليلاً غطاء
وكيف أرجّي وفاء الخضاب
إذا لم أجد لشبابي وفاء

أما ابن المعتز فيرى شيبه مقاريض في رأسه فيقول متحسراً على نفسه :

ألست ترى شيباً برأسي شاملاً
دنت حيلتي عنه وضاق به ذرعي
كأن المقاريش التي تعتورنه
مناقير طير ينتقي سنبل الزرع

ويحاول أن يخفي الشيب بالخضاب ، ولكن هيهات فينشد مستسلماً :

تولى الجهل وانقطع العتاب
ولاح الشيب وافتتح الخضاب
لقد أبغضت نفسي في مشيبي
فكيف تحبني الخود الكعاب

إن المشيب لا يمكن أن يكتم بعد أن يفشي في الشعر ، ويزداد شيب ابن المعتز ويعجز عن ستره أي خضاب فيصرخ لائماً نفسه :

يا خاضب الشعر بالحناء تستره
سل الإله له ستراً من النار
لن يرحل الشيب عن دار يلمّ بها
حتى يرحل عنها صاحب الدار

ويستسلم بعض من شاب وشاخ إلى اليأس لا يرون في المستقبل بارقة أمل ، ولا يجدون في تلمسهم لمقومات الوجود ما يحملهم على الإحساس بأي متعة في الحياة ويعتبرون أيام السرور والبهجة قد فاتت وأن ربيع العمر قد ولّى وأن خريفه الذي يجثم بكلكله فوق صدورهم لا يمكن أن يرتاحوا منه إلا بالموت .

فهذه صغيرة تتود إلى شاعر وتمسح بيدها وخيارها على شعره متحببة متقربة منه ، وكأنها تحاول أن تشعره ألا يفارق بين ربيع وخريف فيقول لها :

ولقد رأيت صغيرة
مسحت عذارى بالخيار
قالت غبار قد علا
ك فقلت ذاغبر الغبار
هذا الذي نقل الملوك
إلى القبور من الديار

أما **المنذر بن سعيد البلوطي** وكان من أشهر خطباء الأندلس ويصفه **ياقوت الحموي** بأنه كان نحوياً فاضلاً وخطيباً مصقعاً وشاعراً من البلغاء ، نراه يحث نفسه على الزهد عندما كبر وشاب :

ثلاث وستون قد حزتها
فماذا تؤمل أو تنتظر
وحلّ عليك نذير المشيب
فما ترعوي بل وما تزدجر
تمر لياليك مراً حثيثاً
وأنت على ما أرى مستمر
فلو كنت تعقل ما ينقضي
من العمر ما اعتضت خيراً بشر

ولكن نفسه الإنسانية تظل تصبو إلى الحياة ، لا ترعوي ولا تزدجر ، وتنسى أن المؤمن مسافر في هذه الحياة ، فيعود الشاعر لتذكير نفسه وتقريعها فيقول :

كم تصابى وقد علاك المشيب
وتعامى عمداً وأنت اللبيب
كيف تلهو وقد أتاك نذير
إن يوم الحمام منك قريب
يا سفيهاً قد حان منك رحيل
بعد ذاك الرحيل يوم عصيب

ويبكي عبيد الله بن طاهر وهو يرى حسناء تضحك على شيبته فيقول :

تضاحكت لما رأت
شيباً تلألأ غرره

وقد رأت دمعي على
خديَّ تجري درره
قلت لها : لا تعجبي
أنبيك عندي خبره
هذا غمام للردى
ودمع عيني مطره

ويحدث **ابن المفسر** أستاذ الشاعر **ابن نباته** نفسه فيقول لها :

لا أرى لي في حياتي راحة
ذهبت لذة عيشي بالكبر
يقي الموت لمثلي سترة
يا إلهي أنت أولى من ستر

ويحكى عن **أبي جعفر البحاث محمد بن سليمان من نيسابور**، وكان يتصرف بالقضاء في خراسان أنه قال في الشباب والمشيب والحياة والموت :

شباب كلا مع برق رحل
وشيب كمثل غريم نزل
مضت وانقضت غفلات الشبا
ب وجاء المشيب فبئس البدل
كأني رأيت الصبا في المنا
م خيالا تمثل ثم اضمحل

ثم تصور ما يفعله أهل البيت :

فهذا يجاذب ما قدحوا
وهذا يخالسه ما فضل
إذا وضعوه على نعشه
أشاعوا البكا وأسرّوا الجذل
وإن دفنوه نسوه معاً
وكل بميراثه مشتغل

حتى أن أحدهم رأي الشيب هو الموت الأصفر فقال :

الشيب إحدى الموتتين تقدمت
إحداها وتأخرت أخراها
وكأن من حلت به صغراها
يوماً فقد حلّت به كبراها

ولكن هل انكماش الشيخ على نفسه وانقطاعه عن العالم ونضوب حياته من مباهجها بعد أن يشيب هو الموقف الصحيح ؟؟ .

إن من المؤكد أن هذا الموقف يدفع إلى التبرم بالحياة أكثر فأكثر، هذا الموقف البعيد عن الحركة الدائبة التي هي الحياة والتفاعل معها ، هذا الموقف هو الموت قبل الموت ، وهذا النكوص عن مسايرة الناس هو الفناء قبل الفناء ، وهو الانقطاع عن ركب الحياة . .

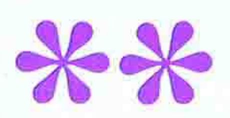
إنّ هناك طاقة حيوية تعمل بدخائل الناس وجوارحهم بغير توقف ، وحتى عندما يبدو من حيث الظاهر أن تلك الطاقة الحيوية قد نضب معينها وجفت شرايينها فإن النضوب أو الجفاف إنما يكون نضوباً أو جفافاً ظاهرياً فبينما تكون الطاقة الحيوية بالشخص قد غطاها المشيب والوهن في الجسد فتوارت عن الأنظار فإن هذه الطاقة تعمل عملها وتؤثر بفاعليتها . . وهي تعمل على نمطين : فإما أن تدفع الإنسان ليتحدى شيبته وضعفه فهو مع ركب الحياة ، دائب عليها متأمل بها متفاعل معها ، حينئذ يظل هذا الإنسان مع الناس لا تمل له عشرة ولا يسأم له حديث . .

وإما تراه متعباً قد ناء كيانه الداخلي بكلكلها فهو منكمش على نفسه منقطع عن العالم ، قد نضبت حياته وأدى به ذلك إلى ذبول حيويته فدفعه ذلك إلى التبرم بالحياة والاستسلام للموت . .

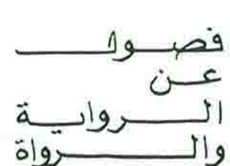
إن الشيب لا يمكن له أن يحطم النفس ، وليس من العيب على الشيوخ أن يقدموا أنفسهم إلى العالم وفيها ما تزال جذوات الشباب الكامن وفوراته المتدفقة على الرغم من ابيضاض الشعر .

إن الإنسان يستطيع ــ إلى حد كبير ــ أن يكيّف حياته بتقبل أدوارها ، ربيعها وخريفها وشتائها ، والرضى بما يعتوره دون سخط أو خوف .









فصول عن الرواية والرواة



الزبير بن بكّار

بقلم: علي محمد العمير

كنت ـ منذ سنوات ـ قد كتبت بحثاً متواضعاً عن (كتاب الأغاني) لأبي الفرج الأصبهاني.. نشرته مجلة (العرب) على حلقتين في حوالي ٢٣ صفحة من صفحاتها[١].

وكان ذلك البحث قد حاول أن يجيب على سؤال بذاته وهو: (كتاب الأغاني) هل هو كتاب تاريخ؟ أم كتاب أدب؟

وكان دافعي لهذا السؤال.. ثم محاولة الإجابة عليه ـ عبر البحث المذكور ـ هو أنني رأيت أناساً على قدر كبير من العلم والفضل يضعون كتاب الأغاني في مصاف كتب التاريخ [illegible]

وذلك في حين رأيت أناساً آخرين من أهل العلم والفضل أيضاً يهبطون بكتاب الأغاني إلى درجة سفلى ويعتبرونه مجرد كتاب سمر ومؤانسة.. ولا يصح الاعتماد عليه!!.

وكان قد هالني هذا التفاوت الكبير في تقدير كتاب الأغاني.. فحاولت أن أسدّد وأقارب وإن لم أخلص من بعض الشكوك!.

وصادف حسن حظي أو سوئه ـ لست أدري!! ـ أن نال ذلك البحث المتواضع بعض إعجاب شيخنا الجليل **العلامة حمد الجاسر**.. إلا أنه وقف حيال ما أبديته من تشكك، موقف الأستاذ المشفق على تلميذه.. ومن ثم تشجيعه على المزيد من البحث والتنقيب!.

أدركت ذلك من المقدمة التي وضعها شيخنا الجاسر للبحث المذكور عند نشره له في مجلته (**العرب**) ثم من اقتراحه عليّ بعد ذلك أن أجرب البحث عن **رواة أبي الفرج!**.

وكان فرحي ـ حينذاك ـ بثناء أستاذنا الكبير قد حال دون أن أتنبه إلى مدى خطورة الاقتراح.. ولم أدرك ذلك إلا بعد أن حاولت ـ مجرد محاولة ـ حصر رواة أبي الفرج!.

حينئذ فقط.. أدركت أيضاً أن أستاذي [illegible] ـ بصورة غير مباشرة ـ عن طريق هذا الاقتراح الشاق



★ الشيخ حمد الجاسر ★

العسير الذي لا تحتمله مؤونتي، ولا تؤهلني له ثقافتي المتواضعة.. كأنما أراد أن يقول لي: **إن إطلاق الأحكام لا يكون إلا بعد المزيد من مكابدة البحث ومعاناته**.. فكان أن صرفت النظر عن كل ذلك ـ طيلة هذه المدة ـ لشواغلي من جهة.. ولإدراكي مدى ضخامة التصدي للموضوع من جهة ثانية!.

ولكن كل ذلك لم ينسني الموضوع تماماً حيث كنت أترصده في قراءاتي المحدودة إلى أن جمعت قدراً لا بأس به من المعلومات فخطر لي بعد، معنى المثل القائل (ما لا يدرك كلّه لا يترك جلّه).

وهكذا عقدت العزم على أن أتناول ـ قدر جهدي ـ بالترجمة والدراسة بعض من أستطيع تناولهم من رواة أبي الفرج.. ثم أقوم بعد كل ذلك بإعادة النظر في بحثي المشار إليه عن كتاب الأغاني ومدى نصيبه من صحة الرواية أو عدمها.. ولو في بعض جوانبه!.

وهكذا تكون هذه الحلقة عن (**الزبير بن بكّار**) وهو ممن كثرت الرواية عنه في كتاب الأغاني وغيره من أمهات الكتب على أن تتلوها ـ بعون الله ـ حلقات أخر عن غير الزبير من رواة أبي الفرج!.

نسبه وعصره

هو الزبير بن بكّار بن عبد الله بن



مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير ابن العوام، أبو عبد الله القرشي الأسدي[٢] **وكان شاعراً صدوقاً رواية نبيل القدر، وولي قضاء مكة ودخل بغداد عدة دفعات** آخرها سنة ثلاث وخمسين ومائتين[٣] ومات ليلة الأحد لسبع بقين من ذي القعدة سنة ست وخمسين ومائتين[٤].

ولم أجد في الكثير من المظان التي رجعت إليها تاريخ ولادته، ولا كم كان عمره حين وافاه الأجل رحمه الله[٥]. ولكن سنة وفاته ـ وهي محل إجماع تقريباً ـ تدلنا على مدى أقدميته، وتجعلنا نسلكه في عداد أوائل رجال التأليف والتدوين[٦].

علمه وفضله

كان صاحب علم ورواية ودراية وأخبار وأشعار.. قال عنه **ياقوت**: (كان علاّمة نسابة إخبارياً[٧] وعلى كتابه **في أنساب قريش** الاعتماد في معرفة أنساب القرشيين.. أخذ عن **سفيان بن أبي عيينة** وغيره، وروى عنه **ابن ماجة، وابن أبي الدنيا** وغيرهما.. وكان ثقة من أوعية العلم)[٨].

وقال عنه **الخطيب البغدادي**: (كان ثقة ثبتاً، عالماً بالنسب، عارفاً بأخبار المتقدمين وسائر الماضين.. ووصفه الشاعر:

ما قال (لا) إلا في تشهده
ولا جرى لفظه إلا على (نعم)
بين الحواري والصديق نسبته
وقد جرى ورسول الله في رحم)[٩]

(وقد انفرد **أحمد بن علي السليماني** في كتاب الضعفاء بالقول: إنه كان منكر الحديث)[١٠].

(وقد رد علماء الحديث هذا الاتهام فقال ابن حجر: (وهذا جرح مردود، ولعله استنكر إكثاره عن الضعفاء)[١١].

وقال **الذهبي**: (لا يلتفت إلى قول أحمد بن علي السليماني حيث ذكره في عداد من يضع الحديث، وقال مرة: منكر الحديث)[١٢].

وقال ياقوت أيضاً: (ولا يلتفت إلى قول أحمد بن علي السليماني فيه: إنه منكر الحديث)[١٣].

شيوخه وتلامذته

قال **ابن النديم** في الفهرست تحت عنوان (تسمية من روى عنه الزبير بخط ابن الكوفي) ما نصه:

(روى عن عمه مصعب بن عبد الله، ومحمد بن الحسن، ومحمد بن الضحاك بن عثمان، ومسلم بن عبد الله بن مسلم بن جندب، وإبراهيم بن المنذر، ويحيى بن محمد بن عبد الله بن ثوبان، وعبد الملك بن عبد العزيز، ويعقوب بن إسحاق الربعي، وعثمان بن عبد الرحمن، وبكار بن رباح، ومسلمة بن إبراهيم بن هشام، وعبد العزيز بن عبد الله، ومحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الحميد، وحميد بن محمد بن عبد العزيز الزهري، وعبد الجبار بن سعيد بن نوفل بن مساحق، ومؤمن بن عمر بن أفلح، وعلي بن المغيرة، وعبد الله بن نافع بن ثابت)[١٤].

قلت: وكفى ببعض هؤلاء شيوخاً.. ولا مزيد!!.

أما تلامذته.. أو بعض من رووا عنه فقد ذكرنا آنفاً من ضمن من رووا عنه ابن ماجة، وابن أبي الدنيا.. وكفى بهذين أيضاً.. على أن محقق كتاب (الموفقيات) يذكر لنا أيضاً:

(وقد أخذ الزبير علمه وأخباره عن أكبر شيوخ عصره علماً وفضلاً، وقد قاربوا الأربعين شيخاً)[١٥] ثم يحيلنا إلى مقدمة كتاب (**جمهرة أنساب العرب**) حيث أورد محققه الأستاذ **محمود محمد شاكر** ثبتاً مفصلاً بهم.

وكما أفاد الزبير بن بكّار من شيوخ عصره فقد أفاض على طلاب العلم في زمانه علماً وأدباً وأخباراً فرووا عنه، وحملوا إلى الناس علمه ومصنفاته، وهي كثيرة ومتنوعة وإن غلب عليها الاتجاه الإخباري والأدبي)[١٦].

توليته القضاء

ذكر ياقوت خبر تولية الزبير بن بكّار القضاء.. قال:

(حدث موسى بن هارون قال: كنت بحضرة الأمير محمد بن عبد الله بن طاهر فاستأذن عليه الزبير بن بكّار، فلما دخل عليه أكرمه وعظمه وقال له: إن باعدت بيننا الأنساب فقد قربت بيننا الآداب، وإن أمير المؤمنين أمرني أن أدعوك وأقلدك القضاء، فقال له الزبير بن بكّار: أبعد ما بلغت هذه السن ورويت أن من ولّي القضاء فقد ذبح بغير سكين أتولى القضاء؟).

والخبر طويل.. ولكن ينتهي بنا ياقوت إلى القول: (ثم ولّي الزبير بن بكّار قضاء مكة، ومات بها وهو قاض عليها إلخ..)[١٧].

وهناك الكثير من الأخبار التي تروى عن الخليفة المتوكل ومعرفته لفضل الزبير وقدره واختياره له لتأديب ولده وتوليته القضاء إلخ[١٨].

كتبه ومصنفاته

ذكر له ابن النديم في الفهرست ٣٢ كتاباً[١٩] وقد رتبها محقق كتاب (الموفقيات) على النحو التالي:

١ ـ كتاب نسب قريش وأخبارها (نشر محمود شاكر الجزء الأول منه بمصر).

٢ ـ كتاب أخبار العرب وأيامها.

٣ ـ كتاب نوادر أخبار النسب.

٤ ـ كتاب أخبار الموفقيات (ألفه للموفق بالله)[٢٠].

٥ ـ كتاب مزاح النبي صلى الله عليه وسلم.

٦ ـ كتاب وفود النعمان على كسرى.

٧ ـ كتاب الأوس والخزرج.

٨ ـ كتاب النّحل.

٩ ـ كتاب نوادر المدنيين.

١٠ ـ كتاب الاختلاف.

١١ ـ كتاب العقيق وأخباره.

١٢ ـ كتاب إغارة كثيّر على الشعراء.

١٣ ـ أخبار ابن ميادة.

١٤ ـ أخبار ابن الدمينة .

١٥ ـ أخبار عبد الله بن قيس بن الرقيات .

١٦ ـ أخبار أبي دهبل الجمحي ـ نشره كرنكو في مجلة جمعية الاستشراق الإسلامية الملكية بلندن عام ١٩١٠ م ، بعنوان (شعر أبي دهبل الجمحي وأخباره) برواية أحمد بن سعيد الدمشقي .

١٧ ـ أخبار ابن السائب .

١٨ ـ أخبار الأشعث .

١٩ ـ أخبار الأحوص .

٢٠ ـ أخبار ابن هرمة .

٢١ ـ أخبار توبة وليلى .

٢٢ ـ أخبار أمية بن أبي الصلت .

٢٣ ـ أخبار حاتم (يبدو أن القسم الخاص بحاتم الطائي في الموفقيات) .

٢٤ ـ أخبار حسان .

٢٥ ـ أخبار جميل .

٢٦ ـ أخبار عبد الرحمن بن حسان (لعله القسم الخاص بمهاجاة عبد الرحمن بن حسان والنجاشي في الموفقيات) .

٢٧ ـ أخبار العرجي .

٢٨ ـ أخبار عمر بن أبي ربيعة .

٢٩ ـ أخبار كثيّر .

٣٠ ـ أخبار المجنون .

٣١ ـ أخبار نصيب .

٣٢ ـ أخبار هدبة وزيادة .

وقال محقق كتاب (الموفقيات)[٢١] ومما لم يذكره ابن النديم :

٣٣ ـ أخبار القارئ .

٣٤ ـ المفاخرات .

٣٥ ـ أخبار المدينة .

قلت : ونظرة واحدة إلى عناوين هذه الكتب ـ وقد أوردتها بأكملها عمداً ـ تجعلنا ندرك كيف ولماذا اعتمد صاحب كتاب الأغاني على الزبير ابن بكّار كواحد من أهم الرواة الذين نقل عنهم الشيء الكثير .



★ محمود محمد شاكر ★

أليس كتاب الأغاني . . كتاب أدب وأخبار وأشعار . . فمن عساه أثرى في هذا المجال ـ من القدامى بخاصة ـ من الزبير بن بكّار ؟ . . وهذه عناوين مؤلفاته خير شاهد فكيف لو كانت هذه المؤلفات بين أيدينا الآن ؟ .

الإجماع على توثيقه .. ولكن ؟

وكما تقدم . . فقد أجمع أهل العلم والفضل على توثيقه . . ولم ينفرد بغير ذلك أو بالقول : إنه منكر الحديث إلا أحمد بن علي السليماني . . وقد رأينا كيف رد عليه أهل العلم قوله إلا أنه استوقفني شخصياً رد **ابن حجر** الذي مر بنا حيث قال :

(وهذا جرح مردود ـ يقصد جرح أحمد بن علي السليماني للزبير ـ ولعله استنكر إكثاره عن الضعفاء) .

وإذن فالزبير بن بكّار من المكثرين عن الضعفاء بقدر ما هو من المكثرين عن الثقات . . فهو ـ على كل حال ـ مكثر جداً في روايته ، ولا بد أن يكون لهذا الإكثار قوة وضعفاً .

ولكن لم تكن الرواية عن الضعفاء مرذولة بالقدر الذي يجعل صاحبها (منكر الحديث) ، وخاصة في ذلك الزمن حيث كان يكتفي الراوي بالإسناد . . وما عليه ـ بعد ذلك ـ أن يكون السند قوياً أو ضعيفاً فلذلك شأن آخر !! .

وها هنا تكمن مصيبتنا في تراثنا التاريخي والأدبي ـ بصفة خاصة ـ أما رجال الحديث فقد تخلصوا من هذه المصيبة أو معظمها بما وضعوه من قواعد وأصول للرواية والرواة . . (علم مصطلح الحديث) !! .

ونعود للزبير بن بكّار لنؤكد أنه وإن كان ثقة في ذاته إلى حد بعيد إلا أنه لم ينج من الرواية عن الضعفاء . . وأنّى له أن ينجو ؟ .

وها هنا الفرق إذن . . حيث يمكننا أن نثق بالزبير بن بكّار فيما رواه عن نفسه أو عن الثقات من شيوخه . . ونتحفظ ، ونبحث فيما سوى ذلك !! والله أعلم !! .

الهوامش

(١) مجلة العرب ، عدد ٨ ، سنة ٣ . وعدد ١ ، سنة ٤ .

(٢) معجم الأدباء ، ص ١٦١ ، ج ١١ ، مطبوعات دار المأمون .

(٣) الفهرست لابن النديم ، ص ١٦٦ .

(٤) معجم الأدباء ، ص ١٦٤ ، ج ١١ .

(٥) وجدت ـ بعد ذلك ـ في كتاب (العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين) لتقي الدين الفاسي أنه ـ أي الزبير بن بكّار ـ قد توفي وعمره أربعاً وثمانين سنة ، ص ٤٢٩ ، ج ٤ . وهناك ترجمة وافية للزبير .

(٦) راجع كتاب (التاريخ العربي ومصادره) للمؤرخ الجليل السيد أمين مدني فقد اعتبر الزبير أحد مؤلفي الموسوعات الأوائل ، ص ٥٦٢ .

(٧) كانوا يسمون رجال التاريخ في ذلك العهد (إخباريون) ، راجع ـ على سبيل المثال ـ كتاب (مناهج التأليف عند العلماء العرب) للدكتور مصطفى الشكعة .

(٨) معجم الأدباء ، ص ١٦١ ، ج ١١ .

(٩) نقلاً عن مقدمة محقق كتاب (الأخبار الموفقيات) ، ص ١٥ .

(١٠) المرجع السابق ، وانظر مصادره المذكورة .

(١١) المرجع السابق ، وانظر مصادره المذكورة .

(١٢) المرجع السابق ، وانظر مصادره المذكورة .

(١٣) معجم الأدباء ، ص ١٦١ ، ج ١١ .

(١٤) الفهرست لابن النديم ، ص ١٦٧ ـ ١٦٨ .

(١٥) مقدمة محقق كتاب (الأخبار الموفقيات) ، ص ١٨ .

(١٦) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

(١٧) معجم الأدباء ، ص ١٦٣ ـ ١٦٤ ، ج ١١ .

(١٨) المرجع السابق ، وكتاب (الأخبار الموفقيات) و (تاريخ بغداد) وغيرهما من المراجع .

(١٩) ذكر المؤرخ الأستاذ أمين مدني في كتابه (التاريخ العربي ومصادره) أن ابن النديم ذكر للزبير ٣١ كتاباً ، والواقع أنها ٣٢ كتاباً كما رأينا .

(٢٠) هذا الكتاب حققه الدكتور (سامي مكي العاني) وقدم له الدكتور (صالح أحمد العلي) ونشر ضمن سلسلة (إحياء التراث الإسلامي) وطبع بمطبعة العاني ببغداد ضمن منشورات رئاسة ديوان الأوقاف بالجمهورية العراقية . . ولم يذكر تاريخ الطبع ، ونشر باسم (الأخبار الموفقيات) وقدم له المحقق مقدمة ضافية ممتازة .

(٢١) المقدمة ، ص ٢٠ .

لم يتفق النقاد أو أصحاب النظريات بعد على تعريف معين للسيرة الذاتية Autobiography . فنهم من تحدث عن « العقد الأوتوبيوغرافي » وجعل منه أساساً لتعريفه للسيرة الذاتية ، ومنهم من فضَّل تعريفاً يعتمد أساساً على كتابة السيرة الذاتية نفسها ، لا على العلاقة المفترضة بين المؤلف والقارئ . وأثبتت التجربة ، فيما يبدو ، أن الوقت لم يحن بعد بعد لصياغة تعريف محدد شامل ومقبول للسيرة الذاتية . لكن ، يمكن مؤقتاً اعتبار السيرة الذاتية سيرة يكتبها صاحبها ، بعكس سيرة حياة Biography فلان المصطلح عليها ، والتي يكتبها شخص آخر غير صاحبها .

أدب

السيرة الذاتية

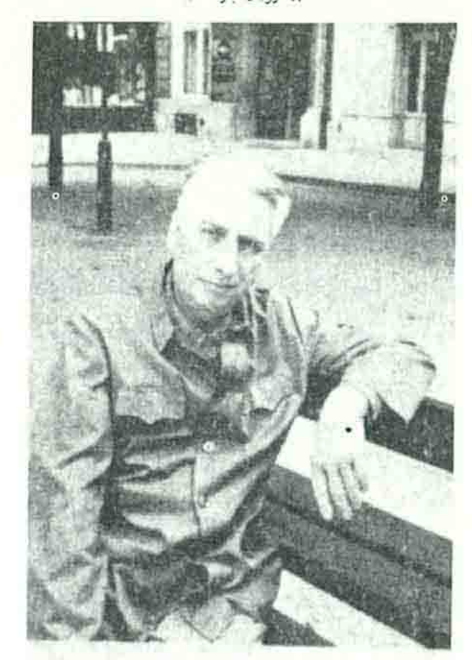
بقلم : د . سامية أحمد أسعد

ويتفق مؤرخو السيرة الذاتية عامة على أن هذه الأخيرة نشأت أصلاً في أوروبا ، وعلى أنها ملك للثقافة الغربية دون غيرها . وهناك فكرة شائعة تقول أن السيرة الذاتية ظاهرة « **غربية** » بصفة خاصة . ولعل كلمة سيرة ذاتية صيغت أولا في شكلها الإنجليزي في مستهل القرن التاسع عشر ، ثم انتشرت في معظم اللغات الأوربية . مما يحمل على الاعتقاد بأن هذه الكلمة تدل على موجة من السير الذاتية التي كتبها أصحابها بعد نشر « **اعترافات** » ج . ج روسو . وكثيراً ما تُخلق الكلمة الجديدة بعد ظهور الظاهرة التي تشير إليها . في هذه الحالة يمكن الحديث ، بعبارة أدق ، عن الوعي الجماعي بهذه الظاهرة عام ١٨٠٠ تقريباً . ويتضح من كل هذا أن ما يحمل المؤلف على كتابة سيرته الذاتية يرجع إلى الظروف التاريخية والثقافية التي عاش فيها ، أكثر مما يرجع إلى الخواص التي ينفرد بها . وقد تتمثل هذه الخواص في مزاج الكاتب الشخصي أو مهنته ، أو دينه ، أو جنسيته ، أو جنسه ، أو وضعه الاجتماعي أو الاقتصادي .

السيرة الذاتية .. مرحلة نضج

وإذا دققنا النظر في السير الذاتية ، وجدنا أن أغلبها يشترك في خصيصتين مميزتين ، **الأولى** أن كتَّابها صاغوها عندما بلغوا مرحلة النضج أو الشيخوخة ، **والثانية** أن هؤلاء الكتَّاب كانوا معروفين للجمهور قبل أن ينشروا تاريخ حياتهم . كثيراً ما كتب الكتَّاب سيرتهم الذاتية بعد بلوغهم سن الخمسين ؛ ولعل « **أيام** » **طه حسين** أصدق مثال لذلك . هذا فيما عدا بعض حالات نادرة ، نذكر من بينها السيرة الذاتية التي كتب الشاعر الإنجليزي **جورج مور** الجزء الأول منها وهو في السادسة والثلاثين . ولعل الحالة النادرة الملفتة للنظر حقاً هي حالة الكاتب الفرنسي **ميشيل ليريس** الذي نشر عام ١٩٣٩ م ، وهو في الثامنة والثلاثين ، أول كتاباته الأتوبيوغرافية ، « **سن البلوغ** » التي كتبها وهو في التاسعة والعشرين .

★ رولان بارت ★



هذا بالرغم من أنه كتب الأجزاء الأربعة الأخرى من هذه السيرة الذاتية وهو في الخامسة والسبعين . وكثيراً ما يعمد الكاتب إلى كتابة سيرته الذاتية بعد اشتهاره ومعرفة الجمهور له . قد ترجع هذه الشهرة إلى أفعال الكاتب أو أقواله أو مؤلفاته .

ومن المنطق ألا يجازف أي ناشر وينشر سيرة ذاتية لكاتب مغمور . بالإضافة إلى هذا ، هناك عاملان ، على الأقل ، يفسران هذه الظاهرة . لا يهتم الجمهور بالحياة الخاصة لأي شخص ، بل يهتم بالشخصية « العامة » بمعنى الكلمة ؛ والسيرة الذاتية تحتل مكانة خاصة بين مؤلفات صاحبها . وعادة ما تكون تتويجاً لحياة الكاتب ومؤلفاته . وهي ، من وجهة النظر هذه ، نظرة شاملة تفسر ما سبقها وتبرره . ونظراً للتباين الهائل بين كتَّاب السيرة الذاتية ، لا يمكن ، بلا شك ، توزيع مؤلفاتهم بطريقة يمكن أن تُعتبر أساساً لتصنيف مرض للسير الذاتية كافة .

دوافع كتابة السيرة

ولنتساءل الآن عن الدوافع والأسباب التي تحمل الكاتب على كتابة سيرته الذاتية . كثيراً

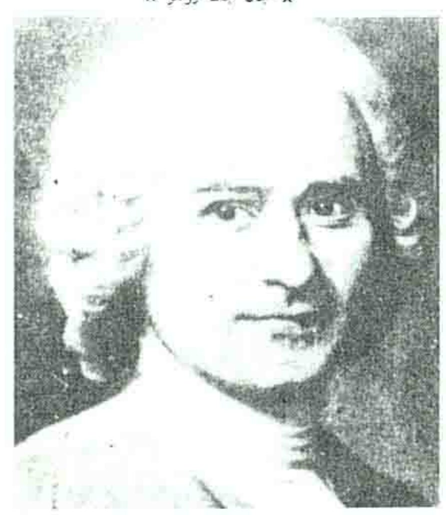
ما تشتمل السيرة الذاتية على عرض لهذه الدوافع . لكن هذا العرض لا يكفي في أغلب الأحيان ، لأن الكاتب غالباً ما لا يعي القوة التي تدفعه للكتابة أو يحاول إخفاءها . ومن السهل تقسيم الأسباب المختلفة التي تنشأ عنها السير الذاتية إلى مجموعتين تختلف النوايا داخل كل منها . فالنوايا ، في المجموعة الأولى ، نوايا عقلانية ، منطقية ما أمكن ، نسميها « ثناء » أو « مديح » أو « دفاع » أو « شهادة » ، إلخ . . . لكن النوايا ، في المجموعة الثانية ، عاطفية ، غير عقلانية وغير واعية ما أمكن ، منها الإحساس بمرور الزمن ، ومتعة الذكرى ، والقلق أمام المستقبل ، والحاجة إلى الوقوف على معنى الحياة الماضية ، إلخ . . .

قد يفكر الكاتب في كتابة سيرته الذاتية مدفوعاً بحاجته إلى تبرير الأفعال التي أتاها أو الأفكار التي نادى بها ودافع عنها أمام الجمهور . وتصبح هذه الحاجة أشد إلحاحاً إذا اعتقد الكاتب أنه تعرّض للظلم والتشهير . ولعل **ج . ج روسو** مثال صارخ في هذا الصدد فلقد قال في مقدمة « **الاعترافات** » ، قبل أن تبلغ عقدة الاضطهاد به أبعد المدى : « **بما أن إسمي يجب أن يبقى بين البشر ، لا أريد أن تُلصق به شهرة كاذبة : لا أريد أن ينسب الناس إليَّ فضائل أو رذائل لم تكن ، أو أن يصوروني في صورة لم تكن لي** » . والحاجة إلى التبرير وإبراز الحقيقة ، وتصحيح الإدعاءات الكاذبة أو نفيها ، حاجة لا تُقاوم ، ولا يمكن توجيه اللوم إلى من يشعر بها . لكن ، نادراً ما تكون منزهة عن الغرض ؛ بل كثيراً ما ترتبط ، على عكس ما يبدو ، ببعض الغرائز المسترذلة ، كامتداح الذات ، أو الانتقام . أما « الشهادة » ، فعبارة يقصد بها إحساس كثير من كتّاب السير الذاتية بالحاجة ، لسبب أو لآخر ، إلى تسجيل ما شهدوه من أحداث ومواقف . وفي رأيهم أن هذه الحاجة تزداد إلحاحاً كلما زادت أهمية الحدث أو الموقف بالنسبة للجمهور .

ولا شك أن هذا الدافع أكثر الدوافع ترفعاً عن الغرض ، لأنه الوحيد الذي يُعتبر « **مفيداً** » أصلاً . فالكاتب الذي يقول إن سيرته الذاتية قد تفيد القارئ يؤكد بطريقة غير مباشرة أنه يلعب دور « **الشاهد** » في سيرته . أما ما تشهد عليه السيرة الذاتية ، في هذه الحالة ، فمتغير متنوع بطبيعته . وفي بعض الحالات القصوى ، تصبح الشهادة تأريخاً بحتاً ، أو ريبورتاجاً موضوعياً نسبياً يأخذ شكل المذكرات ، لا محل للمؤلف فيه ، ولا يمت إلى السيرة الذاتية بصلة .

ومن بين الدوافع العاطفية ، نذكر متعة الذكرى الخالصة ، خاصة إذا كانت ترجع إلى زمان بعيد . فالذكريات البعيدة لا تغيب في ثنايا النسيان ، كلما تقدم الإنسان في السن ، بل تطفو على عكس ذلك على السطح . ولعل أبرزها ذكريات الطفولة والصبا والشباب . لكن ، يبدو أن متعة الذكرى ومذاقها مرتبطان باشتراك الآخرين فيها . وهذا ما يجعل كاتب السيرة الذاتية يعبّر عنها بالكلمات يقول **ج . ج روسو** : « **أعرف تماماً أن القارئ لا حاجة به إلى معرفة كل هذا ، لكن ، بي أنا حاجة إلى أن أقوله له** » .

> ● **لأي واقع يجب أن يخلص الكاتب؟ الواقع الذي كان ساعة التجربة؟ أم واقع اللحظة التي تبعث فيها الذكريات؟**


★ جان جاك روسو ★

يستمتع أغلب كتّاب السيرة الذاتية بخيال يمكنهم من الهرب إلى الماضي ، مؤقتاً على الأقل . وكثيراً ما يتعلق الأمر بالهرب حقاً ، بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة . فبعث الذكريات بالكتابة عنها يعني الهرب إلى الماضي والاحتماء به ، ونسيان الحاضر البائس الشقي . ويمكن أن تكون هذه الغريزة التي تدفعنا إلى بعث ذكرياتنا الماضية مصدراً لأكبر سعادة يمكن أن يشعر بها الإنسان . عندما تحدث المعجزة وينمحي الزمان — وأشهر مقال يُساق في هذا الصدد هو **رواية مارسيل بروست** « **البحث عن الزمان المفقود** » — . هذا إلى جانب الكُتّاب الذين يحملون ويروون أحلامهم . كتابة السيرة الذاتية قد تنشأ إذن عن الرغبة في الاستمتاع بالذكرى . لكنها قد تنشأ أيضاً عن الأمل المحموم في إيقاف الزمان ، بل والرجوع به إلى الوراء . لذا ، كثيراً ما تبدو السير الذاتية وكأنها محاولات يائسة للتغلب على الزمان والموت . وغالباً ما يبدو هذا الدافع وكأن الكاتب لا يعي به ، بينما هو ، في الواقع ، الدافع الذي ينشأ عن الكتاب كله .

تنتج أي سيرة ذاتية حتماً ، وجزئياً على الأقل ، عن الحاجة إلى التوحيد بين عدة عناصر ، ما دامت تتمثل في كتابة كتاب معين ، انطلاقاً من حياة شخص ما ، والحديث عن أحداث حياته المتعددة في الحاضر . بعبارة أخرى ، كتابة الإنسان لتاريخ حياته معناه إعطاء « **شكل** » معين لهذه الحياة . في هذا الصدد ، تختلف السيرة الذاتية اختلافاً جذرياً عن المذكرات الخاصة .

تحدثنا عن الدوافع المختلفة التي تكمن وراء السيرة الذاتية بشيء من الوضوح ، لكن الواقع غير ذلك تماماً ، لأن هذه الدوافع كثيراً ما تتداخل ، وتتواجد في آن واحد ، منفردة أو مجتمعة .

بدايات كتابة السيرة

ولأن السيرة الذاتية لم تتطور إلا منذ قرنين فقط تقريباً ، اضطرت أن تتخذ في بادئ الأمر

أشكال التعبير التي كانت موجودة في الأدب ، بدلا من أن تخلق وسائل تعبير خاصة بها . وأهم هذه الأشكال التقليدية سيرة الحياة ، والمذكرات . وجدير بالذكر أن الشكل الأول يرجع إلى عهد **الإغريق** على الأقل ، وإلى **بلوتارك** خاصة . والمذكرات أيضاً شكل ترجع نماذجه إلى العصور القديمة . ويكفي أن نذكر في هذا المجال مثالا معروفاً على المستوى العالمي هو « **تعليقات** » **قيصر** . إذن ، يمكن أن نفترض أن السيرة الذاتية بصفتها شكلاً أدبياً مستقلاً ، أخذت عن سيرة الحياة والرواية طريقة عرض الأحداث وفقاً للتسلسل الزمني ، وأخذت ــ بلا شك ــ عن المذكرات والرواية السرد الذي يعتمد على ضمير المتكلم « **أنا** » .

والالتجاء إلى ضمير الغائب ــ هو ، هي ، هم ، هن ــ وسيلة تُوجد مسافة وبُعداً بين الراوي وروايته . و « **أحاديث** » **ج . ج روسو** استثناء هذه القاعدة ، لأن المؤلف تخيل فيها شخصيتين تتبادلان أقوالاً متضاربة عن شخصية ثالثة لا تظهر أبداً ويدعى صاحبها جان جاك . من الواضح أن هذه الشخصية الثالثة ليست سوى الكاتب نفسه ، واسمه الأول **جان جاك** ، في حين لا ينسحب هذا على الشخصية التي يُدعى صاحبها **روسو** . ومن ثم ، تُعتبر هذه « **الأحاديث** » نصاً أوتوبيوغرافياً يجري الحديث فيه عن غائب بعينه . فبدلا من أن يتحدث **ج . ج روسو** عن نفسه ، حاول أن يتحدث عنها « **من الخارج** » ، عن طريق شخصية **روسو** والحديث عن الغائب . وهكذا يفسر الاستثناء بالهدف الذي يسعى إليه المؤلف . مثال آخر ملفت للنظر هو كتاب « **رولان بارت يتحدث عن رولان بارت** » ، الذي يحاول فيه المؤلف أن يميز بين الشخصية التي كانت له في الماضي وشخصيته لحظة الكتابة ؛ فهو يقول عن الأولى « **هو** » وعن الثانية « **أنا** » . ويُحتمل أن يكون بارت قد لجأ إلى هذه الوسيلة لأنها توجد مسافة بين الشخصيتين ، والزمنين الماضي والحاضر . لكن ، لا يمكننا ، في كافة الأحوال ، معرفة السبب أو الأسباب التي جعلته يسعى إلى إيجاد هذه المسافة . وأيا كان الأمر ، فإن الحالات



★ أندريه مالرو ★



★ جورج صاند ★

الاستثنائية القليلة التي لا يتحدث فيها الكاتب بضمير المتكلم « **أنا** » جديرة بالاهتمام . ولنلاحظ أن السير الذاتية الحديثة التي ترفض الأشكال التقليدية صراحة ــ مثال ذلك **أندريه مالرو وميشيل ليريس** ــ تلتزم دائماً بالحديث بلسان المتكلم .

لكن ، لا ينبغي أن نخلط بين الضمائر الشخصية وقضايا الهوية . فهناك سير ذاتية تُروى فيها الأحداث على لسان المتكلم ، ونشعر عند قراءتها أنها مكتوبة وفقاً للقواعد التقليدية ، بينما هي في الواقع مختلفة عن ذلك كل الاختلاف .

ومن السير الذاتية ما يخالف التسلسل الزمني التقليدي مخالفة جذرية صريحة . على سبيل المثال ، يتكون كتاب **مالرو** « **المذكرات المضادة** » ، من فصول يحمل كل منها تاريخاً معيناً ؛ لكن هذه الفصول تتابع في نظام يتنافى مع تسلسلها الزمني . وذلك لأن المؤلف أراد أن يتحدث عن بعض القيم التي أثرت في حياته ، لا أن يستعرض أحداث حياته ذاتها .

التسلسل الزمني

وهناك ، على الأقل ، سبب واحد هام لعدم اهتمام كتّاب السيرة الذاتية الواضح **بالتسلسل الزمني** . هذا السبب هو إحساس بعض منهم بأن هذا التسلسل في حد ذاته لا يطابق الواقع . بعبارة أدق ؛ إذا كان يطابق الواقع حقاً ، أصبحت السيرة الذاتية سرداً متقطعاً لا يُفهم ، بينما الواقع لم يكن كذلك . فأغلب السير الذاتية التقليدية تلتزم بالتسلسل الزمني . ويتضح هذا من تتابع المشاهد المختلفة في النص وفقاً للتسلسل الزمني الذي تتابعت به في الواقع . لكن ، غالباً ما تكون الفواصل الزمنية بين هذه المشاهد خالية . فلكي يُبقي الكاتب على وحدة كل واحد من هذه المشاهد واستقلاله النسبي ، لا يختار إلا الذكريات التي ترتبط به مباشرة ، ويحذف بالتالي كل التفاصيل الغريبة عنه ، حتى تلك التي كانت ماثلة للوعي ، عندما بُعث الماضي . القضية إذن قضية تسلسل زمني ناتج عن اختيار بعينه . حتى عندما يريد الكاتب أن ينقل كل ما يتذكره ، يكتب نصاً مقروءً مفهوماً ، مع أن هذه الطريقة لا تطابق الواقع النفسي الذي وعاه الكاتب بلا نظام ظاهر في الماضي . وهذا الانطباع هو الذي أحس به **أندريه جيد** عندما كتب « **لو لم تمُت البذرة** » . ولا شك أنه إحساس يثبط همة كاتب مثله يحرص على نقل الواقع بأمانة . فهو يقول : « **كل شيء في نفسي يتصارع ويتعارض . فالمذاكرات تصدق ، لكن إلى حد فقط ، مهما كان حرص الكاتب على قول الحق** » .

الذاكرة .. والوثائق

وكثيراً ما اصطدم كتّاب السيرة الذاتية بمشكلة لا حل لها ، هي الشكل الذي يجب أن يعطوه لذكرياتهم . فعندما يتأهب الكاتب لكتابة ذكرياته ، تتوافد هذه الذكريات في غير نظام ؛ وبالتالي ، يتحتم على الكاتب ترتيبها من جديد

بطريقة قد تتنافى مع الواقع أيضاً . **إذن ، لأي واقع يجب أن يخلص الكاتب ؟ الواقع الذي كان ساعة التجربة ؟ أم واقع اللحظة التي تُبعث فيها الذكريات وتُسجل** ؟ هكذا يجد كاتب السيرة الذاتية نفسه أمام مشكلة محيرة يصعب حلها : إما أن يفرض على فيض الذكريات نظاماً معيناً ، إما أن يتخلى عن فكرة تنظيم هذه الذكريات . وبما أن كاتب السيرة الذاتية يخاطب القارئ عادة ، غالباً ما يختار الحل الأول . وإذا كانت نتيجة هذا الاختيار عدم الاخلاص للواقع ، فهي تبدو وكأنها شرط من شروط السيرة الذاتية نفسها .

وتسجيل الذكريات الماضية بالكتابة يفضي حتماً إلى تقارب أو مواجهة بين ماضي الذكرى وحاضر الكتابة ؛ وعنهما ينتج التداخل ، الذي يمكن أن يكون بسيطاً نسبياً عند بعض الكتّاب ، ومعقداً عند البعض الآخر . وفيما يتعلق بالعوامل المساعدة للذاكرة ، نجد نوعين من كتّاب السيرة الذاتية : **أولئك الذين يستعينون بالوثائق ، أياً كان نوعها ــ خطابات ، قصاصات جرائد ، مذكرات خاصة ــ ، وأولئك الذين يعتمدون على الذاكرة وحدها ، عمداً أو بغير عمد** . ولا يعني هذا أن الفريق الأول مسلح أكثر من الثاني في عملية الإحاطة بالواقع الأصيل الذي كان في الماضي . ومن العوامل الحديثة المساعدة للذاكرة ، **الصور ، والأفلام ، والتسجيلات الصوتية** . لكن الكاتب يهتم في أغلب الأحيان بالذكرى المسجلة في ذاكرته ، حتى لو أدى هذا إلى تغيير شكل الواقع . وكثير من التغييرات التي قد يدخلها الكاتب على روايته لا إرادية . فمهما كان حسن نية الكاتب ، ومهما كانت قوة ذاكرته ، لا يستطيع أن يعيد كتابة الواقع الماضي بالكتابة . وأحياناً ، يُدخل الكاتب على روايته لسيرته الذاتية تغييراً آخر هو السخرية التي ينظر بها إلى أفعال أو كلمات أو أفكار الشخصية التي كانت له في الماضي . ولنذكر أيضاً التجاء الكاتب أحياناً إلى اسم مستعار ؛ ويدل هذا على حاجة الكاتب إلى النظر إلى نفسه من الخارج ، والمباعدة بين ما كان عليه في الماضي

هكذا يجد الكاتب نفسه أمام مشكلة محيرة يصعب حلها : إما أن يفرض على فيض الذكريات نظاماً معيناً ، وإما أن يتخلى عن فكرة تنظيم هذه الذكريات !



★ مارسيل بروست ★

وما هو عليه في الحاضر . وجدير بالذكر أن هذا يتفق كل الاتفاق مع بعض اتجاهات النقد الحديث التي تفصل بين المؤلف والراوي ، والرواية ، والشخصية . ففي « **البحث عن الزمان المفقود** » ، يفرّق النقاد بين كل من **بروست** الكاتب ، **ومارسيل** ، الصبي الذي كان ينتظر في السرير أن تأتي أمه وتقبله قبلة المساء .

الصدق .. في السيرة

والحديث عن السيرة الذاتية لا بد وأن يتعرض لقضية الصدق وصراحة الكاتب ولا مناص من الاعتراف بأن كاتب السيرة الذاتية يجب أن يعترف ، إن عاجلاً أو آجلاً بعجزه عن التعبير عن الحقيقة ، التعبير عنها كاملة على الأقل . قال أحد الكتّاب في هذا الصدد : « **هذه القضية الجميلة ، قضية حياتي ، أخذت تتحول إلى الزيف كلما رويتها لنفسي** » . إذن ، قضية الصدق في السيرة الذاتية قضية زائفة ، نظراً لطبيعة السيرة الذاتية نفسها . فمهما فعل الكاتب ، لا يستطيع أن يفلت من الحاضر الذي يكتب فيه ، لكي يلحق بالماضي الذي يكتب عنه . فضلاً عن أنه يفرض على الواقع شكلاً لا يمكنه إلا أن يغير ذلك الواقع . وصراحة الكاتب قضية أخرى زائفة . فمهما كانت تصريحات الكاتب ، لا بد أن يعترف بأن الصراحة التي يقول إنه سيلتزم بها تغيب أحياناً ، وبأن عدداً كبيراً من السير الذاتية الأصيلة الناجحة خضع لرقابة المؤلف نفسه . ولعل هذا الوضع أفضل بكثير من ادعاء الكاتب بأنه سيقول كل شيء وبصراحة . وبالتالي ، قد يكون أصدق الكتّاب أولئك الذين يعترفون بأنهم لن يصدقوا القول دائماً : **فالصدق والصراحة يمكن أن يكون مجرد هدف يسعى الكاتب إلى بلوغه** .

تحدثنا حتى الآن عن السيرة الذاتية من وجهة نظر الشخص الذي يكتبها . ولننقل الآن كلمة عن وجهة نظر الشخص الذي يقرؤها .

قد يصدر الكاتب حكماً خاطئاً على ما يهم القارئ أو لا يهمه . قد يتحدث عن أشياء لا يتوقع أن يقف عندها القارئ ، في حين يتأثر هذا الأخير بها ، في الواقع ، أكثر من غيرها . وإذا كان بعض الكتّاب يبدأون كتاباتهم بالحديث عن سني طفولتهم وصباهم ، وينهون حديثهم بمرحلة النضج ، فلأنهم يشعرون غريزياً بأن هذا النهج يتفق كل الاتفاق مع ميل القارئ الذي يشعر بالمتعة إذ يرى نفسه في الآخرين . وهذا ، على سبيل المثال ، ما فعلته الكاتبة الفرنسية **جورج صاند** التي أحست بالمتعة الحقة عندما تحدثت عن ذكريات طفولتها وصباها ، إيماناً منها بمبادئ **ج . ج . روسو** القائلة بأن الإنسان يُولد طيباً بريئاً ، وبأن الحياة الاجتماعية هي التي تفسده . ولا شك أن السيرة الذاتية هي الشكل الأدبي الذي يجعل الكاتب والقارئ يتفقان اتفاقاً تاماً ، وإن كان هذا يتوقف ، بطبيعة الحال ، على قيمة السيرة الذاتية الأدبية ــ وأبرز مثال لها في أدبنا العربي هو بلا شك كتاب « **الأيام** » بأجزائه الثلاثة الذي خلفه لنا **طه حسين** ــ ونوعية القارئ .

* * * * * * * * * * * *

مدرسة
الصنعة التميمية

بقلم: د. عبد الحميد المعيني

شهد النصف الأول من القرن السادس الميلادي، نضج القصيدة العربية في العصر الجاهلي، فقد أخذت ـ القصيدة ـ شكلاً ثابتاً، وارتضت منهجاً موحداً، واكتملت لها عناصرها الفنية، ومقوماتها الضرورية. وفي هذه الفترة وجه الشعراء عنايتهم إلى تجويد الشعر، وتعهدوا القصيدة بالتهذيب والتثقيف، وألزموا أنفسهم برسم صورها الفنية المتأنية، وحرصوا على تسجيل أبعاد تلك الصور، وذكر تفصيلاتها، حتى أصبحت عملاً فنياً، أتقنت مقوماته، وأحكمت صنعته، ومن هنا ظهرت في الشعر ـ المدرسة الفنية ـ التي يسميها أستاذنا الدكتور يوسف خليف «مدرسة الصنعة».

وكان **الدكتور طه حسين** قد أخبر عن ـ مدارس أدبية ـ في كتابه «**في الأدب الجاهلي**»، وسمّى واحدة منها باسم «**مدرسة زهير**»، بدأت بأستاذها الأول **أوس بن حجر التميمي**، وأصبحت ذات طابع مميّز على يد أستاذها الثاني **زهير بن أبي سلمى المزني**. وكان هذه المدرسة ميزتان:

★ **الأولى**: أن خيالها حسي، يعتمد التصوير الدقيق، ويتخذ التشبيه طريقاً إلى هذا التصوير.

★ والأخرى أن شعراء هذه المدرسة اتخذوا الشعر حرفةً وفنّاً يُدرَسُ ويُتعلّم، وكانت الصلة الفنية في هذه المدرسة هي الرواية، وكل شاعر فيهم راوية لمن سبقه من الشعراء.

وذكر **الدكتور شوقي ضيف** هذه المدرسة في كتابه «**الفن ومذاهبه في الشعر العربي**» عندما قال: «نحن الآن أمام مدرسة في الشعر، أستاذها زهير، وتلامذتها جماعة». وتحدث عن هذه المدرسة «الزهيرية» وعن أستاذها الأول أوس بن حجر التميمي.

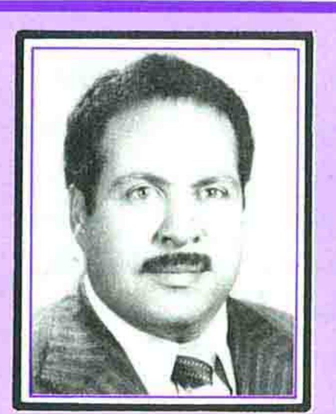
ودرس **الدكتور سيد حنفي** هذه المدرسة دراسة نصيّة ممتازة، وازن فيها بين أوس بن حجر وتلميذه زهير بن أبي سلمى.

فطه حسين، وشوقي ضيف، وسيّد حنفي وغيرهم، درسوا هذه المدرسة الفنية وأعطوا رايتها لأوس بن حجر شاعر تميم الكبير في الجاهلية.


★ د. طه حسين ★


★ د. شوقي ضيف ★


★ د. يوسف خليف ★


★ د. محمد عبد القادر أحمد ★

وكتب **الدكتور إحسان النص** حياة زهير بن أبي سلمى، وتحدث عن مدرسته وعن خصائصها، ولم ينس فضل أوس بن حجر التميمي عليها، لكنه جعل رياستها إلى **الطّفيل الغنوي** شاعر قيس عيلان، وكذلك أشار **محمد عبد القادر أحمد** إلى رياسة الطّفيل لمدرسة زهير عندما قام بتحقيق ديوان الطّفيل الغنوي.

وكان أستاذنا **الدكتور يوسف خليف** – قبل ذلك – قد درس هذه المدرسة وسلّم رايتها ورياستها إلى الطّفيل الغنوي عندما قال: «والرأي الشائع بين الباحثين أن هذه المدرسة الفنية، بدأت بأوس بن حجر شاعر تميم الكبير، ولكن الحقيقة التي تؤكدها الروايات العربية القديمة، هي أنّ هذه المدرسة بدأت من قبل ذلك مع الطّفيل الغنوي شاعر قيس الكبير».

ويستقر الأمر عند الدكتور يوسف خليف والباحثين بعده في ظهور هذه المدرسة الفنية التي تبدأ بالطّفيل الغنوي لأنه أكبر من أوس بن حجر، وكان الطّفيل أستاذاً لأوس، ولأن **القدماء لقبوا الطّفيل بالمحبر** لما لاحظوه على شعره من التنميق والتجويد.

بدايات مدرسة الصنعة

وهكذا نجد أنفسنا أمام مدرسة فنية، تتخذ لها اسماً، وتعرف لها بداية، وتعتمد مقومات فنية، وتضم شعراء.

أما التسمية، والمقومات الفنية، فنحن مع الدكتور يوسف خليف في أنّ هذه المدرسة هي «**مدرسة الصنعة**»، وشعراؤها لا يتسرعون في شعرهم ولا يتعجلونه، ويتناولون صوراً حسيّة تتسع لغزير من التفاصيل والجزئيات ويتخذون من التشبيه التمثيلي والاستعارة طريقاً إلى هذا التصوير، وفي شيء من الأناة والجهد وإعمال الفكر، يمضي هؤلاء الشعراء في صقل قصائدهم، وتحقيق صورهم، وإتقان صنعة الشعر عندهم، فكانوا شعراء مدرسة الصنعة بكل سماتها الفنية ومقوماتها الأساسية.

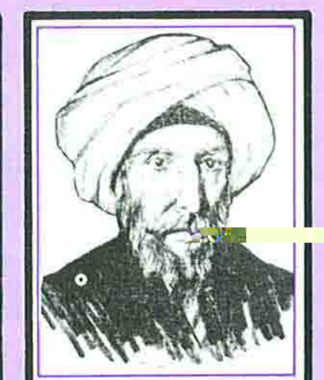
وأما بداية «مدرسة الصنعة» مع الطّفيل الغنوي فأمر – من جانبي – يحتاج إلى تدقيق وتحقيق، فالطّفيل كان محبّراً وفي تميم – وغير تميم – محبرون، ومن بينهم **الشاعر طريف ابن تميم العنبري**. والطّفيل أكبر من أوس أمر غير دقيق ويجانب الصواب، فقد عاش أوس بن حجر في بداية النصف الثاني من القرن السادس الميلادي، وهي نفس الفترة التي عاشها الطّفيل الغنوي كما يذكر محقق ديوانه، ونجد في شعر أوس بن حجر ما يشير إلى تلك الفترة، فقد عاصر **الملك عمرو بن هند** (٥٥٤ – ٥٦٩ م) وطلب إليه أن يحرق نخيل وزرع نفر من بني حنيفة في اليمامة، وأن يُعمل سيفه في رقابهم لأنهم اشتركوا في مقتل أبيه **المنذر بن ماء السماء**. كذلك أشاد أوس بانتصار قبيلته تميم في **يوم «ذي نجب»** على قبيلة بني عامر بن صعصعة، وكان هذا اليوم في مطالع النصف الثاني من القرن السادس الميلادي. وإذا ما نظرنا إلى نسب الشاعرين حيث الجد الأعلى – مُضر – نجد أن نسب الشاعر أوس بن حجر يسبق نسب الطّفيل الغنوي، ولعل هذا يعني – إضافة إلى ما ذكرنا – أن أوس بن حجر كان شاعر مضر غير مدافع ولم يكن الطّفيل الغنوي كذلك.

ونتساءل... كيف يتقدم الطّفيل الغنوي على أوس بن حجر وهما يعيشان في نفس الزمن تقريباً؟ بل ربما كان أوس أسبق من الطّفيل وأقدم منه، ثم أين التقى أوس بأستاذه الطّفيل؟ وما دور شعر تميم في تجويد شاعرية أوس وفي صقل موهبته، وقد كان لقبيلته رياسة الشعر في **سوق عكاظ**؟

وكيف نطمئن إلى أسبقية الطّفيل ولم تذكر عند القدماء؟ حتى أنّ **ابن سلام** لم يترجم للطّفيل الغنوي ضمن طبقات فحول الشعراء في الجاهلية.

كل هذا يجعل أمر بداية «مدرسة الصنعة» غير واضح المعالم والسبل، وإذا مضينا في محاولة للخروج من كل ما يخامر النفس من شكوك وظنون، فإننا نجد علقمة الفحل التميمي شاعراً تبدأ به هذه المدرسة للأسباب التالية:

● **أولا**: أن علقمة الفحل أسبق في الزمن من الشاعرين: أوس والطفيل، فالروايات العربية القديمة تذكر معاصرة علقمة الفحل للشاعر **امرئ القيس**، وأنهما كانا صديقين حميمين، فقد تلاقيا، وتطارحا الشعر، وفي إحدى زيارات علقمة لامرئ القيس تلاحيا في أيها أشعر من الآخر، ويصل الأمر إلى موقف التحدي، ويقول امرؤ القيس لعلقمة: «انعت فرسك، وأنا أنعت فرسي،


★ ابن خلدون ★


★ ابن قتيبة ★


★ امرؤ القيس ★



والحكم بيننا هذه المرأة الطائية **أم جندب** « ـ زوج امرئ القيس ـ وعندما عرض كل منهما قصيدته ، قالت المرأة لزوجها امرئ القيس : « فرس علقمة أجود من فرسك » ، فقال لها : « وكيف ؟ » ، قالت : « لأنك أجهدت فرسك بسوطك ومَريته بساقك ، وأدرك علقمة طريدته وهو ثان لفرسه ، فلم يضرب بسوط ولا مَراه بساق ولا زجره » ، فقال لها : « ما هو بأشعر مني » وغضب عليها وطلقها .

وحدثت هذه المطارحة الشعرية مع بداية النصف الأول من القرن السادس الميلادي ، وكان امرؤ القيس شاعراً يطارح الشعراء وينازعهم الشعر ، والذي ـ نزعمه ـ في أمر هذه ـ المنازعة ـ الشعرية بين امرئ القيس وعلقمة ـ بالرغم من تداخل قصيدتيهما ، واختلاف الروايات فيما قلناه ـ أن علقمة الفحل التميمي كان يتأنى ولا يتعجل الشعر ، ويتريث فلا يتسرع القصيد ، ويقف أمام القصيدة يوفر لها مقومات فنية جعلته ـ كما تزعم الروايات ـ يتفوق على امرئ القيس .

ويزيدنا اطمئناناً إلى أن علقمة الفحل كان شاعراً في هذه الفترة المتقدمة من القرن السادس الميلادي ، رحيله مع وفد بني تميم إلى **الحارث ابن أبي شمر الغساني** (٥٢٨ ـ ٥٦٩ م) بعد **معركة** « **حليمة** » يستشفع في أخيه **شأس بن عبده** وأسرى تميم ، وفي بلاط الغساسنة أنشد علقمة « بائيته » التي مطلعها :

طحا بك قلبٌ في الحسان طروب
بُعيدَ الشباب عصر حان مشيبُ

فأعجب بها الحارث الغساني ، وعفا عن شأس وأسرى تميم ، وأطلق سراحهم . وفي هذه الفترة أيضاً كتب **السموأل** إلى الحارث بن أبي شمر يوصيه بامرئ القيس ، ويطلب إليه أن يساعده في الوصول إلى بلاد الروم ليستعين بهم على قتال بني أسد قتلة أبيه ، ومضى امرؤ القيس في رحلته التي مات فيها .

ومن هذه الروايات العربية القديمة ، والأخبار التاريخية الماضية ، ندرك بجلاء أن علقمة الفحل أسبق في الزمن من الطفيل الغنوي ومن أوس بن حجر التميمي .

● **ثانياً** : تشير الروايات العربية القديمة إلى أن علقمة الفحل كان شاعراً يجوّد شعره ، ويثقفه ، ويصنعه ، ويعنى به ، **فابن سلام** يذكر فحولة علقمة وجياده الشعرية ، ويقول : « علقمة فحل مع الأوائل وله ثلاث روائع جياد لا يفوقهن شعر » ، **وابن قتيبة** يبدي إعجابه بجودة أشعار علقمة وأوصافه ، **وابن الأنباري** يشير إلى تلك الفحولة وإلى تقدمه بين الشعراء : « وكان علقمة من صدور الجاهلية وفحولها » ، ويؤكد **أبو الفرج** جودة شعر علقمة عندما يذكر سبب تسميته بالفحل « وسمي علقمة الفحل لأنه كان يجيد أشعاره » ، **وابن الأعرابي** يبرز جودة وصفه في النّعام وأشعار علقمة الجياد سموط الدهر في عكاظ ، وكان علقمة من أشعر الناس وشاعر مضر في زمانه ، فقد قيل لنصيب : « من أشعر العرب » ، فقال : « علقمة بن عبده » ، ويذكر **ابن حزم** أن علقمة كان شاعر مضر ، وعدّه **ابن خلدون** من أصحاب المعلقات ، ويكون شعر علقمة المجوَّد من « مصادر » شاعرية الفرزدق إذ يقول :

والفحل علقمةُ الذي كانت له
حلل الملوك كلامه لا ينحل

ويرى الباحثون المحدثون أن علقمة شاعر ينقّح ويجوّد أشعاره ، وهو خبير بصير في تأمل شعره ، وفيه رزانة وأناة تنمو به نحو مذهب الصنعة .

● **ثالثاً** : أن خصائص مدرسة الصنعة من حيث الصناعة الشعرية ، والسمات الفنية ، والمقومات الأساسية ، تتمثل في شعر علقمة تمثلاً واضحاً ، وتبرز عنده بروزاً قوياً ، فعلقمة شاعر يعتني بشعره ، ويفرغ له ، يهذّبه ، وينقّحه ويراجعه في شيء من الأناة ، ويقوم على تجويده ، فهو من هؤلاء الذين يسميهم **الأصمعي** « عبيد الشعر » وعلقمة شاعر يعتمد التصوير الحسي ، ويستخدم التشبيه التمثيلي والاستعارة ، ويحرص على التفاصيل ، ويهتم بالجزئيات ، ويسجل الحركة واللون والصوت ، و « ميميته » مطولته الشعرية تقدم لنا الأدلة والشواهد . ففي هذه القصيدة يرسم علقمة لوحة فنية للظليم ـ ذكر النّعام ـ من خلال تشبيه ناقته به :

كأنها خاضبٌ زُعرٌ قوائمه
أجنى له باللوى شَري وتَنّومُ
يظل في الحنظل الخطبان ينقفه
وما استطفٌ من التنوم مخذومُ

فالشاعر يسجل اللون والحركة في هذه اللوحة ، ويرينا ظليماً عارم الحيوية ، أحمر القوائم والريش ، يرعى في مراعي ـ اللوى ـ الخصيبة ، ويتنقل بين نباتها وشجرها ، يجذم ورق التنوم ، ويتناول حب الحنظل في فرحة وسعادة ثم يتذكر بيضه وأسرته ، ويثير رذاذ بدأ يتساقط :

حتى تذكّر بيضات وهيّجهُ
يومُ رذاذ عليه الريحُ مغيومُ

ويسرع الظليم عائداً إلى أدحيه ـ بيته ـ بخطى متلاحقة ، وجري سريع ، ثم يشتد في سرعته ، ويدفع رجليه دفعاً قوياً إلى الأمام ويدرك بيته قبل غروب الشمس :

فلا تزيّده في مشيه نفق
ولا الزفيفُ دُوين الشدّ مسؤومُ

فطاف طوفين بالأدحي يقفره
كأنه حاذرٌ للنخس مشهومُ
يأوي إلى حسكل زُعر حواصلُه
كأنهن إذا برّكْن جرثومُ
يوحي إليها بأنقاض ونقنقة
كما تَراطنُ في أفدانها الرومُ
صَعل كأن جناحيه وجؤجؤه
بيتٌ أطافت به خرقاء مهجومُ
تحفّه هقلةٌ سطعاءُ خاضعةٌ
تجيبه بزمار فيه ترنيمُ

في هذه اللوحة الفنية يرسم لنا علقمة في إعجاب وزهو شديدين أدحي الظليم وفيه زوجه وصغاره، ونرى الظليم – لحظة الوصول – يتفحص المكان، ويطوف ببيته مرتين يثبت اطمئنانه، ويدفع عن نفسه مخاوفها، وبعدها يندفع إلى الداخل، ويأوي إلى حسكله «صغاره» ويمدّ عليه جناحيه، ويضمه إلى جؤجؤه «صدره» في لهفة عارمة واسترخاء كبير. ويُمرر الشاعر ريشته على هذه اللوحة فيرينا هذا الظليم، هو يجثم على بيضه في تهالك قوي سريع كبيت فيه امرأة خرقاء لا تحسن إقامته عندما هوت عيدانه وتساقطت أطنابه فهي كلما رفعت من البيت جانباً، سقط منه جانب آخر. ثم يسجل الشاعر عرار الظليم لزوجه – هقلة سطعاء – فهو يناجيها بأنقاض، ويناغيها بنقنقة وكأنه يراطنها رطانة الروم، فلا نفهم من عراره شيئاً، ولعلها لغة الغرام عند النّعام، تفهمها النعامة فتقبل على ظليمها، وتحيط به، وترضي إيابه، وتتمسح بريشه، وتغنيه بزمار عذب، وترنيم رخيم حبيب.

فهذه اللوحة تعاونت فيها الألوان، وتمازجت فيها الخطوط، واتسعت للكثير من الحركات والأصوات، واعتنت بالتفاصيل والجزئيات، فالشاعر يلوّن لوحته بألوان ارتضاها، فاللون الأحمر للظليم، والأصفر والأخضر للنبات، والرمادي للحنظل، والأبيض للأدحي، ثم يرينا الشاعر حركات الظليم في المرعى وعند عودته، وطوافه بأدحيه، وجثومه على صغاره، وبعد هذا يسمعنا عرار الظليم، وزمار النعامة.

ويرسم الشاعر المكان، **منطقة اللوى** – شمال القصيم – وفيها الحنظل والتنوم ثم أدحي الظليم. ويذكر الشاعر الزمان، فالظليم في إطلالة الربيع وفي يوم تميل شمسه للغروب، وهو يوم رذاذ فيه رياح وغيوم.

ومادة التشبيه في هذه اللوحة حسّية، فهي صورة للنعام في الطبيعة، والطبيعة بكل مظاهر الحياة فيها تظل عند الشعراء منبعاً ثرًّا لتشبيهاتهم، ومفجراً قوياً لينابيع شاعريتهم. وعلقمة مفتون بظليمه، ومعجب به أشد الإعجاب. إنه لا يترك شيئاً يثير فتنته، ويبدي إعجابه عن هذا الظليم إلا سجله وصوره، ولذا كان الظليم عند علقمة مادة التشبيه المفضلة.

وهكذا رسم لنا علقمة هذه اللوحة الفنية بعد أن أعمل فيها فكره، وعني بها تنقيحاً وتجويداً، واعتمد التصوير، واستخدم التشبيه التمثيلي طريقاً إلى هذا التصوير، واهتم بالتفاصيل، وحرص على الجزئيات، فجاءت لوحته – فاتنة – وحق لابن الأعرابي أن يُعجبَ بهذه الصورة في وصف النّعام.

وفي «ميمية» علقمة إلى جانب لوحة الظليم، نجد لوحات فنية أخرى منها: لوحة الإبريق الفضي، ولوحة ظعائن سلمى، وهذه اللوحات الثلاث: الظليم، والإبريق، والظعن تتمثل فيها جميعها مقومات وسمات مدرسة الصنعة تمثلاً مبيناً.

● **رابعاً**: أن مدرسة الصنعة تضم شعراء تفرغوا لشعرهم، ووفروا له من الصنعة ومقوماتها الكثير، وهؤلاء الشعراء يتأثرون بمن سبقهم، ويأخذون عمن تقدمهم، ثم هم يمهرون في الصنعة، ويجوّدون في الشعر، وقد لاحظ القدماء هذا التأثير بين شعراء هذه المدرسة فقالوا: إن زهيراً تأثر بأستاذيه أوس ابن حجر والطفيل الغنوي وأخذ عنهما. وزهير – الذروة الفنية – لهذه المدرسة يتأثر أيضاً بعلقمة، وينقل عنه منظر «**السانية**» الذي طوّره ورسم منه لوحة فنية نادرة في الشعر الجاهلي، فَقَبْل زهير رسم لنا علقمة منظر السانية التي تستخدم على آبار الري في المناطق الزراعية من خلال تشبيه دموعه بماء دلو السانية:

فالعينُ مني كأن غربٌ تحط به
دَهماءُ حاركُها بالقتب مخذومُ
قد أدبر العُرُّ عنها وهي شاملها
من ناصع القطران الصرف تدسيمُ
تسقي مذانب قد زالت عقيفتها
حدورها من أتيّ الماء مطمومُ

في إحدى مناطق النخيل بأرض الصمان – منازل قبيلة الشاعر – نرى هذه السانية الدهماء تدور حول البئر بعد أن طُليت بالقطران وأدبر عنها الجرب وتربعت في مناطق خصبة، وارتفع سنامها، فهاهي تتألق تحت أشعة الشمس بجلدها الأملس المشدود. ثم نشاهد رباط الناقة إلى البئر، فقد امتد الحبل من قتب الناقة إلى خشبة الدلو، وهي تدور فتنحرف على جانبيها، لتكون أقوى على شد هذا الدلو الضخم الذي امتلأ ماءً راح يُفرغ في جداول تتدفق غزيرة كأنها السيل يندفع بقوة، ويبلغ الماء أواخر الأرض المزروعة، ويغمر الأماكن المنحدرة، وإذا بنا أمام زرع يرتوي، فتتفتح أوراقه، وتتصلب عيدانه، وتنضج ثماره.

وفي شعر علقمة لوحات فنية أخرى منها لوحة المرأة، لوحة الناقة، لوحة بقر الوحش،



لوحة اللاحب « الطريق » ، لوحة الماء ، لوحة الحرب ، لوحة الحصان ، لوحة الصيد ، وكل هذه اللوحات الفنية يفرغ لها علقمة ويتأنى في رسمها ، ويعنى بتجويدها ، ويجهد في صنعتها ، ونجد أن هذه اللوحات لم تمتد امتداد لوحات أوس بن حجر التميمي ولم تتسع لكثير من ـ اللمسات الأخيرة ـ كما عند زهير بن أبي سلمى وذلك لأنها كانت الطريق والبداية إلى مدرسة الصنعة .

علقمة .. أوائل شعراء مدرسة الصنعة

ومن كل ما ذكرنا نرى أن علقمة الفحل التميمي أسبق الشعراء في القرن السادس الميلادي ، وأن الروايات القديمة أبرزت تجويده لأشعاره ، وأن شعره تتمثل فيه سمات مدرسة الصنعة ، فهو ـ والأمر كذلك ـ شاعر في أوائل شعراء مدرسة الصنعة .

ولذا يمكننا أن نزعم أن علقمة الفحل التميمي كان بداية مدرسة الصنعة وأقدم شعرائها ، وجاء بعده أوس بن حجر التميمي رائد هذه المدرسة التي تقدمت على يديه حتى وصلت إلى الذروة الفنية عند الشاعر زهير بن أبي سلمى المزني .

وفي تميم شعراء آخرون كثيرون ترسموا خطا الشاعرين الكبيرين علقمة الفحل وأوس بن حجر ومن هؤلاء الشعراء : **سلامة بن جندل ، والأسود بن يعفر ، وثعلبة بن صعير والمخبل السعدي ، وعبده بن الطبيب ، وضابئ بن الحارث ، ومتمم بن نويره ، وحريث بن محفض ، وأوس بن غلفاء ، وعميرة بن طارق ، وطريف بن تميم وغيرهم .**

وهؤلاء الشعراء اعتنوا بتجويد شعرهم ، ورسموا صورهم الحسية في أناة وجهد وبعد تحقيق وتدقيق ، واتخذوا من التشبيه التمثيلي والاستعارة طريقاً إلى هذه الصور ، وحرصوا على التفاصيل والجزئيات ، وسجلوا الحركات والأصوات وركزوا الألوان ، وذكروا المكان والزمان ، وكانوا أصحاب صياغة قوية ، وعاطفة ثرية ، ومطولات شعرية ، فجاءت صورهم لوحات فنية رائعة .

«فمدرسة الصنعة» مدرسة تميمية البداية والريادة ، وعليها وفيها تتلمذ الكثير من شعراء تميم ـ وغير تميم ـ وراحوا يدفقون روافدهم الفياضة في نهر الصنعة العظيم .

المصادر والمراجع

(١) الدكتور يوسف خليف : الشعر الجاهلي نشأته وتطوره ، مجلة عالم الفكر ، مجلد ٤ ، عدد ٤ .

(٢) الدكتور طه حسين : في الأدب الجاهلي .

(٣) الدكتور شوقي ضيف : الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، وفي الأدب الجاهلي .

(٤) الدكتور سيد حنفي : الشعر الجاهلي .

(٥) الدكتور إحسان النص : زهير بن أبي سلمى .. حياته وشعره .

(٦) محمد عبد القادر أحمد : مقدمة ديوان الطفيل الغنوي .

(٧) ابن قتيبة : الشعر والشعراء .

(٨) الأخفش : كتاب الاختيارين .

(٩) بروكلمان : تاريخ الأدب العربي .

(١٠) أوس بن حجر : ديوانه .

(١١) الأنباري : شرح ديوان المفضليات .

(١٢) الدكتور جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام [illegible]

(١٣) الدكتور نبيه عاقل : تاريخ العرب القديم .

(١٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ .

(١٥) علقمة الفحل : ديوانه .

(١٦) ابن سلام : طبقات فحول الشعراء .

(١٧) الأصفهاني : الأغاني .

(١٨) ابن رشيق : العمدة .

(١٩) ابن خلدون : مقدمته .

(٢٠) الفرزدق : ديوانه .

(٢١) الدكتور النويهي : الشعر الجاهلي .

(٢٢) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب .

(٢٣) امرؤ القيس : ديوانه .

(٢٤) مطاع الصفدي : موسوعة الشعر العربي .

(٢٥) الدكتور عبد الحميد المعيني : شعر قبيلة تميم في العصر الجاهلي .



تأليف :
ريتشارد هل
عرض وتحليل :
د . أحمد عباس عبد البديع

إفريقيا الحديثة

لئن كانت إفريقيا قد تحررت من ربقة الاستعمار الذي ظل جاثماً فوق أراضيها ما يزيد عن نصف القرن ، إلا أنها أضحت منذ استقلالها تواجه كثيراً من المحن القاسية التي تتمثل في الاستعمار الجديد ، والصراعات الداخلية ، والانفجار السكاني ، وسوء التغذية ، والبحث عن الذاتية الثقافية ، ومشاكل الاغتراب والهجرة الجماعية ، والتصنيع والتحضر السريع ، والتكامل الاقتصادي . وبينما يهتز العالم طرباً مع دقات الطبول التقليدية التي تنبعث من أعماق القارة ، وينفعل بأجل الأحاسيس إزاء روعة الفنون التشكيلية التي صاغها الخيال الإفريقي الخصب ، فإنه ليرتاع هلعاً لما تشهده أرض القارة من أفعال الإبادة الجماعية التي ترتكب في كثير من أنحائها ، وجرائم التفرقة العنصرية المتمركزة في أقصى جنوبها .

وفي هذا الإطار ، يتناول **ريتشارد هل** ، الأستاذ بجامعة نيويورك دراسته للقارة السوداء في كتابه « **إفريقيا الحديثة** » بصفحاته المائتين والستين . فهذه الدراسة لا تنتمي إلى علم أكاديمي معيّن ، لكنها تشمل مدى واسعاً من فروع المعرفة ، وذلك لأنه منذ أواخر الستينات — كما يقول المؤلف — أخذت الحضارات الإفريقية تدخل في نطاق الحضارات العالمية التي تتطلب دراستها الإلمام بكثير من العلوم والمعارف المختلفة . **ومن ثم فإن هذا الكتاب ليس تاريخاً سياسياً لإفريقيا فحسب ، لكنه فضلاً عن ذلك تاريخ فني وديني واجتماعي وثقافي وقانوني واقتصادي ، ومحاولة لإثارة التأمل في التفاعل بين هذه الجوانب المختلفة من تاريخ القارة .**

وليس أدل على جدية هذه الدراسة ومدى ما بذله المؤلف فيها من جهد من أنها محصلة سبعة عشر عاماً من القراءة والبحث في الولايات المتحدة وأوروبا وإفريقيا . **وهي فوق ذلك كله تتميز بالموضوعية والدقة والأصالة العلمية التي تنعكس بصفة خاصة في المعالجة المستفيضة والمنصفة لدور العرب والإسلام في التغيرات الثقافية والاقتصادية التي طرأت على القارة وذلك في إطار قلما يعالجه فيه أي كاتب غربي آخر .**

ويقتصر الكاتب في هذه الدراسة على ما يطلق عليه إفريقيا السوداء ، أو إفريقيا تحت الصحراء وفقاً لما تعارف عليه علماء الدراسات الإفريقية ، ومن ثم فإنه لا يدخل في نطاقها شمال القارة الذي ينتمي إلى العالم العربي .

وينقسم الكتاب إلى ثلاثة أقسام مرتبة ترتيباً زمنياً وهي **عصر ما قبل الاستعمار ، والعصر الاستعماري ، وعصر الاستقلال** . وفي كل قسم من هذه الأقسام يتناول المؤلف دراسة ثلاثة موضوعات وهي **أنماط السلطة ، والآفاق الاقتصادية ، وأنماط الثقافة .**

القسم الأول : عصر ما قبل الاستعمار

يتميز عصر ما قبل الاستعمار بتعدد أنماط السلطة وتنوعها ، ومع ذلك فإنها في جملتها كانت تميل إلى التوسع الإقليمي ، وتكوين الإمبراطوريات الشاسعة ، ثم الأخذ بدرجة عالية من المركزية الإدارية . وقد تعددت التجارب التوسعية التي شهدتها القارة في تلك الفترة ، وكانت تنتهي دائماً بتفكك البنيان السياسي وانهيار السلطة بفعل الصراعات الداخلية من ناحية ، والغزو الاستعماري من ناحية أخرى .

ومن أبرز هذه التجارب إمبراطورية الخلافة الإسلامية في **سوكوتو** التي تكونت في القرن التاسع عشر في المنطقة المعروفة حالياً بشمال **نيجيريا** على أثر خوض **الفولانيين** الذين كانوا ينحدرون من أصل عربي حروب الجهاد للقضاء على سلطان ونفوذ **الهاوسا** المستوطنين الأصليين . وقد حقق جهاد



الفولانيين نجاحاً ساحقاً ، وعلى أثره أقام زعيمهم **الشيخ عثمان دانفوديو** حاضرة الخلافة الإسلامية في مدينة **سوكوتو** ، وضم إليها كل ممالك **الهاوسا** ، واتخذ لنفسه لقب ملك المسلمين إشارة إلى زعامته السياسية والروحية للممالك التي تضمها إمبراطوريته الشاسعة . وكان من أهم الإمارات التابعة لملك المسلمين **إمارة كاتسينا** موطن الهاوسا الذين اعتنق كثير منهم الإسلام . وكان أمراؤها المتعاقبون يستمدون اختصاصاتهم وسلطاتهم من ملك المسلمين لمواجهة الأرستقراطيين والإقطاعيين المحليين في محاولاتهم لبسط نفوذهم على الإمارة .

بيد أن **الأمير أبا بكر** (١٨٨٧ ـ ١٩٠٤ م) آخر أمراء **كاتسينا** اتجه إلى المغالاة في تركيز السلطة ، الأمر الذي أدى إلى تفجر الصراعات الداخلية ، ومهد السبيل أمام الغزو البريطاني لإمبراطورية الخلافة الإسلامية ابتداء من عام ١٩٠٣ م .

وفي المنطقة المعروفة حالياً **بنيجيريا** الغربية بدأت مملكة **أويو** عملية التوسع الإقليمي فضمت إليها كثيراً من ممالك **اليوروبا** وتأسست **إمبراطورية أويو** . وكان أبرز شخصيتين في الإمبراطورية هما **الألافين** الذي كان ملكاً وكاهناً في نفس الوقت ، **والباسورون** أو الوزير الأول الذي كان يعتبر مفسراً لروح الألافين وصانعاً للملوك .

ومنذ عام ١٧٥٠ م ، تزايدت سلطة الألافين وتضخمت بيرقراطيته بل كان يتجاوز اختصاصاته الدستورية ، ولذلك تعددت أحكام الباسورونات بتقرير انتحار الألافينات واختيار الافينات ضعاف حتى يتفوقوا عليهم من حيث المركز . وقد أتاح هذا الانهيار في السلطة إلى تزايد التهديدات العسكرية من جانب الفولانيين المسلمين من الشمال مما أدى إلى القضاء على الإمبراطورية . وفي عام ١٨٣٧ م ، دمروا عاصمتهم **أويو** وأصبحت شعوب **اليوروبا** وأراضيهم مكشوفة أمام غزو جديد وهو الغزو البريطاني الذي بدأ بتجارة الأسلحة .

وفيما يعرف اليوم بمناطق وسط غانا نشأ اتحاد **أسانتي** في أواخر القرن السابع عشر في مدينة **كوماسي** . وقد عهد **الأسانتهين** إلى ضم جميع الممالك والمدن الواقعة على بعد ثلاثين ميلاً من كوماسي ، وترك لكل مملكة قدراً من الاستقلال الإداري . وفي أواخر القرن الثامن عشر كان **اتحاد أسانتي** يمتد ـ نتيجة لعمليات التوسع المستمرة ـ **من ساحل الذهب إلى أراضي المسلمين في السافانا الشمالية** . وقد لجأ **الأسانتهين أوسي كوامي** إلى توظيف كثير من المسلمين في الإدارة المركزية ، غير أنه خلع من منصبه بسبب مشاعره المؤيدة للإسلام وجهوده في إدخال الشريعة الإسلامية بدلا من الأعراف التقليدية .

ومع بداية القرن التاسع عشر عمد **الأسانتهين** إلى الحد من سلطات الرؤساء المحليين والاتجاه إلى نظام بيرقراطي يستند على المركزية الشديدة مما دفع هؤلاء الرؤساء إلى المقاومة والتمرد عليه ثم الاستقلال تحت الحماية البريطانية . وعلى أثر حريق بريطانيا لمدينة **كوماسي** في عام ١٨٧٤ م ، تزايدت اتجاهات التفكك في الاتحاد . وأخيراً وفي عام ١٨٩٦ م ، خلع البريطانيون **الأسانتهين** عن مقعده الذهبي وتحولت أسانتي إلى مقاطعة إدارية تابعة لساحل الذهب البريطاني في عام ١٩٠١ م .

وفي الشمال أخذت **مملكة بوجندا** الواقعة على الشاطئ الشمالي الغربي لبحيرة فكتوريا تتسع تدريجياً حتى أخضعت سائر بطون جاندا ، وشرعت في أواخر القرن الثامن عشر في الانتقال من البنيان الإقطاعي إلى الإطار البيرقراطي ومركزية السلطة الممثلة في شخص **الكاباكا** أو الملك . وقد استمرت **بوجندا** في التوسع إقليمياً حتى أصبحت في عام ١٨٧٥ م ، من أقوى دول شرق إفريقيا ، وخاصة بعد أن عمد جيش **الكاباكا** إلى استخدام الأسلحة النارية التي كان يتزود بها من التجار العرب . على أن زيادة تدفق هذه الأسلحة ساعد على تمرد كثير من الممالك التابعة **لبوجندا** . وفي نفس الوقت أخذ سلطان **الكاباكا** يضعف بسبب تغلغل العناصر الأجنبية واشتداد التنافس بين المسلمين العرب والإرساليات التبشيرية على السلطة والنفوذ في بلاط **الكاباكا** . وأخيراً تحول هذا التنافس إلى نضال من أجل نشر الدين ثم إلى حرب مدنية بين **الكاباكا موانجا** ومعتنقي الأديان الأجنبية من رعايا **بوجندا** . وفقد **موانجا** الحرب مما أدى إلى انقسام المملكة بين المستعمرين **البريطانيين والألمان والفرنسيين** الذين كانوا يتسابقون إلى السيطرة على منابع النيل ووسط إفريقيا الشرقي .

وقد شهد الجنوب الإفريقي تجارب مماثلة ، وخاصة في **مملكة الزولو** ، التي أصبحت في الربع الأخير من القرن التاسع عشر أقوى دولة إفريقية جنوب نهر **زمبيزي** ، مما حمل بريطانيا على غزو أراضيها وضمها إلى مستعمراتها في الربع الأخير من القرن التاسع عشر منعاً من سيطرتها على ساحل جنوب إفريقيا .

وحول القانون الذي كان سائداً في عصر ما قبل الاستعمار يقول المؤلف : إن هذه الدول كانت تعتمد على **العرف** الذي كان ينتقل من جيل إلى آخر على هيئة حكم أو أقوال مأثورة ، وكان يستمد أصوله من الوسط الاجتماعي والمعتقدات الأسطورية . **غير أن هذه المفاهيم القانونية أخذت تتوارى تحت تأثير الشريعة الإسلامية التي كانت تنتشر بسرعة فائقة** . ويقول الكاتب في هذا السياق : إن الشريعة ظلت تحكم كل مظاهر الحياة نتيجة لحركات الجهاد المتتالية وما تبع ذلك من البعث الإسلامي ونمو الدول الإسلامية وازدهارها وخاصة دولة **فوتاس جالون وتورو** في **إمبراطورية توكولور** التي كانت خاضعة **للحاج عمر** (وتشمل حالياً غينيا حتى الضفة الجنوبية لنهر السنغال) وفي عهد خلافة **سوكوتو** وفي **إمبراطورية بورينو** (شمال شرقي نيجيريا) .

الآفاق الاقتصادية

يستهل المؤلف معالجته للآفاق الاقتصادية في فترة ما قبل الاستعمار بقوله : إن السواد الأعظم من الإفريقيين ظلوا حتى أواخر القرن التاسع عشر ، يعيشون عيشة الكفاف فلا ينتجون إلا ما هو ضروري لاستهلاكهم المباشر . وإذا ما تحقق لهم فائض ، كانوا يقايضونه مقابل بعض الضروريات مثل الحديد

لصناعة الحراب أو الملح لحفظ الطعام أو طهيه .

وكانت أقلية من السكان تعتمد على التجارة ، وذلك بصفة خاصة في مدن غرب إفريقيا والساحل الشرقي . فمنذ عدة قرون كانت القارة تغطيها شبكات متعددة من خطوط التجارة المحلية والإقليمية التي كان بعضها يمتد آلاف الأميال ، ويتصل بخطوط التجارة العالمية . وقد اتجه الحكام في مختلف المناطق إلى احتكار التجارة والسيطرة على مراكزها تأكيداً لنفوذهم وسلطانهم . ففي **اتحاد أسانتي** لم يكن لأحد أن يتعامل في محصول الكولا إلا موظفي **الأسانتهين** ، وفي **مملكة داهومي** كان التجار يعملون لحساب الملك ، وفي **جمهورية بينين** لم يكن للأوروبيين أن يعقدوا الصفقات التجارية إلا مع وكلاء الملك كما لم يكن لهم الحق في التنقل بحرية في الأسواق الداخلية .

وقد توسعت كثير من الدول الإفريقية في تجارة الأسلحة النارية مع الأوروبيين وخاصة في أعقاب **الحرب الفرنسية البروسية** عندما أخذ فائض البنادق يتدفق إلى أسواق إفريقيا مما أدى إلى انتفاء الأمن والخروج على القانون ؛ فكان التجار المسلحون يغيرون على القبائل فينتزعون منها أقوى رجالها ، ثم ينقلونهم على السفن كرقيق إلى ما وراء البحار ، كما كانوا ينظمون جماعات لصيد الأفيال من أجل الحصول على العاج لتصديره إلى الأسواق العالمية . ومن بين التجار الذين لمعت أسماؤهم **تيبوتب** وهو عربي إفريقي فقد قام في عام ١٨٧٢ م ، بتأسيس دولة تجارية في **شرق الكونغو** لتصدير الرقيق والعاج . كما أسس التجار العرب الذين كانوا ينحدرون من أصل عماني مدناً مستقلة في شرق إفريقيا ، وتأكدت سيطرتهم على الساحل الشرقي والجزر المجاورة له منذ عام ١٨٣٣ م ، وبصفة خاصة عندما نقل **السلطان سيد سعيد** عاصمته من **مسقط في عمان إلى زنجبار** وفي عهده أصبحت جزيرتا **زنجبار وبومباي** أكبر موردين للقرنفل في العالم .

وفي غرب إفريقيا ازدهرت **صناعة تعدين الذهب وتجارة الكولا** ، كما كان **اكتشاف الماس في جنوب إفريقيا عام ١٨٦٧ م ، ثم الذهب عام ١٨٨٦ م** ، إيذاناً بتفجير ثورة معدنية ، إذ إنها حولت القارة إلى مركز جذب لرؤوس الأموال والسلع الرأسمالية ، ولموجات هائلة من المهاجرين والمستثمرين والتجار والعمال المهرة من مختلف أرجاء أوروبا .

وقد اقترن ظهور هذه الثروة الجديدة بنمو وتكاثر **الشركات الموثقة** Chartered البريطانية أول الأمر ثم الشركات **الفرنسية والألمانية والبلجيكية** لتكون أدوات للتوسع الإقليمي وإدارة المستعمرات لحساب الدول التي تنتمي إليها .

وابتداء من عام ١٨٧٥ م ، أخذ التنافس بينها تشتد حدته وفي نفس الوقت بدأت الرأسمالية في أوروبا تدرك الحاجة إلى حماية فرصها في التجارة والاستثمار في المستقبل في عالم كان يشهد بزوغ ونمو الروح القومية . ومن ناحية أخرى كانت **ألمانيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية** في المراحل الأولى من ثوراتها الصناعية ، وكان لا بد لها من تحدي سيطرة **بريطانيا** على التجارة الخارجية ، لأن الصناعات الناشئة في هذه الدول كانت تتطلع إلى مصادر رخيصة للمواد الخام وخاصة المواد المعدنية .

وهكذا التقت المصالح **الاوروبية والامريكية** المتصاعدة في استغلال إفريقيا اقتصادياً عندما دعا **بسمارك** إلى عقد مؤتمر دولي في **برلين** اشتركت فيه أربع عشرة دولة أوروبية والولايات المتحدة . ومن هذا المؤتمر صدر **إعلان برلين** بحرية التجارة والملاحة في حوض **الكونغو والنيجر** ، وإقرار الشرعية لسيادة **الملك ليوبولد** على ما كان يسمى حينئذ **بدولة الكونغو الحرة** . وابتداء من عام ١٨٨٥ م ، أخذ التجار العرب والسواحيليون والإفريقيون يفقدون المراكز الرئيسية لسيطرتهم على التجارة **وكان ذلك إيذاناً بدخول إفريقيا عهداً جديداً من السيطرة السياسية والاقتصادية للدول الأوروبية وهو عهد الاستعمار .**

وجدير بالذكر أن احتواء إفريقيا في الاقتصاد العالمي لا يرجع إلى الاستعمار الغربي فحسب ، لكنه يرجع كذلك إلى ضعف الحكام الإفريقيين مما أفقدهم القدرة على الاتحاد ضد المستعمرين .

أنماط الثقافة

من الخصائص الرئيسية التي انفردت بها إفريقيا قبل الاستعمار التنوع الشديد للديانات الموجودة في القارة . فقد كان لكل ثقافة من الثقافات التي تعد بالمئات نمطها الديني الذي كان يتشكل وفقاً لحاجات الجماعة ، وتبعاً لمدى ودرجة تنظيمها السياسي والاجتماعي ، الأمر الذي يؤكد الفكرة القائلة إن الديانات الإفريقية قابلة للتغير واستيعاب الأديان الأخرى .

وقد كان **الإسلام** أكثر الأديان انتشاراً في هذه الفترة ، فقد وجد منذ عدة قرون في شمال إفريقيا وغربها ، وفي المناطق المتاخمة للساحل الشرقي . **ويعتبر القرن التاسع عشر عصر الجهاد الإسلامي في إفريقيا ، فكان مشايخ المسلمين وعلماؤهم يخرجون من المساجد ومراكز تعليم الدين الإسلامي ليعلنوا الجهاد وذلك لأن المسلمين كانوا يرفضون التوافق مع الأديان الإفريقية .** وتحت لواء هذا الجهاد تأسست الدول والإمبراطوريات الإسلامية من فوتاجالون إلى شمال نيجيريا وفي شرق إفريقيا وزنجبار تحت حكم **السلطان سيد سعيد** . ومن أشهر الجماعات الإسلامية التي قادت حروب الجهاد **جماعة التيجانية** ، نسبة إلى **أحمد التيجاني** ، **والقديرية** التي كانت قد تأسست في العراق في القرن الحادي عشر وانتقلت إلى إفريقيا . **ويقول المؤلف إن المستعمرين إذ حطموا هذه الدول والإمبراطوريات في أواخر القرن التاسع عشر فإنهم قضوا على الإسلام سياسياً ؛ ومن مشيئة القدر أنهم بذلك ساعدوا على سرعة انتشار التعاليم الإسلامية في ربوع القارة .**

وكان التعليم في مختلف أرجاء القارة يبدأ في نطاق الأسرة . وبعد ذلك ينضم الأطفال عندما يشتد عودهم إلى جماعات الكبار لتعلم فن الملاحظة في الغابات والحقول والأسواق وفنون الصيد وبعض الأعمال التي تتصل بالزراعة والحرف التقليدية ، فضلاً عن حفظ الأناشيد والأقوال المأثورة التي تتناول تاريخ الجماعة



وتقاليدها ومنجزات أسلافها .

وقد اكتسب التعليم بعداً إضافياً في **المناطق الإسلامية** ؛ **ففي خلافة سوكوتو** انتشرت **مكاتب تحفيظ القرآن الكريم** التي كانت ملحقة بالمساجد ، وكانت أبوابها مفتوحة أمام الجميع لتعليم التلاميذ - إلى جانب حفظ القرآن - القراءة والكتابة **بلغة الهاوسا** بحروف عربية في حين كان التدريس في المدارس الإسلامية الأكثر تقدماً باللغة العربية . وكان العلماء القائمون بالتدريس يطلق عليهم « **المعلمين** » باللفظة العربية ؛ وأحياناً كان يطلق على المعلم « **الحاج** » ، إذ كان من المتعين أن يكون هؤلاء المعلمون قد أدوا فريضة الحج . كذلك فقد تعددت مدارس تحفيظ القرآن الكريم في **سلطنة بورنو ودولة ماسينا** ؛ وفي هذه المدارس تخرّج كثير من الزعماء المسلمين ممن كان لهم دور كبير في تأسيس الدول الإسلامية من أمثال **عثمان دانفوديو وسيكو أحمد والحاج عمر والكانامي** وغيرهم كثيرون .

وفي حديثه عن سلطان الفن الإفريقي يقول المؤلف إنه يتميز بروعته وقدرته على إثارة أحاسيس الإنسان المعاصر ، ويسوق الدليل على ذلك بأنه منذ سنوات قليلة بلغ ثمن أحد التماثيل البرونزية النيجيرية من القرن السادس عشر (٤٤٢) ألف دولار في أحد مزادات المعروضات الفنية . **والفن الإفريقي لم يستمد مبرر وجوده من الاعتبارات الجمالية ولكن من الاعتبارات العملية ، إذ كان له دور وظيفي بالنسبة لنظام الجماعة وأمنها وبقائها** . فصناعة الأقنعة كانت تتطلبها المهرجانات الراقصة للمساعدة في تحقيق النماء والخصوبة والصحة والحماية من الأرواح الشريرة والسحرة .

ويثير الكاتب في هذا السياق ما يقوله بعض النقاد من أن الفن الإفريقي يفتقر إلى التعبير ، ثم يضيف إلى ذلك أننا يجب أن نتذكر أن الفنانين الإفريقيين لم يكن هدفهم تصوير الواقع المرئي في أعمالهم بقدر ما كانت هذه الأعمال ترمز إلى القوى الروحية الخفية التي يرجى منها تحقيق هدف معين . كذلك فقد كان للموسيقى دور وظيفي ، إذ كانت الآلات الموسيقية كثيراً ما تستخدم لأداء وظائف غير موسيقية . **ففي إمارة كاتسينا** كانت الطبول تقرع ثلاث مرات عند تقليد العمامة لأحد الرؤساء الجدد أو اثنتا عشرة مرة عند تنصيب الأمير الجديد . كما كانت الطبول الناطقة وسيلة هامة للاتصال عند الأسانتي واليوروبا . وفي معظم المجتمعات كانت الموسيقى والأغاني جزءاً من كل نشاط بشري في العمل والحرب والزواج والصناعة والحصاد والصيد وتأبين الموتى ومديح الشخصيات الهامة مما يدل على أن الموسيقى كانت وثيقة الصلة بالبنيان السياسي والاجتماعي بأكمله .

القسم الثاني : العصر الاستعماري

على أثر الغزو الاستعماري لإفريقيا في العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر وجد الأوروبيون أنفسهم في منطقة تزيد عشرات الأضعاف في حجمها عن بلادهم ، وفي مواجهة ملايين عديدة من البشر من أجناس وسلالات مختلفة ونظم متنوعة . وهذا الموقف الرهيب أجبرهم على إعادة النظر أكثر من مرة في علاقاتهم بالإفريقيين وهو ما ينعكس في استحداث أنماط مختلفة ومتنوعة من السلطة . **وهذه الأنماط كما يعرض لها الكاتب هي نمط الحكم البريطاني المباشر وغير المباشر ونمط الاستيعاب والتجميع الفرنسي والمركزية البرتغالية والقبضة الحديدية الألمانية وأخيراً نمط الأبوية البلجيكية .**

وقد قام البريطانيون في أول الأمر بتطبيق نظام الحكم غير المباشر في **نيجيريا الشمالية** ثم أصبح نمطاً سائداً في مختلف الممتلكات البريطانية . وكان أول من صمم هذا النمط **فريدريك لوجارد** الذي كان مسؤولا عن غزو **نيجيريا وأوغندا** . وبعد أن حقق هدفه برزت أمامه مشكلة الحكم والإدارة فلم تكن الخزانة البريطانية في لندن على استعداد للإنفاق من الأموال العامة على بيرقراطية ضخمة في إفريقيا ، وهو ما حمل **لوجارد** على الأخذ بنوع من الحكم يكون منخفض التكاليف ، وهو الحكم غير المباشر الذي بمقتضاه أصبحت **سوكوتو** والمناطق المتاخمة لها وحدة استعمارية أطلق عليها **محمية نيجيريا الشمالية** ، وقسمها إلى عدد من الأقاليم يتولى إدارة كل منها مقيم بريطاني ، وقسم الأقاليم بدورها إلى مناطق تخضع كل منها لموظف بريطاني .

ولكي يتجنب البريطانيون أي تغيير في الأوضاع السياسية والاجتماعية ، فقد اعتمدوا بصورة متزايدة على النيجيريين الذين اكتسبوا الثقافة الغربية للقيام بالوظائف الإدارية والكتابية . وقد أدخلت مفاهيم **لوجارد** للحكم غير المباشر بعد ذلك في روديسيا الشمالية (**زامبيا الآن**) **وكينيا** وغيرهما من المستعمرات .

أما الحكم المباشر فقد منحته **شركة جنوب إفريقيا البريطانية** للمستعمرات الواقعة في جنوب إفريقيا ، وذلك وفقاً لدستور الشركة الذي يقضي بإقامة مجالس نيابية على غرار البرلمان البريطاني . وكانت نصوص هذا الدستور تستبعد الإفريقيين من حق الاقتراع لما تتطلبه ممارسته من شروط معينة بالنسبة لمستويات التعليم والملكية بحيث أصبح الحكم في أيدي المقيمين الأوروبيين وحدهم . وقد ساد هذا النمط في **اتحاد جنوب إفريقيا** الذي أنشئ عام ١٩١٠ م ، من **الكاب والترنسفال وناتال ودولة أورانج الحرة** . وقد ارتضت بريطانيا بقيام هذا الاتحاد على أمل أنه سوف يقوي مركزها في جنوب إفريقيا ، ويضمن ولاءها في حالة قيام حرب بينها وبين **ألمانيا** . وفيما بين سنتي ١٩٤٨ - ١٩٦٠ م ، أخذ اتحاد جنوب إفريقيا يبتعد عن بريطانيا شيئاً فشيئاً ، ويكثف سياسته في التمييز العنصري مما أدى إلى تدعيم سيادة العنصر الأبيض على الإفريقيين الأصليين .

وقد ترددت السياسة الفرنسية بين نظريتين **هما الاستيعاب والتجميع** . فعلى أثر **الغزو الفرنسي** لإفريقيا الاستوائية اتجهت القوات الفرنسية إلى الاستقرار وحاولت تطبيق سياسة الاستيعاب أو الاحتواء الثقافية . غير أن هذه السياسة كانت مثاراً لكثير من الانتقادات منها أن فرض الاستيعاب على

جماعات وقبائل ذات ثقافات وخصائص متميزة قد يؤدي إلى التمرد كما حدث في **الهند الصينية** . كذلك فقد تبين أن هذه السياسة باهظة التكاليف وخاصة أن موارد إفريقيا الاستوائية كانت ضعيفة للغاية ، ومن ثم انصرفت فرنسا عن هذه السياسة في مختلف مستعمراتها باستثناء أربع كميونات (**بلديات**) في **السنغال** .

وبعد الحرب العالمية الأولى انتهجت سياسة التجميع والتي بمقتضاها دمجت المستعمرات المختلفة في اتحادين كبيرين . وقيل حينذاك إنه يمكن استيعاب عدد صغير من الكوادر في الثقافة الفرنسية حتى يمكن استخدام هذه الصفوة فيما بعد كحلقة اتصال بين الإدارة الفرنسية والجماهير . غير أن عملية الاستيعاب أو (**الفرنسة**) كانت ناجحة أكثر مما ينبغي بحيث أن هؤلاء الصفوة عندما عادوا إلى إفريقيا عزفوا عن إقامة أي علاقة بينهم وبين الجماهير الريفية ، وفضلوا البقاء في المراكز الحضرية مثل **داكار وأبيدجان وبرازافيل** . ومن الطريف ــ كما يقول المؤلف ــ ان الفرنسيين أنفسهم أصبحوا أداة اتصال بين الحكومة والجماهير على نحو أفضل من الإفريقيين المتطورين أو (**المتفرنسين**) . وبالنسبة لبرنامج التجميع فقد كان الاتحادان الفرنسيان يحكمان بدرجة عالية من المركزية من باريس . فكان كل اتحاد خاضعاً لسيطرة الحاكم العام الذي يوجد تحت إمرته حكام فرنسيون آخرون لمستعمرات الاتحاد ، ثم المناطق التي كانت تنقسم إليها كل من هذه المستعمرات . وقد عمل الفرنسيون على تغيير أنماط السلطات التقليدية ، فلم يكن للرؤساء المحليين الوطنيين أي سلطة كنظرائهم في المستعمرات البريطانية .

وكانت **النظرية الاستعمارية البرتغالية** تشبه إلى حد كبير الفكر الفرنسي الذي يدعو إلى استيعاب الحضارات الإفريقية ، فكان الإفريقيون الذين يثبتون كفاءتهم في اللغة والثقافة البرتغالية يرتفعون إلى مركز المواطن البرتغالي . وقد كان الإداريون البرتغاليون يتمتعون بصلاحيات واسعة في المناطق التابعة لهم بحيث لم يعد للسلطات التقليدية ومؤسساتها أي دور في الحكم . وبعد عام ١٩٢٦ م ، اتجه **سالازار** الدكتاتور البرتغالي إلى وضع المستعمرات تحت السيطرة الاقتصادية والسياسية المباشرة للشبونة مما أدى إلى القضاء نهائياً على اللامركزية والاستقلال المحلي فأصبحت السلطة مركزة في **لشبونة** ، وعلى وجه التحديد في وزارة ما وراء البحار التي كان وزيرها يوجه الحياة السياسية والمالية والإدارية لكل من **أنجولا وموزمبيق** .

أما الحكم الألماني فبالرغم من أنه كان قصير الأمد إلا أنه تميز بالقسوة والوحشية والقتل الجماعي كما حدث في **تمرد هيريرو** (١٩٠٣ ــ ١٩٠٧ م) ، في **توجو وكاميرون** ، **وتمرد ماجي ماجي** (١٩٠٥ ــ ١٩٠٧ م) في **تنجانيقا** . وقد انتهى الحكم الألماني بعد توقيع معاهدة السلام في أعقاب الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٩ م .

وكانت السياسة البلجيكية تمثل نوعاً من التوفيق بين النظريتين البريطانية والبرتغالية . ففي بادئ الأمر كانت **الكونغو** (١٨٨٥ ــ ١٩٠٨ م) تعتبر ملكية شخصية **للملك ليوبولد** على الرغم من أنها كانت تسمى **دولة الكونغو الحرة** إلا أن ذلك كان على سبيل المجاز ، فالواقع أنه لم يكن فيها أي شيء حراً إذ كان أغلبها يدار كالمزرعة الجماعية ، والباقي في قبضة الشركات الاحتكارية ، كما أن العمل كان يفرض قسراً على الوطنيين بحيث إنه كان يبلغ مستوى السخرة .

وفي فترة ما بعد الحرب اتجه البلجيكيون إلى العمل على توفير مستوى لائق من المعيشة لسكان الكونغو استناداً إلى أنه إذا أمكن أن نعطي الإفريقي بصورة أبوية الرعاية الصحية الأساسية والإسكان والتعليم الأولي بما يحقق له إشباع حاجاته فإنه يطالب بتقرير مصيره السياسي .

الآفاق الاقتصادية

تميزت فترة الاستعمار في مجال الزراعة بالانتقال من الهيكل الاقتصادي القائم على إشباع المطالب الأساسية للحياة إلى اقتصاد المحاصيل النقدية الموجهة نحو التصدير . فقد شرع الإفريقيون تدريجياً في زراعة المحاصيل النقدية حتى يتسنى لهم شراء الواردات الأوروبية ، ودفع الضرائب التي كانت تجبيها النظم الاستعمارية نقداً . والمحاصيل النقدية لم تكن تحددها الاحتياجات الغذائية الإفريقية بل كانت تتحدد وفقاً لاحتياجات المستهلكين الأوروبيين . ومثال ذلك أن الفلاحين في كل من **السنغال وجامبيا** اتجهوا إلى التركيز على زراعة **الفول السوداني** مما أدى إلى تدهور إنتاج الأرز الذي يعتبر غذاءهم التقليدي ، وأصبح من المتعين استيراده من **الهند الصينية الفرنسية** . وبالمثل حولت **أسانتي** رقعتها الزراعية إلى مزارع للكاكاو ولمواجهة مطالب المستهلك البريطاني من (الشوكولاته) . ومع بداية الحرب العالمية الأولى كانت كل مستعمرة قد اشتهرت بتصدير محصول أو محاصيل معينة إلى أوروبا : **السنغال وجامبيا** الفول السوداني ، **ساحل العاج** البن والأخشاب ، **ساحل الذهب** الكاكاو ، **نيجيريا** زيوت النخيل والفول السوداني والكاكاو ، **ليبيريا** المطاط ، **أوغندا** البن والقطن . وقد ازداد إنتاج المحاصيل الغذائية للاستهلاك المحلي نتيجة لاستخدام الأسمدة والمبيدات الحشرية والبذور الجيدة ، غير أن هذه الزيادة لم تتواءم مع النمو السكاني المتزايد مما ترتب عليه ارتفاع الأسعار بمعدل يفوق الزيادة في الدخول .

ولمواجهة زيادة الطلب على المنتجات الإفريقية ، دخلت الشركات الزراعية الأجنبية كمنافس للفلاح . **في ليبيريا** أقامت **شركة فايرستون الأميركية** مزارع ضخمة للمطاط في أواخر العشرينات ، كما ظهرت مزارع أخرى للمطاط **في توجو والكاميرون والكونغو** ، وكذلك مزارع للأخشاب **في ساحل العاج** ، والفول السوداني **في السنغال** ، كما أنشأت **شركة بروك بوند البريطانية في كينيا** مزارع هائلة للشاي ، ومثلها مزارع **في موزمبيق** للقطن وقصب السكر ، **وفي أنجولا** مزارع البن ... وبصفة عامة فقد حدث في مجال الإنتاج الزراعي خلال نصف القرن من عهد الاستعمار ثورة لم تشهد إفريقيا مثيلاً لها من قبل .

وقد تطورت إمكانات إفريقيا تطوراً هائلاً بالنسبة للصناعات الاستخراجية



عندما انتقلت إليها **التكنولوجيا الحديثة** التي ضاعفت من قدرات المهندسين على التنقيب والبحث عن المعادن واستخراجها . وكان الجانب الأكبر من الصناعات التعدينية مركزاً في **إفريقيا الوسطى والجنوبية** وبصفة خاصة في **الكونغو وأنجولا وروديسيا الشمالية وجنوب إفريقيا** . كما ازدهرت صناعة استخراج الذهب في ساحل الذهب في **غرب إفريقيا البريطانية** والفحم والقصدير في **نيجيريا** .

وعلى الرغم من تطور الزراعة والتعدين إلا أن ذلك لم يؤد إلى نمو قطاع الصناعة ، وهو ما يرجع إلى حرص الاستعمار على تصنيع المنتجات الخام في أوروبا لزيادة النشاط الاقتصادي ، ورفع مستوى العمالة في البلاد الأوروبية .

أنماط الثقافة

كان لانتشار **الإسلام والمسيحية** أثر كبير على الديانات الإفريقية وخاصة فيما يتعلق بالقضاء على كثير من المعتقدات التقليدية .

وقد أبرز المؤلف دور الإرساليات التبشيرية في نشر المسيحية خلال العصر الاستعماري ، غير أنها رغم جهودها ــ كما يقول ــ **لم يكن في مقدورها تحويل معظم الإفريقيين بل وأكثرهم حماساً للمسيحية عن المعتقدات والممارسات الدينية التقليدية تماماً** . فقد عمد الإفريقيون إلى توطين المسيحية أو وضعها في قالب إفريقي ، وذلك بمزجها بالمعتقدات والممارسات الدينية التقليدية .

أما بالنسبة **للإسلام** فيقول المؤلف إنه من الغريب أن الاستعمار عجل من انتشاره ، ففيما بين عامي ١٩٠٠ ــ ١٩٦٠م ، تضاعف عدد المسلمين وهو ما يعني أن الإفريقيين الذين اعتنقوا الإسلام يزيد عددهم كثيراً عن من تحولوا إلى الدين المسيحي . ويعلل ذلك بأن الحكم الاستعماري قضى على الحروب والصراعات الداخلية والعرقية وبدأت البلاد مرحلة من السلام لم يسبق لها مثيل الأمر الذي مكن التجار المسلمين وعلماء المسلمين من التغلغل على نطاق أوسع في مختلف المناطق .

ويضيف إلى ذلك أن الإسلام كان يتمتع ببعض المزايا على المسيحية التي كانت تفرضها الإرساليات التبشيرية قسراً . فأولا كان الإسلام ينظر إليه على أنه دين لا علاقة له بالاستعمار الأوروبي ، إذ كان دعاته إفريقيين في حين كانت الإرساليات المسيحية إما أوروبية أو أمريكية ، وثانياً أن المسلمين كانوا يميلون إلى الاختلاط بالناس اقتصادياً واجتماعياً ، بينما كان المسيحيون يعيشون بادئ الأمر في مناطق منفصلة ولهم طرائقهم الأوروبية الخاصة التي يتبعونها في حياتهم ، وثالثاً أن الإسلام أكثر توافقاً مع المؤسسات الدينية والاجتماعية التقليدية وخاصة فيما يتعلق بتعدد الزوجات والانتماء السياسي القائم على العقيدة الدينية والتركيز على التماسك والتكافل الاجتماعي دون المنافسة والفردية .

وعندما ينتقل المؤلف بعد ذلك إلى الكلام عن **الفن الإفريقي** في هذه الفترة يقول : إن انتشار **الإسلام** أدى إلى التقليل من شأن كثير من الفنون التشكيلية لأن المسلمين يعارضون صناعة الصور المجسمة والتماثيل . كما أن **المبشرين المسيحيين** كانوا ينظرون إلى الأقنعة والنحت الإفريقي على أنها رمز للبدائية والخرافة والوثنية . ومن ثم فقد حطمت كثير من التماثيل في حين نقل البعض الآخر منها إلى أوروبا حيث أقبل على ابتياعها هواة جمع التحف الفنية ، وهؤلاء بدورهم كانوا يهدونها في بعض الحالات للمتاحف . **وهكذا وجدت كثير من القطع الفنية التي صنعت في منطقة الكونغو طريقها إلى المتحف الملكي للكونغو البلجيكية في ترفورن ببلجيكا ، كما نقلت كميات من فنون غرب إفريقيا إلى المتحف البريطاني في لندن ، ومتحف بت ريفرز في جامعة أكسفورد ، ومتحف الإنسان في باريس ، ومتحف الأنواع البشرية في برلين .**

وقد تأثرت **الموسيقى التقليدية** كذلك نتيجة لانتشار الثقافة الغربية . فمنذ بداية القرن بدأ الإفريقيون في تجريب **الآلات الموسيقية النحاسية** التي كانت تستخدمها الوحدات العسكرية والشرطة الاستعمارية وشرعوا في تأليف متنوعاتهم الموسيقية على غرار الأنغام الأوروبية . وأصبحت الموسيقى الشعبية تمثل مزيجاً من موسيقى الجيش الاستعماري والترانيم المسيحية وموسيقى الرقص التقليدي ، وفي نفس الوقت أخذت موسيقى الطبول تفقد أهميتها عندما أصبح الترمبون والجيتار آلات شعبية في الأوركسترات الراقصة ، بعد أن انتقلت إلى إفريقيا من أمريكا اللاتينية في صحبة المجندين السود الأمريكيين خلال سنوات الحرب العالمية الثانية .

وقد لعب الأدب الإفريقي خلال هذه الفترة دور الاحتجاج ضد المستعمرين . ففي الممتلكات البرتغالية نشأت حركة أدبية عام ١٩٢٦م ، في **جزر الرأس الأخضر** حيث نشرت **مجلة كلاريداد** التي كانت تضم أعمالا شعرية تندد بالاستعمار ، ثم انتقلت هذه الحركة إلى **أنجولا** تحت تأثير **أجستيو نيتو** وهو شاعر وطبيب وقائد لحرب العصابات ، وأصبح في عام ١٩٧٥م ، **أول رئيس لأنجولا المستقلة** . أما الأدب الإفريقي الفرنسي فيرجع ظهوره إلى عام ١٩٢٠م ، بصدور **المجلة الإفريقية** المعروفة حتى اليوم ، كما ظهر نوع من **الأدب الزنجي** لمناهضة سياسة الاستيعاب الفرنسية . ومن أهم مؤسسي هذه الحركة الأدبية **ليوبولد سينجور** الذي يعد أشد الإفريقيين استيعاباً للثقافة الفرنسية . **غير أن العيب الأساسي في سياسة الاستيعاب الفرنسية هو أنها دفعت كل من تشبع بالثقافة الفرنسية إلى الشعور بذاتيته السوداء ، والحاجة إلى الإبقاء على الذاتية الثقافية الإفريقية أو الزنجية في مواجهة التدخل الفرنسي المعتدي** . وهذا ما أبرزه **سينجور** في كتابه «**باريس في الجليد**» حيث يتحدث عن محاولات الأوروبيين للقضاء على الحضارة الإفريقية . وفي كتابه «**لوكسمبورج**» (١٩٣٩م) كشف عن علاقات الحب والكراهية إزاء الحضارة الفرنسية . ومن ناحية أخرى ، فقد أثر الأدب الزنجي في الفرنسيين فيقول **جان بول سارتر** في كتابه «**أورفي الأسود**» إن الشعر الإفريقي هو بلا منازع الشعر الثوري الحقيقي في عصرنا الحاضر .

ويعرض المؤلف بإفاضة لكثير من أعلام الأدب الإفريقي الذين ذاعت شهرتهم في كل من الأدب الإنجليزي والفرنسي لأن المؤلفين الإفريقيين ــ كما يقول ــ كانوا يوجهون أدبهم إلى القارئ الأوروبي دون محاولة منهم إلى استمالة الإفريقيين وهو ما يرجع إلى أن قليلاً من الإفريقيين من يستطيعون شراء مؤلفاتهم أو من يكونون قد اكتسبوا القدرة على تذوق الأدب المكتوب .

القسم الثالث : عصر الاستقلال

لقد كان العقد الذي بدأ بعام ١٩٥٧ م ، عقد استقلال إفريقيا السوداء . ففي مارس (آذار) سنة ١٩٥٧ م ، استقلت كل من **ساحل الذهب وتوجولاند** فيما يعرف **بدولة غانا** التي تعد أول دولة تحصل على استقلالها في القرن العشرين ؛ وكان نجاحها تحت رئاسة **كوامي نكروما** مصدر إلهام لكثير من الحركات الاستقلالية . فقد تبع ذلك استقلال **نيجيريا والصومال** سنة ١٩٦٠ م ، ثم **زنجبار** سنة ١٩٦٣ م ، وتوحدت مع **تنجانيقا** في السنة التالية لتكوين **جمهورية تنزانيا المتحدة** برئاسة **جوليوس نيريري** . واستقلت **أوغندا** عام ١٩٦٢ م ، ثم **كينيا** في السنة التالية . كما حدثت عمليات مشابهة في الأقاليم الفرنسية على أثر الاستفتاء الذي أجراه **ديجول** عام ١٩٥٨ م ، وكانت **غينيا** أول دولة تجرؤ على اختيار الاستقلال الكامل عن الاتحاد الفرنسي ، وأعقبتها **ساحل العاج ، والسنغال ومالي ، وفولتا العليا ، والنيجر ، وداهومي ، وتوجو ، وجمهورية إفريقيا الوسطى ، وتشاد ، والكونغو ، وجابون** . وشهد عام ١٩٦٠ م ، استقلال **الكونغو ، ورواندا ، وبوروندي** ، وفي أواخر عام ١٩٦٤ م ، استقلت كل من **زامبيا ، ومالاوي** ، وبعد ذلك بعامين **بتسوانا ، وسوازيلاند** . وقد كانت **البرتغال** أكثر الدول تمسكاً بسياستها الاستعمارية الأمر الذي حدا **بغينيا بيساو** إلى إعلان الاستقلال من طرف واحد في عام ١٩٧٣ م ، أما **موزمبيق ، وأنجولا** ، فلم تحصلا على استقلالهما إلا في عام ١٩٧٥ م ، بعد خوض حرب العصابات وعلى أثر التغير الثوري لنظام الحكم في برشلونة . وفي عام ١٩٧٦ م ، انسحبت القوات الإسبانية من مستعمرة الصحراء الغربية . وفي أواخر عام ١٩٧٧ م ، ــ أي بعد عقدين من استقلال غانا ــ كانت كل إفريقيا السوداء قد استعادت استقلالها باستثناء **ناميبيا** ، كما برزت في عام ١٩٧٨ م ، مشكلة **زمبابوي** وجبهتها القومية التي تواصل النضال من أجل الاستقلال .

والسؤال الذي يثور بعد هذا العرض لحركات الاستقلال هو : **لماذا نقلت الدول الاستعمارية السلطة السياسية بعد الحرب العالمية الثانية إلى الإفريقيين ؟** وتتمثل الإجابة على هذا السؤال جزئياً في نمو القومية الإفريقية نمواً سريعاً بعد الحرب ، وانتقال الحركة القومية من مستوى الصفوة إلى المستوى الشعبي . فقد حقق القوميون الإفريقيون استقلالهم ــ **باستثناء حالات قليلة** ــ دون اللجوء إلى العنف أو حرب العصابات وهو ما يعني أن قوة القومية لم تساندها ماسورة البندقية ، لكنها استمدت طاقتها من المظاهرات والإضرابات والمقاطعات التي تبعتها مساومات دبلوماسية بارعة . وسرعان ما أذعن **البريطانيون والفرنسيون والبلجيكيون** ، فقد أدركوا أنه لم يعد في مقدورهم الاحتفاظ بإمبراطورياتهم الاستعمارية والإنفاق عليها بعد أن أضعفت الحرب العالمية الثانية اقتصادياتهم الداخلية .

ويعود الكاتب بعد ذلك إلى تناول ظاهرة القومية الإفريقية التي كانت بمثابة القوة المحركة للاستقلال ، ودورها في تأسيس منظمة الوحدة الإفريقية ، إلى جانب حركة الوحدة الإفريقية التي ازدهرت أساساً خارج إفريقيا ذاتها . وقد أصبحت المنظمة في منتصف عام ١٩٧٧ م ، تضم تسعاً وأربعين دولة يتراوح حجم سكانها بين (٢٢٠٠٠٠) في **جيبوتي** وأكثر من (٧٤) مليوناً في **نيجيريا** وتمثل أكثر من (٣٥٠) مليوناً من الناس ذوي الانتماءات التاريخية والثقافية واللغوية والسياسية المتنوعة .

والعقبة الرئيسية التي تحول دون تحقيق الوحدة الإفريقية هي الاختلاف الشديد بين الدول من حيث العقائد السياسية والأبنية الحكومية . فقد أورثت **فرنسا** البلاد التي كانت تستعمرها نمط المركزية البيرقراطية القوية ، في حين أن الدول التي كانت خاضعة **للاستعمار البريطاني** حاكت النموذج البرلماني في **وستمنستر** ، وإن كان ذلك بصورة مغايرة لهذا النموذج بدرجات متفاوتة . ويميل زعماء الحكومات في الدول الناطقة بالفرنسية إلى توثيق صلاتهم **بفرنسا** ، بينما يتجه نظراؤهم في البلاد الناطقة بالإنجليزية إلى زيادة تقاربهم **ببريطانيا** . وفي نفس الوقت أخذ الحكم العسكري في الانتشار بدرجة ملحوظة . ففي عام ١٩٧٦ م ، كانت عشرون دولة من بين إحدى وأربعين دولة في القارة تحكمها عناصر عسكرية ، كما أنه **في أقل من عقد من الزمان شهدت إفريقيا ثلاثة وثلاثين انقلاباً عسكرياً** ، ثمانية منها في داهومي (بينين الآن) وحدها .

الآفاق الاقتصادية

ظلت الزراعة في عصر الاستقلال تمثل القطاع الرئيسي لاقتصاديات إفريقيا . وعلى الرغم من الزيادة المضطردة في حجم الإنتاج الزراعي إلا أن إنتاج الطعام من أجل الاستهلاك المحلي لا يكفي لسد الحاجات الضرورية ، ولا أدل على ذلك من أنه في عام ١٩٧٧ م ، كان يوجد في إفريقيا ثمان عشرة دولة من بين أفقر تسع وعشرين دولة في العالم . **ويرجع ذلك بصفة خاصة إلى أن الزيادة في إنتاج الطعام لا تفي بحاجات الأعداد المتزايدة من السكان . فإذا أخذنا في الاعتبار المعدلات الحالية للنمو السكاني فإن دولة مثل نيجيريا سوف يتضاعف عدد سكانها خلال ربع القرن ، ومع ذلك فإن الإنتاج الزراعي لا يتزايد في هذه البلاد إلا بمعدل ٢ ٪ سنوياً** .

ومن الغريب أن إفريقيا تمتلك من الموارد ما لا يكفي لإطعام سكانها



فحسب بل لتصبح مصدرة للعالم . ففي **نيجيريا وزائير** مثلاً كان حوالي ٨٠ ٪ من مجموع الأراضي القابلة للزراعة غير مستغل في سنة ١٩٧٦ م ، بسبب نقص الخبرة ، وعدم توافر الإمكانات الأخرى اللازمة لزيادة الرقعة الزراعية . ويؤكد كثير من علماء الزراعة أن إفريقيا تحتوي على أعلى نسبة من المساحة القابلة للزراعة في المعمورة ، فضلاً عما يوجد فيها من نظم الأنهار لتوليد الطاقة الكهربائية وتوفير مياه الري .

وقد توسعت معظم الدول الإفريقية في التعدين والصناعة بدرجة كبيرة خلال عصر الاستقلال ، وانكمش اعتمادها على الدول المتقدمة بالنسبة للسلع المصنوعة . بل إن الدول الصناعية أصبحت أكثر اعتماداً على إفريقيا بالنسبة للموارد المعدنية . ففي عام ١٩٧٦ م ، كان أكثر من ٣٠ ٪ من واردات **الولايات المتحدة** من الكروم والماس والنفط والزئبق والمنجنيز والكوبالت من إفريقيا . وهذا الاعتماد المتزايد على إفريقيا هو الذي حفز الشركات المتعددة الجنسية ومعظمها **أمريكية وبريطانية وألمانية غربية ويابانية** على التغلغل في الأسواق الإفريقية والإقبال على استثمار كثير من رؤوس الأموال في المشروعات الصناعية والتعدين . على أن هذا الوجود المتزايد للشركات المتعددة الجنسية أيقظ في الإفريقيين الشعور بالحاجة إلى حماية المشروعات المحلية من المنافسة الأجنبية وهو ما يفسر البدء في عمليات أفرقة الاقتصاد والشروع في تنفيذ مشروعات التنمية الطموح . وقد سارت الأمور في هذا الاتجاه سيراً حسناً حتى عام ١٩٧٣ م ، عندما أدى الارتفاع المفاجئ في أسعار النفط بهذه الدول إلى مراجعة خططها الاقتصادية .

وعلاجاً لهذا الموقف اتجهت كثير من الأجهزة العربية ابتداء من عام ١٩٧٧ م ، إلى تقديم المساعدات لهذه الدول ومن أهمها **صندوق المعونة البترولية العربي الإفريقي ، وصندوق القروض العربية لإفريقيا ، والبنك العربي للتنمية الصناعية والزراعية في إفريقيا ، وشركة الاستثمار العربي ، وصندوق الكويت** . وكان ذلك التعاون بداية لاستئناف العرب علاقاتهم الاقتصادية مع إفريقيا ، فقبل العصر الاستعماري كان عرب شمال إفريقيا والخليج العربي هم التجار الرئيسيون في إفريقيا السوداء .

أنماط الثقافة

تميزت فترة الاستقلال في مجال التغير الثقافي بتواصل النمو السريع للإسلام . ففي مقابل كل فرد يتحول إلى المسيحية كان تسعة أفراد يعتنقون الإسلام . ودلت الإحصائيات في عام ١٩٧٧ م ، على وجود (١٠٩) ملايين مسلم مقابل (٩٨) مليون مسيحي في القارة . وكانت نسبة المسلمين إلى مجموع السكان في نفس السنة تتفاوت من دولة إلى أخرى تفاوتاً يبدأ بنسبة ٩١ ٪ مسلمين مقابل ١ ٪ مسيحيين في مالي ، إلى ٢ ٪ مسلمين مقابل ٧٣ ٪ مسيحيين في جنوب إفريقيا . وفي **السنغال ، ومالي ، وجامبيا ، والنيجر ، وتشاد ، والصومال** ، يشكل المسلمون أغلبية السكان بينما يكونون أقلية مؤثرة (٢٥ ـ ٤٧ ٪) في **نيجيريا ، وغانا ، وكاميرون ، وسيراليون ، وفولتا العليا ، وجمهورية إفريقيا الوسطى ، وتانزانيا** . وبعد عام ١٩٧٣ م ، بدأ المسلمون يؤثرون تأثيراً كبيراً على سياسة إفريقيا الخارجية ، وذلك بتوجيهها بعيداً عن إسرائيل ، وتعزيز أواصر التقارب مع الشرق الأوسط الغني بالنفط؛ وهذا ما يفسر قيام علاقات دبلوماسية قوية من جانب كثير من الدول الإفريقية مثل **أوغندا ، والجابون** ، مع بلدان الشرق الأوسط . وبعد أن اعتنق **عمر بونجو** رئيس الجابون الإسلام في عام ١٩٧٣ م ، أصبحت بلاده مستقبلاً رئيسياً للمعونة العربية . **وفي سنة ١٩٧٧ م ، قدمت المملكة العربية السعودية معونات مالية لكل من أوغندا والنيجر لإقامة جامعات وطنية للمسلمين في هذه البلاد .**

وينتقل المؤلف من الكلام عن هذا الجانب من جوانب الثقافة إلى تناول **النهضة الفنية** فيقول : إن الثقافة الإفريقية دخلت منذ الاستقلال عصر النهضة أو الإحياء . فلئن كانت المؤثرات الخارجية من شمال إفريقيا المسلم والشرق الأوسط والهند وأوروبا قد ساعدت منذ عدة قرون على تشكيل الفن الإفريقي **إلا أن أشكالا جديدة من الفنون الوطنية أخذت تزدهر في كثير من أرجاء القارة في مجالات الفن التشكيلي ، والموسيقى ، والدراما ، والمسرح ، وصناعة السينما ، وتعتمد في أغلبها على الأساطير القديمة والتاريخ الإفريقي ، كما تبرز فيها الأفكار التي تندد بالاضطهاد والتفرقة العنصرية .**

وبصفة عامة ، فقد أخذت الثقافة الإفريقية تنمو داخل إطار الثقافة العالمية . وإذا كانت التقاليد القديمة ما زالت تنبض بالحياة في الثقافة الجديدة وتثريها فإنها بذلك تؤكد عنصر الاستمرارية . وإلى جانب هذا التفاعل بين القديم والحديث ظهر نوع من الترابط الوثيق بين الثقافتين الإفريقية والإفروأمريكية بصورة واضحة خلال مهرجانين ثقافيين عالميين أحرزا نجاحاً منقطع النظير وهما : **المهرجان الأول للفنون الزنجية الذي عقد في داكار سنة ١٩٦٦ م ، والمهرجان الثاني العالمي الزنجي والإفريقي للفنون والثقافة الذي استضافته نيجيريا في عام ١٩٧٧ م** ، وخلال سنوات قليلة خطت إفريقيا خطوات فعالة في إقامة جسور التقارب والتعاون بين المهارات الفنية للزنوج داخل القارة وخارجها في المنفى .

لقد أحرزت إفريقيا تقدماً وتجديداً في مجال الثقافة ما لم تحققه على أي مستوى آخر . ففي مجال الثقافة ما زالت إفريقيا إفريقية بصورة خالصة وفريدة ، وإذا كان الإفريقيون قد وجدوا صعوبة في تحقيق الوحدة السياسية كما لم يظهر بعد نظام سياسي أو اقتصادي إفريقي بصورة خالصة فإنه من المحقق أن النجاح الهائل للثقافة الإفريقية لا بد أنه سوف يكون مفيداً كمصدر إلهام للمفكرين السياسيين والاجتماعيين والاقتصاديين في هذه المجالات .




عيد مبارك



★ يوهان فولفجانج فون جيته في السابعة والثلاثين من عمره، لوحة رسمها له الرسام الأمريكي آندي وارهـــــول ★



●● ديوان الشاعر عندنا هو ما بقي وجمع من شعره. وهو في الغالب جزء من هذا الشعر. أما حياته وظروفها وما خاض من تجارب وما عرف من ناس وما جرى له معهم فما أقل ما نعرف منه.

وأما حياة نفسه: عواطفه ومشاعره نحو الحياة والناس. وعواطف الناس نحوه فلا نعرف عنه في العادة إلا القليل.

أما أهل الغرب فديوان الشاعر عندهم هو شعره وكتاباته وحياته وتجاربه وما مر به من أحداث وأثر ذلك كله في نفسه. والفرق عظيم.

هم يغرفون من بحر ونحن نأخذ من وشك.

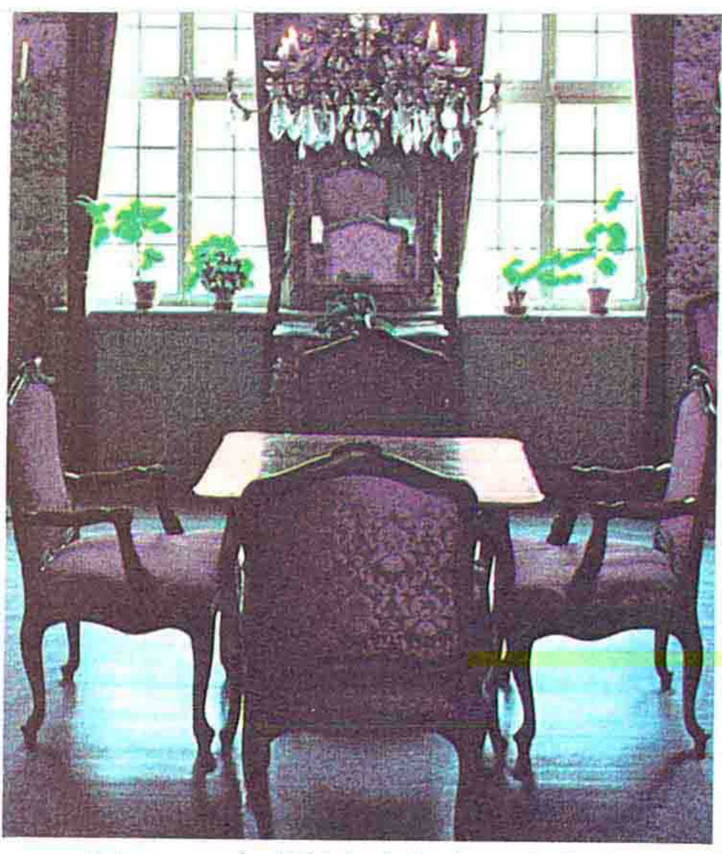
هنا نقدم صورة من الديوان الكامل لأكبر شعراء الغرب يوهان فولفجانج جيته: أشعاره وكتاباته وحياته وأصحابه ونسائه وصور حية من حياته.

وهذا في رأينا هو الديوان الكامل للشاعر.

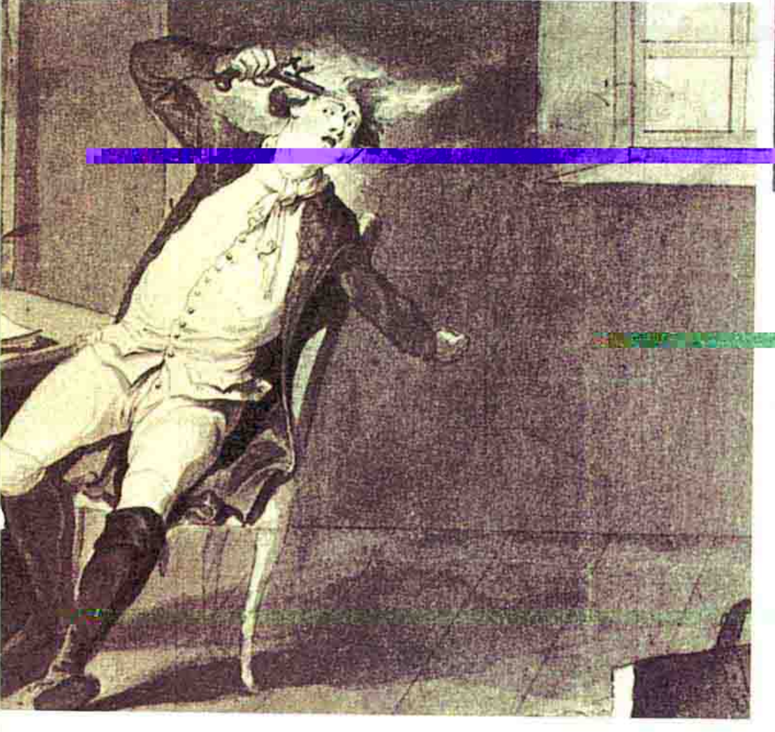
بقلم:
د. حسين مؤنس



★ المنزل الذي ولد فيه جيته . اسمه دار القيثارات الثلاث . إنه متحف قومي منذ سنة ١٩٥١م ★



★ صورة من البيت الذي ولد فيه جيته في ٢٨ أغسطس (آب) ١٧٤٩م ، في حي جروسن هيرشبخراين في فرانكفورت ★

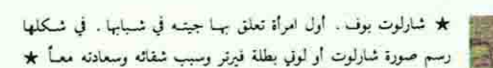


لكل شاعر أو كاتب لغته : أسلوبه ونوع موضوعاته وطعم كلامه ووقع عباراته في السمع والقلب والذهن وذوقه في اختيار ألفاظه بحيث أن العارف بالشعر المتمرس بأساليبه الدارس لمناهج أهله يعرف الشاعر من شعره لأول أبيات يقرأها له . وبين شيوخ الأدب عندنا من يعرفون أبا تمام أو المتنبي أو أبا العلاء أو شوقي من بيت واحد من شعرهم يقرأونه . أما جيته[1] فيختلف عن الشعراء جميعاً بأنه صاحب أساليب شتى لا أسلوب واحد ، وطارق لكل الموضوعات دون استثناء على نفس المستوى من التجويد ، وكلامه ذو طعوم وأجراس شتى في النظم والنثر على سواء .

وفي حياته مراحل شتى تطور فيها أسلوبه وطريقة كلامه ، وفي العادة ينتقل الشاعر من طور من أطوار إبداعه إلى طور آخر ولا يعود إليه ، أما جيته فقد احتفظ بمراحله جميعاً ، فله في شبابه أشعار لها مذاق أشعار شيخوخته ، وكتب في شيخوخته مقطعات غنائية تعود بنا إلى طور شبابه ، وقد قرر هذا كل من تخصصوا فيه وكتبوا عنه وأكبرهم في أيامنا هذه الأستاذ إميل شتايجر **Emil Steiger** وهو أستاذ سويسري في الأدب الألماني متخصص في جيته ،وله فيه كتاب من ثلاثة مجلدات ، وهو يقول بعد أن يعدد مراحل تطور جيته واختلاف أساليبه إن الجامع الأكبر بين كلام الرجل في أي طور من أطوار إنتاجه ، وأي موضوع من الموضوعات التي طرقها هي الجودة التي لا نظير لها ، فلم يكتب شاعر أو ناثر ألماني شيئاً في جودة كلام جيته واتقانه ودقته وانسيابه وارتفاع معانيه وحسن موقعه في السمع والعقل والقلب جميعاً . وفي هذا لا خلاف بين نقاد الأدب ومؤرخيه في الغرب أجمعين .

★ صورة تعبر عن شعور وصفه جيته في قوله : «لتكن سعادتي الوحيدة في هذا الوجود هو أن المسك وأحس بك أيتها الطبيعة ★

إن نفس الإنسان
شبيهة بالماء
فهي تأتي من السماء
وإلى السماء تصعد
وإلى الأرض هي
في تغير لا تنتهي
يا نفس الإنسان
ما أشبهك بالماء
ويا قدر الإنسان
ما أشبهك بالرياح



★ شارلوت بوف . أول امرأة تعلق بها جيته في شبابها . في شكلها رسم صورة شارلوت أو لوتي بطلة فيرتر وسبب شقائه وسعادته معاً ★



★ لوحة رسمها رسام معاصر لانتحار فيرتر بطل رواية جيته الأولى التي أخذت العالم الأوروبي بعاصفة ★



رابع أربعة

فأشعار جيته في شبابه الباكر رقيقة المبنى رشيقة المعنى ، وأشعاره عند اكتمال نضجه رصينة مكتملة الصياغة وازنة العيار ، وأنت عندما تقرأ هذه وتلك تحس دائماً أن قائل هذه وتلك لا يكون إلا **يوهان فولفجانج جيته** الذي يعدونه لهذا رابع أربعة هم عند أهل الغرب أساطين الأدب على مر العصور . وهم **دانتي الليجيري وميجيل تريانتس سابدرا ووليام شكسبير ويوهان فولفجانج جيته هذا ، إن كلا منهم أنشأ أدباً رفيعاً سوياً من مداخل شبابه إلى أفول شمس حياته ، وكل منهم مر بأطوار في حياته وأدوار لكل منها خصائصه وسماته ، ولكن الخصائص المميزة لكل منهم ظاهرة واضحة في كل مرحلة وفي كل ضرب من ضروب الإنشاء الفني ، فشكسبير هو هو في سونيتاته الرقيقة وفي مناجياته الطويلة البالغة العمق في هامليت وماكبث والملك لير وعطيل ، وكذلك دانتي في غزلياته لا يختلف في كثير عن دانتي في أي جزء من أجزاء الكوميديا الإلهية ، وكذلك الحال مع تريانتس وجيته . والأديب العربي الذي لم يقرأ إلا الأدب العربي لا يدرك تمام الإدراك أهمية هذا الكلام . لأننا في تاريخنا الأدبي لا نعرف الشاعر أو الناثر إلا في اكتماله ونضجه ، فليس لدينا إلا بحتري** واحد **وأبو تمام** واحد ، وأنت مهما تدرس شعر **المتنبي** فإنك لا تجد مراحل أو أدواراً ، لأن الرواة عندما حفظوا لنا شعر الشعراء ونقلوه إلى من دونوه لم يحتفظوا إلا بأجوده وأسقطوا ما عدا ذلك ، ومن الرواة من كان هو نفسه شاعراً فسوَّى شعر صاحبه ، وأكمل المدونون ذلك العمل فأتقنوا وزن الأشعار وغيروا وبدعوا في ألفاظها بل في معانيها حتى يبدو شاعرهم في أكمل صورة في كل بيت أثبتوه ، فضيعوا علينا بذلك فرصة التعرف على مراحل تطور الشاعر واكتمال نمو شاعريته الداخلي والخارجي ، وما دخل على نظرته للحياة وحساسيته الشاعرية من تطور على السنين ، فضيعوا علينا بذلك متعة من أجمل متع الدراسة الأدبية ، وهي متعة دراسة تاريخ شاعرية الشاعر ، أو ملكة الناثر ، وما كان بينه وبين نفسه ، وبينه وبين ظروف حياته ومعاصريه ما بين أصدقاء وخصوم من أخذ وعطاء وشد وجذب وتأثير وتأثر .

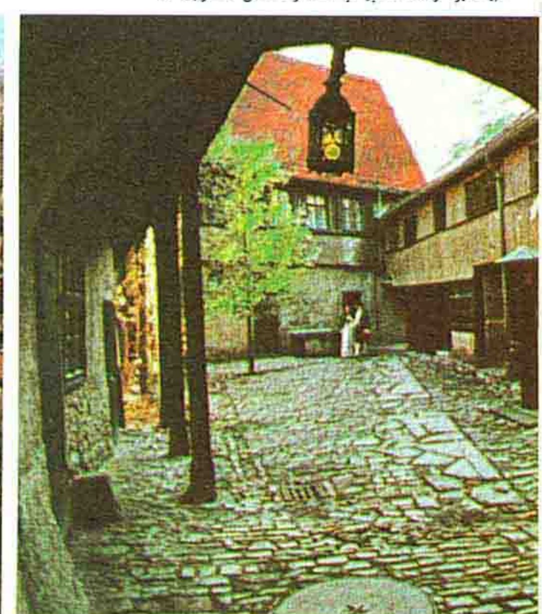
★ فريديركه بريون: عرفها وأحبها في شتراسبورج ★



★ ليلي شيمان: خطبها ولم يتزوجها ★



★ منزل تقليدي من منازل ڤايمار أيام جيته. مثل ذلك البيت يرد وصفه كثيراً في مذكراته من جرثين ★



★ مدينة ڤايمار حيث قضى جيته معظم سنوات عمره ★

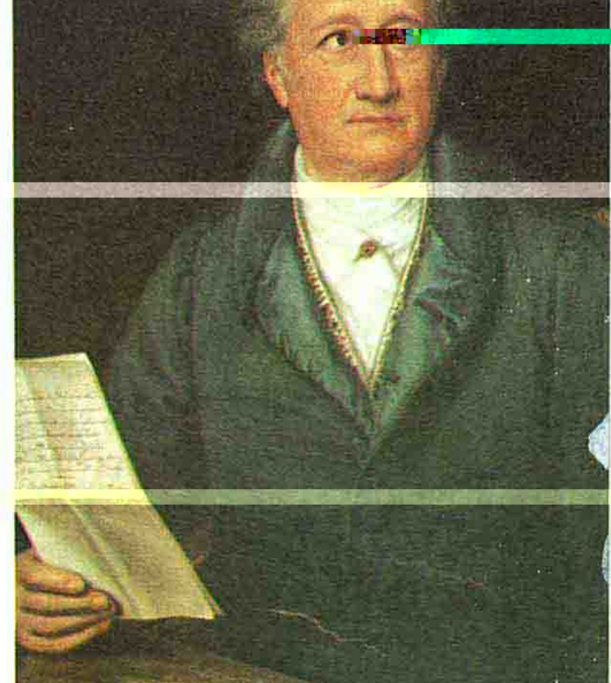




الدراسات الأدبية عند العرب وفي الغرب

وهذه كلها نجدها في الدراسات الأدبية في الغرب عند كل شاعر وكاتب، ولهذا تعددت الدراسات الأدبية هناك وتنوعت، واكتسبت ثوباً إنسانياً لأنه يربط الأديب بعصره وظروفه، ويربط الأدب كله بالحياة. فبينما يدرسون هناك الشاعر من خلال أشعاره ويدرسون العصر من خلال شعرائه وكتّابه، أما أديبنا العربي فهو يُدْرَس في الغالب منفصلاً عن عصره وزمانه فيما عدا روابط المناسبات من مثل مدحه لرجل بعينه أو رثائه لإنسان عزيز عليه، أو ما عسى أن يكون قد وقع بينه وبين غيره من نقائض ومطارحات، فالشاعر عندنا متصل بزمانه ولكن شعره منفصل عن هذا الزمان، ويزيد في هذه الصعوبة أن شعراءنا بعد **العصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام** أصبحوا يأخذون مادة شعرهم بل لغته من مادة غير واقعية، وألفاظ لا معنى لها خارج الشعر مثل الورى والفرقدين والأطلال والديار والحدثان والعسجد واللجين والساجري والمهند والظبا والظباء والمها والريم والقاع وما إلى ذلك، ومن هنا زاد انفصال الشاعر عن بقية البشر حتى أصبح من العسير أن تؤرخ للشاعر عن طريق ديوانه، ولم يوفق في ذلك المطلب فيما أعرف إلا رجلان في تاريخنا الأدبي وكلاهما من أهل عصرنا هذا، الأول هو **عباس محمود العقاد** في كتابه عن **ابن الرومي** وحياته من شعره، والثاني **محمود شاكر** في كتابه عن **المتنبي**، والكتابان — هذا — من غرر الإنشاء في تاريخ الدراسات الأدبية عندنا.

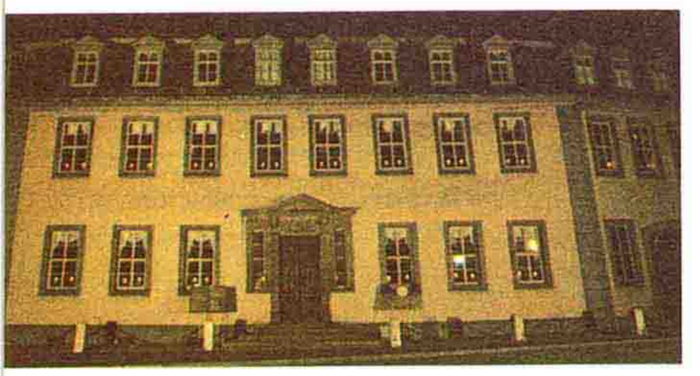
والدراسات الأدبية التي أنشأها وينشئها أهل الغرب عن يوهان ڤولفجانج جيته توضح ما أريد قوله بأجلى بيان، فعندنا أشعار الرجل كلها على مدى ستين عاماً ونيِّف من الشاعرية، وبين أيدينا أغاني صباه ومقطعات شبابه وقصائد كهولته وشيخوخته، بل لدينا للقصيدة الواحدة — أحياناً — صياغة شباب وإعادة صياغة في الكهولة، لأن جيته نفسه كان يدرك حقيقة تطوره الفني وأهميتها، فهو يؤرخ لكل قطعة يقولها باليوم والشهر والسنة في أحيان كثيرة، بل لدينا أكثر من صياغة لفاوست، وأكثر من صورة لبعض قطع هذه المسرحية العظيمة، وأوراق الرجل قد جمعت واحتفظ بها، وفيها نقرأ الكثير جداً من أوصاف مشاعره وخلجات نفسه، ومن خلالها ندخل بين الرجل وشعره، ونعرف أحوال نفسه وما تقلب عليها من مسرات وآلام وشكوك ومصاعب، وهذا كله يزيد في متعتنا عندما ندرس حياة هذا الرجل وأي شيء من شعره، فنحن دائماً في الأعماق لا على السطوح كما هو حالنا مع أديبنا العربي المظلوم، فهنا ونحن ندرس جيته أو شيللر أو هوجو ڤون هوفمانزتال أو نوفاليس أو هاينريش هاينى نحن منه نستمتع بالإنسان وإنتاجه الأدبي معاً، وحياة الشاعر تزيد متعة شعره أو أشعاره تُجَلّي صورة حياته ونفسه، وربما كان جيته هو المثال الأكبر لهذه الظاهرة في الأدب العالمي، فها هنا شاعر بمعنى الكلمة: إنسان يرى الحياة شعراً ويحس بها شعراً ويعبِّر عنها شعراً، وهو كاتب شاعر ورسام وسوَّاح وعالم طبيعة وسياسي وممثل وروائي وكاتب اعترافات، ولكنه شاعر في ذلك كله، وهو في شعر الطبيعة والمرح والاستشعار



★ صورة لجيته رسمها المصور جوزيف كارل ستيلر ، بناء على طلب لودفيج الأول ملك بافاريا ★



★ المكتب الذي كان جيته يعمل فيه . وإلى اليسار الدولاب الذي لا زالت أشعاره وكتاباته وخطاباته محفوظة فيه ★



★ الدار التي سكن فيها جيته مع زوجته . إنها من تصميمه ★

بالدنيا يتخطى حدود الكلمات ويعبر لك عن إحساس الزهرة كأنه هو نفسه زهرة ، أو كأنه دخل بين شغاف بتلات الزهرة وأحس بها ، فهو يقول :

ما أروع ما تعني
نفسي الطبيعة
وما أبهر ما تعني الشمس
وما أجمل ما تضحك المروج

تطفر الزهور
من كل غصن
وآلاف الأصوات تنبعث من العيدان

ومسرة ومتاع
تفيض من كل صدر
يا أرض . . يا شمس !
سعادة . يا نعيم

وليس في أوروبا كلها شاب دخل مدرسة إلا ويحفظ الأبيات التالية حتى لو لم يعرف الألمانية :

فوق القمم جميعاً
يسود سكون
وفي ذرى الأشجار
لا تكاد تحس أنت
نغمة ولا نأمة
والطيور الصغيرة تصمت في الغاب
رويدك فعني قريب
يشملك أنت أيضا نفس السكون

وهذه الأغاني الرقيقة كلها وضع لها الموسيقي **فرانتس شوبرت** ألحاناً هي الغاية في الرقة والجمال ، فإذا شئت أن تحس برقة شاعرية جيته ، فاطلب إذا مررت بأي محل مسجلات موسيقية في الغرب أناشيد شوبرت Schuberts .

وهذا الشاعر الرقيق نفسه ـ جيته أقصد ـ هو الذي سينشئ فيما بعد أعظم المسرحيات الشعرية التي كتبها إنسان : **مأساة فاوست** وهي مأساة الإنسان الذي يتحداه الشيطان ويضل فؤاده ويعبث به ويبعث به إلى الجحيم . وهنا يصل جيته إلى نفس المستوى من العمق والشمول في الإحساس والتعبير الذي وصل إليه في مقطعاته الصغيرة كما نرى بعد قليل .

وجيته أيضاً هو صاحب « **نشيد محمد** » وهو بطبيعة الحال لا يعرف عن رسولنا صلوات الله عليه وسلامه شيئاً ، ولا هو درس حياته ـ عندما أنشأ هذا النشيد ـ أو عرف شيئاً عن الوادي المجدب الذي نشأ فيه ، ولكنه سمع أطرافاً من حديثه وهو صغير غلاماً رقيقاً تحلق روحه في أجواء الجمال ، وسماء الإلهام ، والصورة غير صادقة ولا هي قريبة مما نعرف عن نبينا في صباه ، ولكن يكفي جيته أنه تنسم هنا عند ذكر **محمد صلى الله عليه وسلم** الجمال والنبل والارتفاع عن عالم الأرض إلى عالم السماء ، فقارنْ هذا بما فعله رجل مثل **فولتير** عندما تحدث عن رسولنا صلوات الله عليه حديثاً جاهلاً فظاً غليظاً لكي يتقرب بتلك الجلافة من رجال الكنيسة ، وهذا وحده يكفي لتقف على بعد الشقة في الإحساس بين جيته وفولتير على واسع شهرة هذا الأخير وما يقال عن عمق فلسفته وبعد مداه .

مسيرة حياة

ولد يوهان ڤولفجانج جيته في ٢٨ أغسطس (آب) ١٧٤٩ م ، في **مدينة فرانكفورت على نهر الماين في ألمانيا الغربية** . كان أبوه يوهان كاسْبر جيته ينحدر من الشجرة الألمانية الشمالية ، كان محامياً اعتزل العمل عندما شب جيته وضرب في مداخل الشباب ، وكان رجلاً ميسور الحال وإن لم يكن من الأشراف . كان جيته طول عمره فخوراً دائماً بالطبقة الوسطى التي ينتسب إليها ، وهي طبقة الأوساط من مياسير أهل المدن وهم **البيرجر** die Buerger ويقابلون في الفرنسية من يعرفون **بالبورجوا أو البورجوازية ، ولفظ البورجوازية لفظ أساء الناس استخدامه عندنا ، لأن الشيوعيين في حماسهم الكاذب للعمال حملوا على مياسير أهل المدن من تجار وأهل صناعة وحرف عالية كالطب والهندسة والمحاماة والتجارة ، وقالوا إنهم يمتصون دم العاملين ، مع إنهم أيضاً في عداد العاملين** وليسوا في جملتهم مستغلين للناس ، وقد قال الشيوعيون إن **البورجوازيين أي مياسير أهل المدن** وسطاء وعملاء ولا دور حقيقي لهم في النشاط القومي ، مع أن الأوساط سواء أكانوا مساتير أو مياسير يمثلون دائماً الجانب الأكبر من الطبقة النشيطة العاملة المثقفة ، وكان هذا رأي جيته ، فكان يقول إن طبقته هي الحفيظة على أكبر قدر من ثقافة الأمة وثروتها الفنية ، وهذا صحيح ، ووالد جيته كان يقتني مكتبة زاخرة بالكتب والصور ، وقبل أن يصل جيته إلى العشرين كان قد قرأ هذه المكتبة كلها كتاباً كتاباً .

أما أمه فكانت أقرب إلى أهل الجنوب الألماني وهي **السيدة كاترين أليزابيث تكْستور** وكانت ابنة عمدة فرانكفورت ، ولفظ تكستور صورة لاتينية الطابع لاسم الأسرة الأصلي وهوڤيبر Weber أي النساج ، أي أن أم يوهان ڤولفجانج حملت لابنها دم أهل الجنوب وميلهم إلى الاسترخاء والاستمتاع بالحياة ، وهذه أيضاً كانت من خصال جيته ، وقد فتحت الأم لابنها باب التعرف إلى علية القوم من أهل ذلك البلد التجاري الكبير والدخول فيهم ، وكان ليوهان ڤولفجانج سبعة إخوة وأخوات ماتوا فيما عداه **وأخته كورفيليا** التي كانت بعيدة الأثر في حياته ، فقد جاء وقت كانت كورفيليا فيه هي كل عائلته .

ولدينا من أعمال جيته **ديوان شعر يسمى « شعر وحق »** Dichtung and Wahrheit وهو مجموع من شعر صباه وشبابه ، وهو يعرض لنا صبوة وشباباً سعيدين ، وتلك ظاهرة غالبة على حياة جيته كلها ، فقد كان عمره كله ميسوراً رضي الحال بعيداً عن معاناة طلب العيش أو مغالبة ظروف الحياة ، وقد دخل الفرنسيون البلد غزاة في شبابه أثناء حروب السنوات السبع ، وكانت معهم فرقة مسرحية ، وكانت تلك أول مناسبة لجيته ليعرف المسرح والمسرحيات ، وقد افتتن جيته بالمسرح وبدأت تنمو في نفسه طلائع الميل إلى العمل للمسرح وفيه . وفي ذلك الحين وقعت أخته كورفيليا في حب صانع ثياب إنجليزي كان يعمل في فرانكفورت ، وقد عانت من ذلك عناءً شديداً سجله جيته في مجموعة من أدب الرسائل ، وهذه الرسائل هي التجربة الأولى لهذا الطراز من القصص الذي يحكي في رسائل ، وسيصل جيته عما قريب إلى قمة هذا الفن عندما يكتب **مأساة فيرتر** .

البداية

ثم أرسلته أسرته إلى **لايبسك** ليدرس القانون في جامعتها ، وقد وجد



★ أول حب لجيته :
كيتشن شينكوف ★

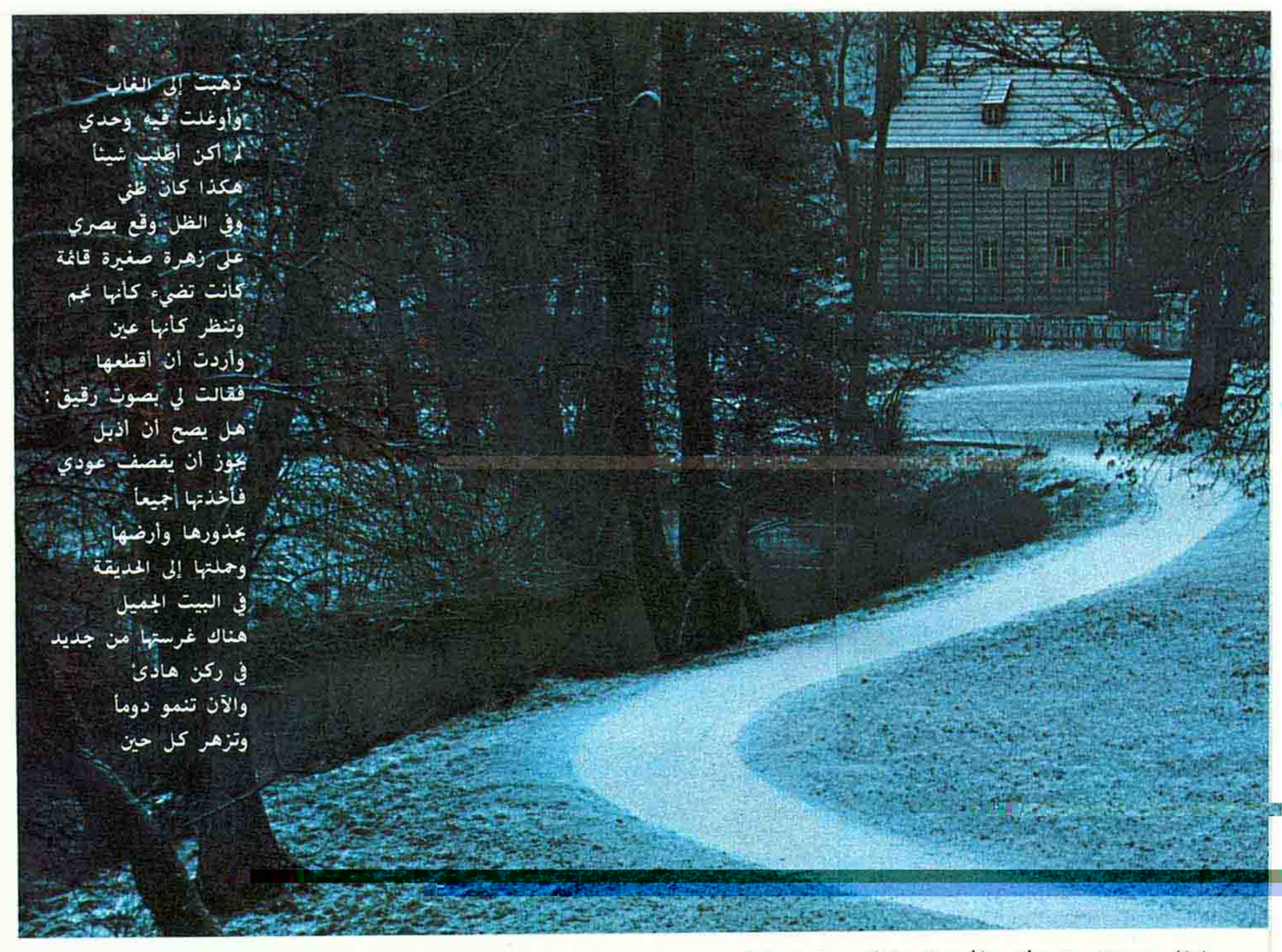


★ ماريان فون ڤايمار ،
ملهمة شعره ★

حديقة القصر الذي أهداه الملك لودفيج الأول ملك باڤاريا إلى جيته عندما منحه الجنسية الباڤارية . وفي القصر ، تغنى جيته بالفتاة التي أصبحت زوجته : كريستين ڤولبيوس ، وقال عن لقائه معها :

الشاب الطامح في هذه البلدة مطالبه من الثقافة والفن . كانت لايبسك تسمى باريس الصغرى ، وكان فيها كتّاب وشعراء وموسيقيون ومجتمع فياض بالحيوية ، فعرف رجلاً من كبار المسرحيين الألمان وهو **جوتشيد** وأديباً من أشهر أدباء ألمانيا في عصره وهو **كارل فرانتس رجليرت** وكان يجيد كتابة **الروايات الرسائلية** أي الروايات التي تحكي في خطابات على طريقة القصاصين الإنجليز في القرن الثامن عشر وعلى رأسهم **سمويل رتيشاردسون** صاحب الروايات الرسائلية الطويلة التي تقع في مجلدات كثيرة مثل « **باميلا** » . وقد تعلم منه جيته ألا يطيل الروايات إلى حد الإملال ، وهناك أيضاً عرف **الرسام أويسر** ، وتعلّم منه كيف يستخدم عينيه في استكشاف حقائق كل ما حوله ، وهي خصلة انتفع بها جيته بعد ذلك أعظم الانتفاع ، فهو يحسن النظر ويتقن وصف ما تقع عليه عيناه .

وقد أنشأ جيته خلال سنوات لايبسك شعراً ونثراً كثيرين ، ولكنها كلها أعمال أولى انتفع بها جيته في تواليفه الكبرى عندما بلغ مرحلة النضج ، فما نجده في هذه المؤلفات الأولى بسيطاً له طابع التجريب نجده مكتملاً في أعمال متأخرة مثل الأنساب المختارة Die Wahlver Wand Schajten التي ترجمها إلى العربية **الدكتور عبد الرحمن بدوي** ومسرحيته الشعرية الذائعة الصيت تاركواتو تاسو التي تحكي مأساة شاعر قديم . وبعض قصائد هذه الفترة نجده في صورة أجمل في ديوان أشعاره البديع المسمى : **الديوان الشرقي الغربي**



★ قال جيته : «هنا وجدت امرأة»، والمرأة هي كريستيان فولبيوس التي تزوجها ★

Westoestlischer Divan الذي نشر فيما بعد سنة ١٨١٩م ، وقد نقله إلى العربية أيضاً فيلسوفنا عبد الرحمن بدوي .

تألق النجم

ثم أصيب جيته الشاب بمرض أقعده عن العمل ، فاضطر إلى العودة إلى بلده ليستمرض فيه ، وقد قضى في النقاهة فترة طويلة أفاد منها في التجريب في **مسائل العلوم والقراءة في الكيمياء** ، وهذه الأخيرة هي كيمياء ومحاولة تحويل المعادن الرفيعة كالحديد والرصاص إلى معادن رفيعة كالذهب ، وكل ذلك سنجد صداه وصوره في شخصية فاوست العالم المتأبد بين كتبه ومعمل تجاربه على طريقة رهبان العلم في العصر الوسيط ، وإلى هذه المعتزل الساكن المظلم المترب سيدب الشيطان مفيستوفيلس إلى نفس العلامة العجوز ، ومن هذه العناصر سيؤلف جيته فيما بعد واحدة من أعاظم آثار الأدب العالمي الخالد وهي فاوست .

وبعد أن أبلّ جيته من مرضه ذهب ليكمل دراسته في **مدينة ستراسبورج** ، وهي مدينة ألمانية كانت ولا تزال تعيش في النطاق السياسي والحضاري الفرنسي . وفي ستراسبورج يدخل جيته في مرحلة جديدة من مراحل تكوينه ، فهنا مدينة عظيمة بالغة الجمال تطل على نهر الراين بكاتدرائية رائعة المبنى ، وهنا شاعر عظيم هو **هيردر** Herder لجأ إلى البلد في ذلك الحين ليداوي عينيه . هنا ـ وهو يكمل دراسته قرأ جيته لكبار شعراء العصر القديم من أمثال **هوميروس وأوسيان** ، وقرأ كذلك الإنجيل والكتاب المقدس كله قراءة تعمق ، هنا يصل جيته إلى أولى مراحل نضجه ويكتب مقطعات شعرية خالدة بجمالها وحساسيتها وحسن صياغتها مثل « **أنشودة مايد** Mailied **وترحيب ووداع** Willkommen and Abschied وبدأت ألمانيا كلها تتنبه إلى أن شاعراً عظيماً يولد بين ظهرانيها .

وكان الشعر الألماني حتى ذلك الحين ، وهو عصر هيردر يتحسس طريقه ليأخذ شخصية مستقلة قائمة بذاتها وسط الآداب الأوروبية ، وكان بعض شعراء الألمان يقلدون الشعراء الفرنسيين وبعضهم الآخر يقلد الإنجليز وخاصة شكسبير ، وكان الكثير من شباب أهل الأدب الألماني يثورون على ذلك التقليد ويدعون إلى قيام أدب ألماني الروح والطابع ، وقد عرفت هذه الحركة باسم **حركة الاقتحام والاندفاع**. Sturm und Drang فاندرج جيته في هذا التيار وكتب رسائل تعتبر من أصول الدعوة إلى إنشاء أدب ألماني مثل خطبة لمناسبة يوم شكسبير (وقد نشرت بعد عودته إلى فرانكفورت سنة ١٧٧١م) رسالة « عن الطريقة الألمانية والفن الألماني Von Deuscher Art und Kunst وقد اعتبرت أمثال هذه الرسائل من أعاظم أعمال حركة الاقتحام والاندفاع (الاشتُورم أونْد درانج) وتطبيقاً لما كان ينادي به كتب جيته **رواية جيتز فون برليشيدنجي** Goetz Von Berlichingen التي تعتبر من أعظم آثار

حركة الاشتورم أوند درانج .

ثم انتقل جيته إلى ڤيتسلار Wetzlar وكانت إذ ذاك مقر المحكمة العليا للإمبراطورية الألمانية القديمة المنسوبة إلى آل الهابسبورج التي كانت إذ ذاك شبحاً وذكرى ، لأن ألمانيا كانت مقسمة إلى إمارات هي أشبه بالممالك الصغيرة والكبيرة ، وقد ذهب إلى ڤيتسلار يمارس المحاماة . ولكن الأدب احتمله وشغل معظم وقته فانصرف إليه بكليته ، وهناك شعر بالميل إلى سيدة متزوجة هي **شارلوت بوف** ، ولم يفكر جيته قط في الوصول إليها لأنها كانت زوجة صديقه يوهان كريستيان كيستلر ، ولكن هذه العاطفة المستحيلة تحولت عندما جاء وقتها إلى عمل من أعاظم أعمال الأدب العالمي وهو **ڤيرتر** .

آلام ڤيرتر

ولم تلبث مناسبة كتابة « ڤيرتر » أن جاءت . فقد ريع جيته بخبر انتحار شاب من معارفه يسمى كارل ڤلهلم جيروساليم . كان يعمل سكرتيراً في وزارة الخارجية . وقد وقعت الحادثة في ٣٠ أكتوبر ١٧٧٢ م ، ولم يلبث جيته أن عرف أن الشاب المنتحر استعار المسدس الذي قتل به نفسه من صديقهما يوهان كريستيان كيستنر زوج شارلوت بوف ، وقد أولع بها الشاب ولعاً أخذ عليه سبل حياته جميعاً ، ولما كان زواجه منها مستحيلاً فقد وجد أنه لم يبق له إلا سبيل واحدة وهي أن يفارق هذه الدنيا ، ففعل ، وقتل نفسه بمسدس الزوج الذي حال بينه وبين السعادة على غير قصد منه ، وكان جيته كما قلنا يميل إلى شارلوت هذه ، وقد تعاونت هذه العوامل كلها على أن تدفع جيته إلى كتابة قصة هذا الشاب التعيس في رواية صغيرة مصوغة في رسائل وسماها « **آلام ڤيرتر الشاب** » Die Leiden des Jungen Werthers التي نقلها إلى العربية عن ترجمة فرنسية الأستاذ **أحمد حسن الزيات** ونشرها باسم آلام ڤيرتر .

وفي تاريخ الأدب العالمي لا نعرف عملاً أدبياً اكتسح العقول والأسواق كما قدر لهذه الرواية الصغيرة . فقد كتبت في ثلاثة أسابيع ، وما كادت طبعتها الأولى تظهر سنة ١٧٧٤ م ، حتى طبقت شهرتها الآفاق ، فقد **أعاد الناشر طبعها خمس مرات خلال الشهور الثلاثة الأولى لنشرها ، وخلال الشهور الستة التالية ظهرت لها فوق العشرين طبعة قام بها وراقون مجهولون طلباً للكسب** ، وترجمت إلى الفرنسية **وطبعت ثلاثين طبعة في عام واحد** . وعن الفرنسية ترجمت إلى الإنجليزية حيث طبعت ستاً



★ كارل أوجوست أمير سكسونيا ، وكان جيته مستشاراً له وكانت ڤايمار مقر الأمير ★



★كريستيان ڤولبيوس زوجة جيته ★

وعشرين طبعة في شهور قلائل قبل سنة ١٨٠٠ م . فلم يبق في أوروبا رجل إلا قرأها . **ونابليون بونابرت** نفسه أصبح من المعجبين بها وقرأها فيما يقال سبع مرات وتحدث في شأنها مع جيته عندما التقى به سنة ١٨٠٨ م .

أما تأثير هذه الرواية القصيرة في ألمانيا فقد تجاوز كل تقدير ، فهي ـــ من ناحية تاريخ الأدب العالمي ـــ الرواية التي جعلت الأدب الألماني عالمياً على نفس مستوى الأدبين الإنجليزي والفرنسي ، وبها تحققت كل آمال رجال حركة الاقتحام والاندفاع ، فقد أثبتت أدبهم الألماني نفسه وأصبح له طرازه المميز . أما في الناحية الاجتماعية فلا يعرف الأدب كتاباً كان له في بلده وأوروبا مثل هذا الأثر الذي لا يصدق ، فملابس ڤيرتر التي وصفها جيته في إحدى رسائل الرواية المؤرخة في ١٦ سبتمبر (أيلول) ١٧٧٢ م ، أصبحت الطراز السائد لملابس شباب العصر : السترة الزرقاء الطويلة الذيل والصدار الأصفر والقميص الأبيض المزين بالدنتلا المنشاة والسروال الذي يصل إلى أسفل الركبة ويكمله الحذاء الطويل الرقبة . وعندما ذهب جيته إلى **ڤايمار** ليزور البلاط وجد الرجال هناك جميعاً يرتدون هذا الذي ألبسه لڤيرتر . بل إن حوادث انتحار الشبان أمام الحب اليائس أو المستحيل أو حتى أمام اليائس من الدنيا والضيق بها كثرت كثرة روعت الناس . وجيته نفسه أصبح مع دورة عامين من أعاظم أهل الأدب في زمانه وطارت شهرته واستقر في هذه المكانة الرفيعة بعد ذلك .

ترى ، ما الذي أطار هذه الرواية الصغيرة أو « النوفيليت » هذا المطار كله ؟ في المكان الأول ينبغي أن نقرر أن الفضل الأول يرجع لعبقرية المؤلف نفسه ، فهو لم يكتب قصة مبتذلة تقوم على امرأة ومتزوجة تميل إلى غير زوجها وشاب متعلق بها يحول بينها وبينه زوج بغيض مستبد طاغية .

على عكس ذلك كله ، نجد أن شارلوت بطلة الرواية شابة كاملة الخلق حصانٌ يزينها حسنها وخلقها معاً ، وزوجها ـــ وهو في القصة صديق ڤيرتر ـــ شاب كريم الخلق لا يشك في زوجته ولا يظن في ڤيرتر إلا خيراً ، وسواء أأحس بميل ڤيرتر إلى امرأته أم لم يحس ـــ وغموض موقف الزوج ألبرت من أجمل خواص القصة ، فإننا لا نشعر قط أن بين الرجلين أي عداء ، والصورة التي يرسمها للبطلة وهي شارلوت أو لوتّي كما يسميها عادة في القصة كانت صورة فاتنة لأهل العصر ، وربما لا زالت فاتنة لأي شاب يعيش في مثل الظروف التي عاش فيها ڤيرتر فهي شابة جميلة محتشمة ترعى أخواتها الصغار بعد أن ماتت أمهم ، وهي لا ترعاهم رعاية الأخت الفقيرة لأخواتها المحتاجين ، فإن الأسرة ميسورة الحال ، ولكنها ترعاهم بروح الأمومة والعطف والمحبة ، فهي تطهو لهم الحساء بنفسها وتقطع لهم الخبز بيدها ، وتراعي الكبير وتواسي الصغير . فهي بهذا نموذج البنت الألمانية المثالية ، فهي إلى جانب كمال خلقها ذات حسن بديع : شقراء سوداء العينين حسنة الزي والشارة شريفة النفس ، وهي ربة بيت كاملة ، وإلى جانب هذا كله فهي تعزف البيانو وتقرأ كتب الأدب ، وتخلص لخطيبها ألبرت وتحترمه وتكرمه ولا تترخص في نظرة واحدة لا يرضى عنها في حضوره أو غيابه ، وهي لهذا عندما تعرف ڤيرتر تعرفه في صورة الأخ وصديق الزوج الذي لا يؤذن له ـــ ولا هو يأذن لنفسه ـــ في أن يجاوز الحد ، لا في تصرفاته أو أفكاره . من هنا كان ڤيرتر نفسه شخصية فاتنة ، فإن جيته عندما يصف آلامه بحبه المستحيل لشارلوت لا يهوي به قط إلى مدارك الضعف والتردد والتخاذل والبكاء . وهو عندما يعلم أن لوتي مخطوبة لألبرت تتفرق نفسه حسرات ولا يحقد ، بل يلتقى الخبر في ثبات ورجولة ويقبل حكم القدر دون شكوى أو ضعف . وعلى طول القصة لا يحاول قط أن يرتكب ما يشين ، ولا



★ كريستيان فولبيوس زوجة جيته وأم ابنه أوجست ★

يقول كلمة واحدة تجرح إحساس ألبرت . كل ذلك وحبه يتزايد ، وآلامه تتوالى حتى إذا بلغت به الآلام مبلغها ووقف أمام الباب المسدود يجد أن حبه لشارلوت يحول بينه وبين النظر إلى أي امرأة أخرى ، فهي عنده المرأة كلها ولا امرأة سواها ، والحياة بدونها مستحيلة ومعها مستحيلة أيضاً بحكم الظروف ، هنا لم يبق أمامه إذن إلا أن يغادر الحياة . وهو يغادرها في وثبات وإدراك لما يفعل : يسدد ديونه ويكتب آخر رسائله ، ويستعير من ألبرت زوج لوتي مسدسه ويجلس إلى مكتبه ، وفي الساعة الثانية عشرة منتصف الليل يطلق على نفسه الرصاص ، ويهتز بدنه ويرتمي إلى الأرض . لا يسمع الطلقة إلا أحد الجيران ولا يلق إليها بالا . وفي الصباح يدخل الخادم ليجد ڤيرتر في آخر سياق الموت . هادئاً سعيداً راضياً . في آخر رسائله التي وجدت على مكتبه يخاطب لوتي قائلاً : « الآن يا لوتي إنني لا أرتعد إذ أمسك بالكأس الذي سأشرب منه الموت . أنت التي أعطيتها لي ولا أشكو ، فكل رغباتي آمال حياتي قد تحققت ، أتردد في أن أطرق أبواب الموت الجامدة بهدوء وثبات .

الشاعرية المبدعة

وهنا ، وعندما يستوثق الرجل من أمر نفسه نجده يتكشف عن شاعر ومبدع قلّ أن نجد له نظيراً في الشاعرية وغزارة المادة وعمق الأفكار وبُعد المطارح ، ففيما بين ١٧٧١ و ١٧٧٥ م ، تتوالى فتوح هذا الشاب في ميادين الشعر والتأليف على نحو جذب الأنظار كلها نحوه حتى لم يبق في ألمانيا كلها شاعر أو كاتب مثله ، فهو يكتب عن ثقة في كل موضوع ويصوغ الشعر في كل وزن وبحر معروف حتى البحور المهجورة المستعصية ، وقد فتح الرجل بڤيرتر وقصائده الكثيرة التالية أبواب الرومانسية أي الابتداعية على مصراعيه ، وتوالت قصصه الشعرية الطويلة والقصيرة من أمثال **كلودين ڤون ڤيلابيلا** Claudine Van Villa Bella التي صور فيها فتاة جميلة من ڤايمار أحبها وخطبها هي **ليلى شينمان** .

وقد انتقل إلى ڤايمار في نوڤمبر (كانون الأول) ١٧٧٥ م ، وبانتقاله إلى هذه المدينة الصغيرة الجميلة في فستڤاليا في بلاد الراين تدخل هذه البليدة التاريخ من أوسع أبوابه ، فتصبح مدينة شاعر ألمانيا الأكبر . هنا سيقيم الشاعر إلى وفاته في ٢٢ مارس (آذار) ١٨٣٢ م ، رغم إلحاح نابليون عليه في الانتقال إلى باريس . ويدرك الشاعر أنه بلغ القمة وعليه أن يظل فيها ، ويسجل هذا في أول جزء كتبه ونشره من **روايته الطويلة : ڤلهلم مايستر** ، وهي أشبه بترجمة حياته ، أو تاريخ لنشاطه الفكري ، وعنوان هذا الجزء الأول : « سنوات التدريب لڤلهلم مايستر Willelm Meisters Lehrjahve وهو يتولى للدولة وظيفة هي أقرب لوظيفة الوزير ، وهو يقبل على عمله ويشرف على المشروعات والأموال بجد وصدق ، ولا تتوقف مع ذلك معاشقه ، أي ما نسميه ابتذالا بغرامياته ، وما أكثر معاشق جيته ، فهذا الرجل لا يخرج من حب إلا إلى حب ، ولكن الكثير من هذه العاطفيات عاطفية أو عقلية فحسب ، أي أننا إذا سمعنا عن علاقته بامرأة تسمى شارلوت ڤون شتاين فليس من الضروري أن تكون بينه وبين هذه السيدة علاقة سوء أو شر ، فهذا رجل يحب كل ما هو جميل ويعشق كل ما يوحي إليه بفكره ، فهو قد يعشق عيني امرأة وشعر أخرى وصوت ثالثة ، وكل ذلك يتردد في شعره ويحبه الناس معاشق حقة ، ولو كانت كل النساء اللاتي يرد ذكرهن في حياته الطويلة معشوقات حقيقيات لما كتب الرجل عشر ما كتب ، فقد كان أذكى من أن يترامى على أقدام الكواعب ويفني عبقريته في متع متشابهات .

في إيطاليا

وتكون رحلته إلى **إيطاليا** التي طالما تاقت إليها نفسه ، وهناك يتفجر إلهامه ويفيض فيضاً فيكتب الصور الأولى **لمسرحياته الشعرية الخالدة : اجمونت وايفيجينيا ، وفاوست وتاركواتو كاسو** Tarquato Kasso وهي قصة شاعر روماني راح ضحية رأيه وحبه . وهنا يحقق جيته واحدة من أرفع توفيقاته ، فهو هنا يصور الصراع بين الشاعر وما حوله ، بين المثالي والواقعي على نحو لم يصل إلى مثله إلا رجل مثل شكسبير في كوريولانوس وأبي الطيب المتنبي في مأساة حياته حين يقضي عليه وعلى شاعريته جلف موتور مثل **أبي العشائر** . وقد نشرت سنة ١٧٨٧ م ، وتشبه كاسو مسرحية أفيجنيا على **جبل تاوريس** Sphigenie auf Tauris وهي مأساة إغريقية نقلها جيته باللفظ والتعبير من عالم الإغريق إلى كل عصر فهي قصة صراع الإنسان لتحرير نفسه من ربقة الظروف وقيود الأوهام . وفي هذه السلسلة أخرج جيته **مأساة هيرمان ودوروتيا** التي تصور آلام الهجرة والنفي سواء أكان النفي بالفكر والعاطفة ، أم بالبدن والكيان . وقمة هذا الإنتاج العظيم هي **رواية فاوست** التي نود أن نقصر عليها ما يبقى من هذا المقال .

لقاء شيللر

ولكننا لا نستطيع ذلك إلا بعد أن نقف وقفة صغيرة عند لقاء جيته مع

ثاني شعراء عصره وقسيمه في زعامة الفكر الألماني وهو **فريدريش شيللر** .

وقد تعرف جيته إلى هاينريش شيللر بعد عودته من رحلته الإيطالية . وكان شيللر قد عظم واشتهر وثبتت أقدامه قبل أن يتعرف إلى جيته . وفي ٢٣ أغسطس (آب) ١٧٩٤ م ، وجه خطاباً رائعاً إلى جيته يدعوه فيه إلى الاشتراك معه في إنشاء مجلة أدبية . وكان تفرد جيته بالزعامة الأدبية قد حصره في بيته إذ لم يكن يستطيع أن يلقى الألوف التي كانت تحج إلى قايمار لتراه . وقد استجاب جيته لنداء شيللر وأنشآ معاً **مجلة دي هورث** Die Horem التي لم تعمر إلا ثلاث سنوات (١٧٩٥ ـ ١٧٩٧ م) وتأثير شيللر على جيته عظيم ، فهو الذي استدرجه إلى عالم الرومانسية من جديد بعد أن كان قد أغرق في التأليف في الموضوعات القديمة ما بين إغريقية ولاتينية وهي الكلاسيات : وعلى بساط الرومانسية أي الابتداعية المتحررة من أسر الموضوعات القديمة وقيودها . يلتقي جيته وشيللر بأهل الأدب في الغرب جميعاً ، ويتدفق في كل بلاد الغرب ذلك الإنتاج المغرق الذي جعل الآداب الغربية أغزر الآداب وأوفرها مادة وأكثرها تنوعاً ، هنا يولد ما يسميه **كليمنس برتتانو** الفيلسوف بالأدب العالمي Weltliteratur وينشر جيته الجزء الثاني من **فلهلم مايستر** وهو المسمى **بسنوات التجوال** Wilhelm Meisters Wanderjahre (١٨٢١ ـ ١٨٢٩ م) وهنا يتجلى جيته رجلاً حديثاً معاصراً يعيش أيامه ويحس نبض عصره حتى لقد أثر عنه أنه قال إنه يرجو أن يعيش ليرى اكتمال حفر **قناة السويس وقناة بنما** ، وهما كانتا في تصوره رمزاً لاتصال العوالم كلها بعضها ببعض : عالم آسيا وإفريقية بعالم أوروبا وعالم الأمريكتين .

ولكن عبقرية جيته ونفسه القلقة الطامحة دائماً إلى المعرفة لا تتجلى في عمل من أعماله كما تتجلى في فاوست ، فلننتقل إليها الآن ، فهي ليست قمة أعماله فحسب بل هي أعلى ما يمكن أن يصل إليه ذهن الإنسان في الإبداع الفكري الفلسفي والشعري على طريقة الغربيين .

أسطورة فاوست

لم يكن يوهان ڤولفجانج جيته ليستطيع اختيار موضوع أوفق من أسطورة **الدكتور فاوستاس** لإظهار كل مواهبه الشعرية والفلسفية وملكاته الفنية وميادين علمه المتعددة ، فإن **أسطورة فاوست أو فاوستوس قديمة في الفكر الأوروبي ، ويقال إن أصولها ترجع إلى الأدب البابلي والفكر الديني اليهودي** ، وهي تتلخص في أن رجلاً يسمى فاوستوس باع روحه للشيطان في مقابل معاونة الشيطان إياه على إدراك مآرب دنيوي . وقد نمت الأسطورة في ظل المسيحية بسبب ما كان الناس يؤمنون به في عصوره المسيحية الأولى من أن هناك ناساً يركبهم الشيطان ويعطيهم قواه ويستخدمهم في إدراك مآربه ، ويقال أيضاً إن هناك ناساً ضُلالا يعبدون الشيطان من دون الله ومنهم مفليستوفيليس الذي يقال أيضاً إن الشيطان نفسه ومن اسمه اشتق اسم فاوستوس : Mephistaphilis Faustus ، وفي أساطير المسيحية الأولى يقال قساً يسمى تيوفيلوس أسقف أطنه كتب على نفسه صكاً مكتوباً ينكر فيه المسيح في مقابل معاونة الشيطان له على استعادة منصبة الذي فقده .

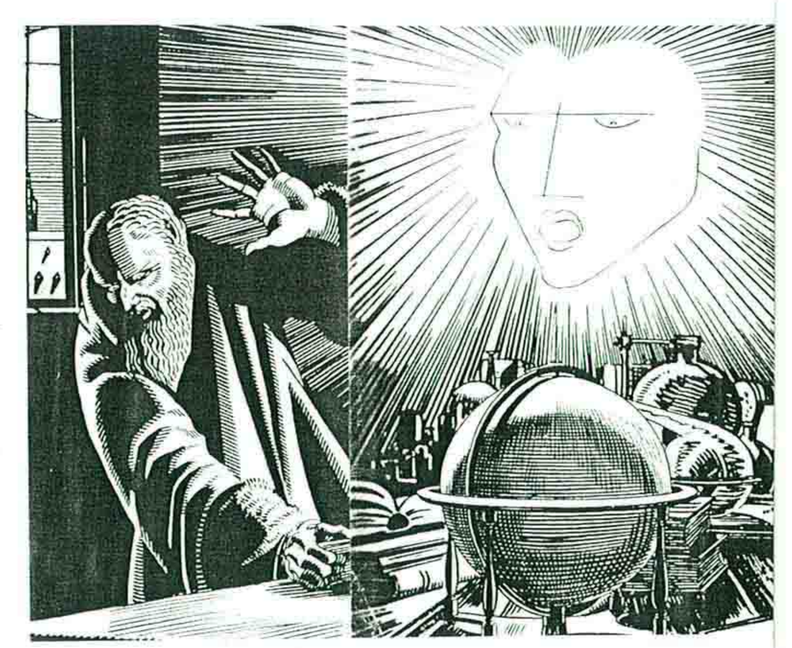
وقد أصبح اسم فاوستوس أو الدكتور فاوستوس رمزاً للسحرة والمشعوذين . في القرن السادس عشر ظهر رجلان اسم أولهما جيورجيوس والثاني يوحنا فلقب كل منهما باسم فاوستوس ومارسا السحر على نطاق واسع وداخلا الناس وكانت لهما أفاعيل قبيحة ، ويقول القصص الشعبي إن نهاية كل هذا الطراز من الناس هي نار يذهبون إليها ، وقد كثرت في أيدي الناس كتب فاوست Faustbuecher وتعددت الحكايات عن ذلك الإنسان الملعون : وفي العصر الذي اختلط فيه العلم بالسحر في الفكر الأوروبي ، والفلسفة بالسحر والتنبؤ نجد اسم الدكتور فاوستوس مذكوراً بين شخوص مشهود لهم بالعلم والمعرفة والصلاح أحياناً مثل تريتهايم Tritheim ونتسهايم Nettesheim وباراسلزوس Paracelsus ونوستراداموس Nostradamus الذي يقرأ الناس إلى يومنا هذا كتبه في التنبؤات والطوالع ، وفي الصور الأخيرة لهذه الطوالع تنبؤات منسوبة إلى نوستراداموس تحدد تواريخ موت ناس معاصرين مثل **هتلر وتشرشل** وغيرهما .

وموضوع « عهد الشيطان » أو الاتفاق مع الشيطان الذي يمثل النقطة المركزية في أساطير فاوست موضوع يجتذب الأدباء ، لأنه يقدم نسيجاً لدراسة أخلاقية دينية ، فإن فاوست مبرم مع الشيطان عهداً على أن يطيعه في كل ما يأمره به من شرور في مقابل تعهد الشيطان له بتحقيق مأرب من مآربه أو كل مآربه ، وقد عالج هذا الموضوع كثيرون من الكتّاب حتى جاء **الأديب الإنجليزي كريستوفر مارلو** وصاغ الحكاية في مسرحية مشهورة The Tragicall History of D. Faustus وفيها ينتهي فاوست نهاية رهيبة . ثم ألف في نفس الموضوع أدباء كثيرون نخص منهم بالذكر الرواية المشهورة **والدون خوان** Don Ju'an التي ألفها **خوسيه ثوريا** José Zorilla وهي من عيون الأدب الإسباني .

وتلك هي القصة التي اختارها جيته لتكون موضوع أعظم أعماله الأدبية ، وقد عرف جيته كيف يرتفع بها إلى مستوى فني لا يمكن الزيادة عليه ، فجعل الدكتور فاوست رمزاً للإنسان الأوروبي المسيحي ، ومن المعروف أن الأوروبيين يأخذون الحياة على أنها تَحَدٌّ ، أي أن الحياة تتحدى الإنسان بالفشل والموت والضياع وعليه أن يواجه هذا التحدي على قدر ما يستطيع ، فمن الناس من ينتصر على الحياة وينجح ويحقق ما يريد ، ومنهم من ينهزم فيكون مصيره الضياع .



★ إلى هذه الخميلة وسط المرج الأخضر كان يلجأ جيته يومياً ليستلهم أجمل أشعاره ★



★ فاوست ★

والمؤرخ الإنجليزي المعاصر أرنولد توينبي يصف الحضارة الغربية كلها بأنها حضارة فاوستية ، أي حضارة تقوم على التحدي والجواب على التحدي ، فإذا كان الجواب إيجابياً تقدمت الحضارة ، وإذا كان سلبياً كان التدهور والضياع .

أما من الناحية المسيحية فإن عدم وضوح مبادئها بسبب ضياع الإنجيل جعل هذه المبادئ في ذهن النصارى مشوشة غير واضحة ، حتى شخص **المسيح عيسى بن مريم** أبهمت واختلطت ومن هنا دخل الشرك بالله والقول بأن المسيح ابن الله أو الله ـ تعالى الله سبحانه عما يصفون ـ وهذه ناحية أنقذنا ـ نحن المسلمين ـ الله سبحانه منها بهذا القرآن الكريم الثابت وتلك السنَّة المطهرة فعرف المسلم ربه سبحانه وعبده حق عبادته وعرف نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم واتبع سنَّته ولم يعد هناك مجال لتشوش الأفكار واضطراب العقائد .

ومن هنا فإن المسيحية [illegible]
والاضطراب . ويقولون إن القسس وحدهم هم الذين يحمون البشر منه . وهذا هو السبب في ذيوع أسطورة فاوستوس في الفكر الأوروبي وإقبال الناس عليها . فإن المسيحية الكاثوليكية مثلاً تقول إن المعجزات لم تنته بوفاة عيسى بن مريم عليه السلام ، بل هي تتجدد وتتصل على أيدي القديسين . وهناك في أذهانهم معجزات صادقة هي التي يقوم بها القديسون ومعجزات كاذبة وهي التي يقوم بها السحرة بمعاونة الشياطين ، ولهذا كانوا يحرقون السحرة والساحرات في الغرب ليحرقوا الشيطان المستقر في كيانهم .

وفاوست في جزئه الأول كما صوره جيته هو الإنسان المسكين الموزع النفس بين الخير والشر ، بين الهداية والضلال ، وهو في المسرحية الجيتية شيخ عالم قضى عمره كله يدرس ويقرأ معتزلا الناس في مكتبة ومعمل علاهما التراب ، وقد انحنى ظهره وامتلأ رأسه علماً وأوهاماً .

ويدخل عليه مفيوتوفيليس أي الشيطان ذات ليلة ظلماء ثقيلة ويريد أن يسخر منه ، ولا يزال يغريه حتى يضعف الرجل ويستجيب لأن الشيطان خادعه بفتاة حلوة في ريعان الصبى تسمى جريتشي ، وأخيراً يرضى فاوست فيقطع العهد مع الشيطان ويبيعه روحه في مقابل أن يرده شاباً في الثلاثين ويمهد له الحصول على الفتاة .

وقد استوسع جيته في الموضوع فجعله ميداناً لكل الآراء والأفكار في أحاديث فاوستس مع الشيطان ، وأحاديث فاوست مع تلاميذه وأحاديثه مع الساحرات ، وفي غضون ذلك يأخذ مفيستوفيليس بيد فاوست بعد أن يرد عليه شبابه ويريه الدنيا وما فيها مما لم يره هذا المسكين ، ويجعله يرى الحيوانات البرية وقوتها وقدرتها على الاستمتاع البهيمي الخالص ، ويقف به عند القردة ليريه حيويتهم وقواهم مما يتمنى فاوست ـ وقد فقد روحه ـ أن يجده في نفسه ، وفي ذلك كله يعرض جيته كل آرائه في الدين والحياة والإنسان والفلسفة والسحر في أسلوب أخاذ .

وهذه الموضوعات والمواقف والمشاهد المتعددة : تتيح لجيته أن ينظم الشعر في كل بحر ووزن ، فالعالم يقول الشعر في البحور الطويلة الوازنة ، والعذارى اللاعبات ينشدن في مقطعات هي أشبه بالموشحات ، ومفيستوفيليس نفسه يتنقل بين ضروب الشعر كيف شاء في أحاديثه مع فاوست أو مع الساحرات أو التلاميذ ، ومن هنا فإن جيته يصل في هذه المسرحية إلى مستوى من الشاعرية يندر أن نجد له في الغرب مقالا ، وعرف كيف يجعل فاوست صورة للإنسان الأوروبي المسيحي بكل شكوكه وحيراته وآلام نفسه ومسراته المقبولة والمرذولة .

وقد قسم جيته مأساة فاوست قسمين ، نشر الجزء الأول سنة ١٨٠٨ م ، وفيه يضل فاوست على يد الشيطان ويغوي البنت الطيبة جريتشين ويقع في الرذيلة والضلال ويفقد نفسه وروحه .

وهذا الجزء الأول من فاوست هو الذي ترجمه **الدكتور محمد عوض محمد** إلى العربية ونشره في القاهرة .

أما الجزء الثاني فهو الذي يروي فيه جيته قصة خلاص فاوست من اللعنة وعودته إلى الله ، ولم ينشر هذا الجزء إلا سنة ١٨٣٢ م ، بعد وفاة جيته ، وقد أخر جيته نشره قاصداً ، وقال إن هذا الجزء هو وصيته أي أنه يكفِّر فيه عن ذنوبه جميعاً ويرجو المغفرة ويعود إلى الرشد مع صاحبه فاوست .

النهاية

وقد توفي جيته في أوج مجده سنة ١٨٣٢ م ، وأصبح في أخريات أيامه رمزاً لمجد الفكر الألماني والأوروبي جميعاً ، وقد لقي من التكريم في حياته ما لم يجده أديب غيره في حياته . وفي سن السبعين كان لا يزال متوفر الحيوية حتى أنه وقع في غرام فتاة في الثامنة عشرة من عمرها ، وقد استنكر منه الناس ذلك ولاموه فيه ، ولكنهم غفروا له ذلك ، لأن الرجل قضى عمره كله عاملاً على الأدب والفكر والعلم في غير كلال ، ووصل برجل الفكر إلى مكانة من الاحترام لم يصل إليها رجل قبله . وهذا عمل آخر جليل يذكر لجيته : الارتفاع بقدر رجل الفكر ، إلى أعلى ذرى المجتمع . وقد أثار مجده هذا وشهرته غيرة الكثيرين من أهل الآداب وخاصة في فرنسا حيث لا يريد الأدباء الفرنسيون أن يسلموا بأن جيته هو أعظم أديب أخرجه الغرب في تاريخه كله ، ولكن هذا هو دأب الفرنسيين ، فهم في غرورهم بأنفسهم وإيمانهم بأنهم دون غيرهم أهل الأدب في أروع صوره لا يعترفون بتفرد شكسبير في الأدب المسرحي ، وقد لقي شكسبير أكبر النجاح على مسارح الدنيا كلها ، إلا مسارح فرنسا ، فهناك لم تلق مسرحيات شكسبير إلا توفيقاً يسيراً .

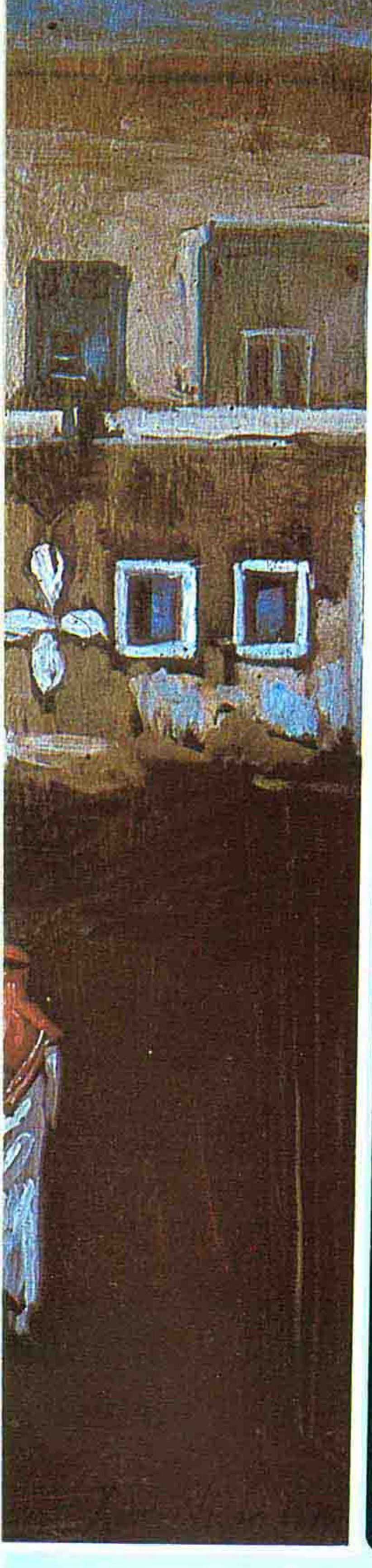


● يصور الفنان ڤيكاري في هذه اللوحة مشهداً من الواقع، بأسلوب أقرب إلى الانطباعية نظراً لأن موضوع لوحته هو تسجيل للحظة، لكون اللحظة متغيرة، أي تسجيلها في الحركة الدائمة للوجود.. وأيضاً لتصويره [illegible] اللوحة إلى بقع وخطوط لونية بضربات فرشاة سريعة محللة، أي في التكتيك الفني المستخدم في اللوحة.

● التكوين في اللوحة مؤلف من عناصر تصويرية وحسية مبنية على أساس تحليلي، والفنان يشيد موضوعه عبر هذا التكوين من المعطيات الخاصة للحواس، أي يقوم على التجربة [illegible] تصويره لمشهد من الطبيعة والواقع.

● حقق الفنان الوحدة العضوية في اللوحة عن طريق توزيعه وترديده للألوان وتوزيعها بشكل يحرك عين المشاهد في جميع أجزاء اللوحة.. فاستخدم الألوان البنية الداكنة في أسفل اللوحة (في الأرضية)، وفي أعلى اللوحة (في المنازل)، ركز ترديده اللون الأبيض في المنازل والأشخاص في النصف العلوي والسفلي من اللوحة.

● جمع بين الأستاتيكية والديناميكية في اللوحة، الأستاتيكية ممثلة في المنازل، والديناميكية ممثلة في الأشخاص وهم في حالة حركة.. كما اهتم بإبراز الطراز المعماري الذي تتميز به أبنية المنطقة الجنوبية في المملكة العربية السعودية من منازل [illegible]. كما اهتم بتسجيل الألوان المتميزة لمنازل تلك المنطقة والزخارف الشعبية المرسومة عليها.



● ولد في إيطاليا عام ١٩٣٨م، ونشأ في إنجلترا، ويقيم حالياً بولاية موناكو في فرنسا.

● درس بجامعة لندن، وعمل فترة أستاذاً بجامعة «سوانس»، وهو حالياً متفرغ لممارسة الفن التشكيلي.

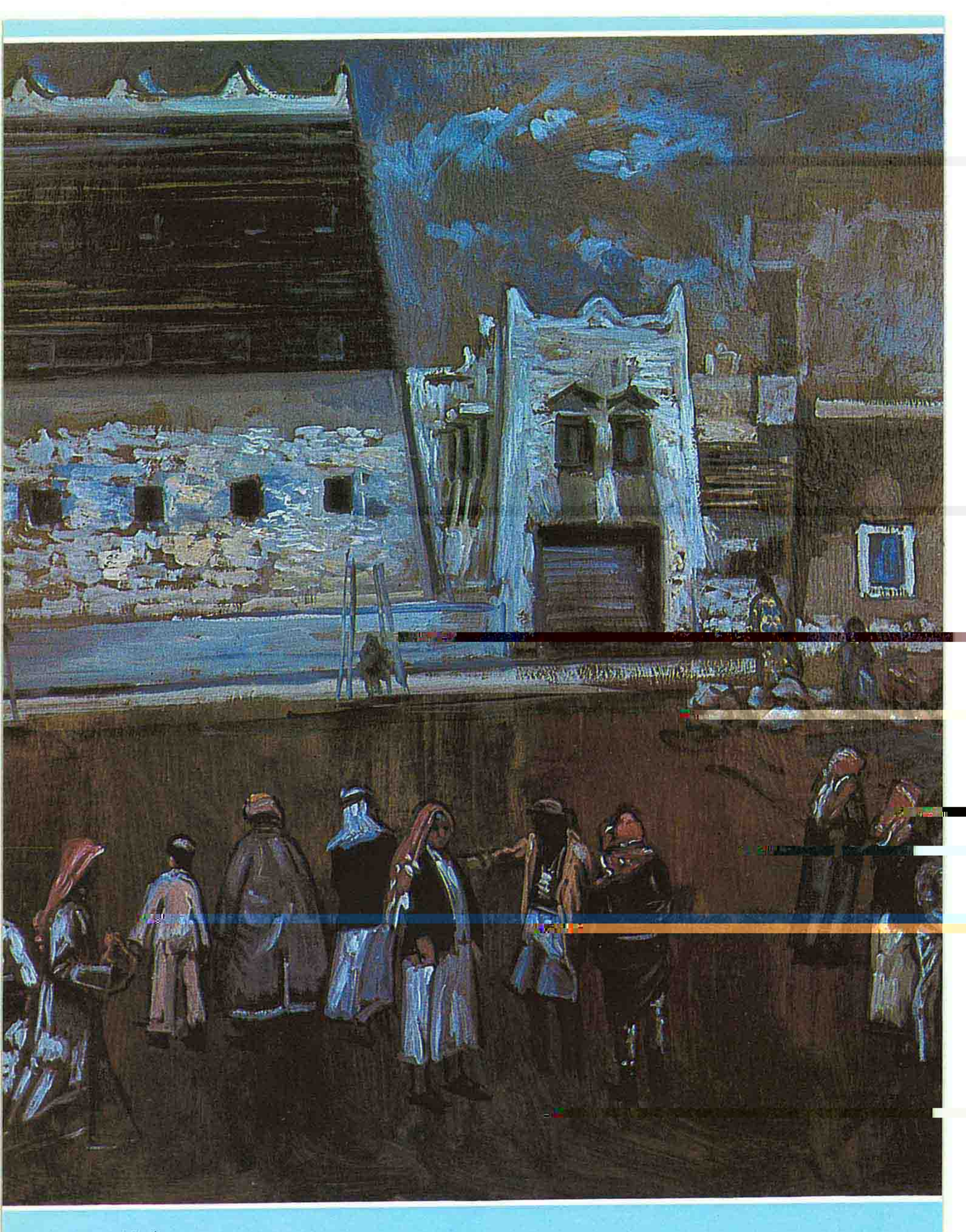
● أقام ٣٦ معرضاً شخصياً لأعماله الفنية في مدن مختلفة منها: مونت كارلو ــ نيويورك ــ بوستن ــ سان فرانسيسكو ــ واشنطن ــ باريس ــ روما ــ اليابان ــ بيروت.

● آخر معرض شخصي لأعماله الفنية أقيم بمدينة «كان» في فرنسا في الفترة من ٥ ــ ٢٥ أغسطس (آب) ١٩٨١م.

● أنجز عدداً كبيراً من اللوحات، ومن ضمنها ٦٠ لوحة معروضة بقاعة الملك فيصل للمؤتمرات بالرياض.. وقد استمد موضوعاتها من البيئة والتاريخ السعودي، وقد جاءت تلك اللوحات نتيجة زيارته لعدة مدن بالسعودية ومنها أبها ــ الدرعية ــ الزلفي ــ حائل ــ شرورة ــ بالإضافة إلى زيارته لمدائن صالح التاريخية.

● رسم صوراً شخصية لعديد من كبار الشخصيات نذكر منهم: جلالة المغفور له الملك عبد العزيز ــ جلالة المغفور له الملك فيصل ــ جلالة المغفور له الملك خالد ــ جلالة الملك فهد بن عبد العزيز.

● نشر عن معارضه التي أقامها وعن أعماله الفنية في الصحف والمجلات منها: الفيجارو الفرنسية ــ باري ماتش ــ نيس ماتان ــ المساء اليومية بفرنسا ــ صوت الشمال ــ وصحيفة الشرق ــ ومجلة الصياد بلبنان ــ وصحيفة الجزيرة بالسعودية.



كـــون

Cosmos

سحابة ماجلان ثالثة اصطدمت بمجرتنا

(كانبيرا (أستراليا)
(Canberra (Australia) :

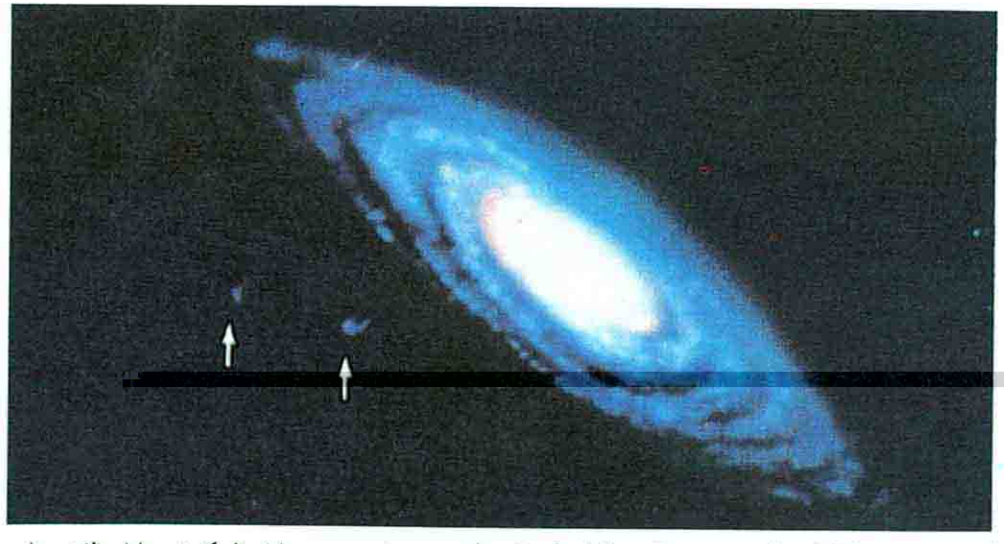
بينما كان **ماجلان** يبحر حول العالم في عام (١٥٢٠ م)، لاحظ في السماء سحابتين مضيئتين تظلان ثابتتين في مكانهما في **نصف الكرة الشمالي ليلة بعد ليلة ..** وهما أقرب المجرات في السماء إلى مجرتنا **الطريق اللبني** Milky Way .. والكشف الجديد الذي أعلنه عالم الفضاء (**الكسندر روجرز** Alexander Rodgers) من جامعة أستراليا الوطنية يثبت بأنه كان هناك سحابة ماجلان ثالثة مع السحابتين، وقد اختفت هذه السحابة بعد أن تصادمت في صدام مروّع مع مجرتنا الطريق اللبني، ونظريته الجديدة هذه تفسّر ملاحظات رصده التي أدهشت العالم والتي بيّنت نشأة هالة halo مجرة طريق التبانة (والهالة هي مجموعة النجوم stars والغاز الكوني gas الذي يلتف حول قرص disk المجرة) .. ويفترض روجرز بأن الهالة قد تكوّنت قبل تكوّن قرص المجرة ـ بعكس ما يظن العلماء ـ وذلك عندما بدأت مادة سحابة الغاز الكونية الكبيرة تتكثف وتتمركز لتكوّن المجرة وتأخذ الشكل الكروي، وكان غاز الهيدروجين وغاز الهليوم، هما الغازان الرئيسيان في السحابة، ومادة نجوم الهالة تتكون بشكل رئيسي من هذين الغازين، والعناصر الثقيلة قليلة جداً، لأنها تتكوّن من جرّاء التفاعلات النووية الهائلة أثناء تطوّر evolution المجرة خلال عمرها الطويل الذي يقدر بـ (١٠ ـ ١٥) ألف مليون عام.

وبيّن روجرز من خلال رصده الدائب لنجوم المجرة بأن نجوماً كثيرة في (الهالة) يتشابه تركيبها الكيميائي مع تركيب النجوم الحديثة النشأة ومع نجوم القرص الغنية بالمعادن .. وأن التفسير الصحيح لهذه الظواهر الجديدة على العلم الكوني يكمن في اختفاء سحابة ماجلان ثالثة كانت موجودة مع رفيقتيها منذ (٢٠٠٠) مليون عام، بعد صدامها المروّع مع مجرتنا، وأنه إذا صحّ هذا التفسير الجديد لظاهرة تكوّن ونشوء نجوم الهالة والقرص ـ وهو تفسير مغاير لفرضيات العلماء عن تكوّن المجرات ـ فإن هذه السحابة الثالثة لن يزيد حجمها عن (واحد) في الألف من حجم مجرتنا، وأنها قد تلاشت بعدما اندمجت مادتها في مادة قرص مجرة الطريق اللبني، وتكوّنت النجوم من أسر ذرات غاز المجرة لغاز السحابة نتيجة **لموجات التصادم** (shockwaves) العنيفة .. وهذا يفسّر كون النجوم الجديدة غنية بالمعادن.

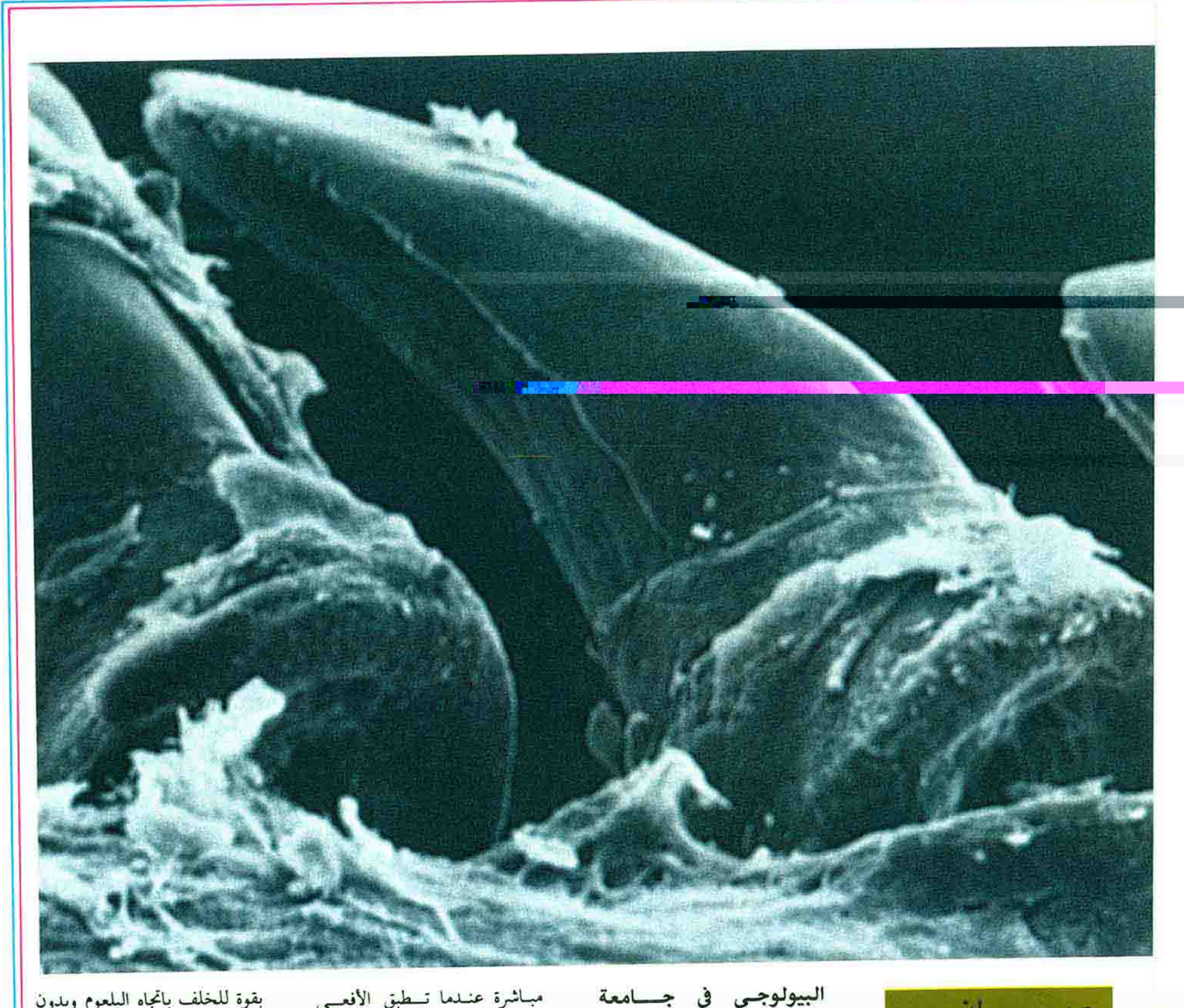
ونظرية روجرز هذه افتراض أساسي جريء قد ينسف كل نظريات علماء الكونيات عن تكوّن ونشوء وتطوّر المجرات، وهو أول رأي يقول إن مجرتنا اصطدمت مع مجرة أخرى .. وعلماء الكون وعلماء الفضاء يمسحون السماء الآن للتحقق من صحة هذا الرأي الجريء ..

ويقول عالم الفضاء (**ستيف شيكمان** Steve shectman) من **مرصد جبل ولسون في كاليفورنيا**، إن نجوم الهالة يمكن أن تختلط مع نجوم القرص .. وإذا لم يكن كذلك .. **فكيف نفسّر وجود نجوم الهالة في قرص المجرة** ؟ .

ونشاهد في **الصورة** مجرتنا وفي وسطها القرص (الملتهب المضيء)، وحوله الهالة، ثم **سحابتي ماجلان** المشار إليهما بالأسهم .. وأما **السحابة الثالثة** فقد تلاشت مادتها ودخلت في تكوين نجوم مجرتنا .. علماً بأن **في مجرتنا ما يزيد على (١٣٠) ألف مليون نجم** .







حيــوان

Animal

أسنان الثعبان

(نيــويورك New York)

لا يوجد حيوان ببراعة الثعبان في ابتكار الحيل والخداع لقنص الفــرائس .. العــالم البيولوجي في جــامعة كورنل الأميريكية وجد بأن (٣٠) نوعاً من الأفاعي (من بينها أفاعي ذات إشعاع حراري في آسيا وأفاعي مـاكرة في إفريقيا) لها في فمها أسنان ذات ثنيات (معقوفة) لداخل الفم باتجاه البلعوم، وهذه الأسنان متمفصلة بحيث تتجه إلى الخلف مباشرة عندما تطبق الأفعى snake على الفريسة وتضغط عليها .. وعندما تبتلع الأفعى عظاءة (سحلية) صغيرة shink لا تعمل هذه الأسنان، ولكن عندما تبتلع عظاءة كبيرة lizard لها جلد قاس خشن فإن الأسنان تلتصق بباطن الحنك jaw ذو النسيج الليّن وتدفع بالفريسة بقوة للخلف باتجاه البلعوم وبدون أي أذىً للأسنان، كما أنها تشكل حاجزاً يسد باب الهروب أمام الفريسة من الفم، علماً بأن الأفعى تبتلع فريستها بدءً من الفم .. وفي الصورة نرى أسنان الأفعى مكبّرة (٣٠٠) مرة ونلاحظ انثناءاتها وتمفصلها بوضوح .



نحن هنا
قم بزيارتنا
مكتبة تهامة
عنوان المكتبة
الرياض - خلف شارع الضباب - مجمع الشركة العقارية السعودية - ت ٤٠١٢٩٦٩
مكتبة تهامة
الغرفة التجارية
شارع الضباب
الوزارات
شارع المطار
فندق قصر الرياض
بنده



شعر: أحمد مرتضى عبده

يدور العام دورته ... ويُصبح للصدى كلماتْ
ووحدك أنت، لا ظلٌ ... يخفف وقدة الكلماتْ
وحول القلب أشواك ... نَمت في وردها الآهاتْ
وحسبك بالذي يمضي ... وحسبك بالهوى.. أشتاتْ
ستمشي طالما عشتَ ... وتلفظ آخر الساعاتْ
سيسقط حولك الماضي ... وآتٍ لا يرى ما فاتْ
ويهجر روضك الشعرُ ... وترفع للردى.. راياتْ

* * *

ويمضي الكون معموراً ... فلستَ بآخر الخطواتْ
سيأتي بعدك الآتي ... فلا تكتبْ.. فلان ماتْ
ستصبح دونما ذكرى ... فليس الذكر للأمواتْ
لأن الشعر في وطني ... غريب دونما نبضاتْ
لأن الحب قد أنسى ... وذاب بصَمْتهِ الإنصاتْ
ستصبح دونما عقل ... فقد جُنَّ الورى بالقاتْ
وأين العدل.. واحزنا ... ومنا موته يقتاتْ
يدور العام دورته ... ويصبح للصدى كلماتْ
فلا تحزن ولا تيأس ... لأن زماننا كاساتْ
لمن يدفع.. ومن يشري ... بقايا آخر الساعاتْ

* * *

ويمضي اليوم في ساعة ... تجف بصدرها القطراتْ
فلا أحدٌ هوى أحداً ... فقد فُصمَ العُرى.. أقواتْ
وما صرنا غريبونا ... برغم تقارب الخطواتْ
زمان ذاك أم منفى ... سكونٌ ذاك أم أصواتْ
لقد جرنا صدىً فيه ... ولسنا نملك النبراتْ
تعالى الله من زمن ... تضيق بطرفه العبراتْ



ودورها في تنمية البلاد العربية

بقلم: د. محمود عبد القوي زهران

يعتبر النقص في الإنتاج الحيواني واللحوم أحد المشاكل الهامة التي تواجه المناطق الجافة بصفة عامة حيث تقع معظم البلاد العربية وأخصها دول الخليج العربي ومصر، وهذا يعود أصلاً إلى نقص العلف الحيواني الأخضر والجاف، لهذا فإن تلك البلاد تعتمد في توفير اللحوم لمواطنيها على استيراد الماشية أو اللحوم وكذلك تستورد الأعلاف الجافة لتغذية حيواناتها المحلية صيفاً حيث تقل كميات العلف الأخضر كثيراً.



★ صورة عن قرب توضح تفرع نباتات الكوخيا ★

ومن ثم فإن العلماء العرب المختصين (علماء البيئة النباتية والمراعي) لا بد لهم من البحث عن حل لهذه المشكلة لتوفير الأغذية الخضراء والجافة للحيوانات على طول السنة صيفاً وشتاءً وبكميات وفيرة تكفي لتغذية الحيوانات وإنتاج اللحوم بكميات كبيرة تغطي احتياجات المواطنين ليكون لديهم اكتفاء ذاتي من اللحوم، وهذا ما يزيدهم قوة ومنعة واعتماداً على النفس دون الحاجة إلى الغير... فما دمنا في العالم العربي نطلب من غيرنا تغذية مواطنينا فلن تكون لدينا اليد العليا على الإطلاق.

أوضح كاتب هذا المقال في مقالتين سابقتين

★ أحد طلبة الدراسات العليا السعوديين بكلية الأرصاد والدراسات البيئية يدون ملاحظاته عن النباتات خلال شهر مايو (أيار) ١٩٨١م ★



★ غطاء نباتي كثيف (١٠٠٪) لنباتات الكوخيا بعد ٤ شهور من الزراعة يوليو (تموز) ١٩٨١م ★

(أعداد مجلة «الفيصل» رقم ٥٥ ورقم ٦٠) الأهمية الاقتصادية لنباتين محليين هما نبات السمار المر Juncus ونبات الشورة Avicennia حيث يمكن استغلال الإنتاج الخضري من النبات الأول في صناعة الورق، أما الثاني فيمكن أن تشجر به سواحل البلاد العربية. وفي هذا المقال يضيف الكاتب نباتاً ملحياً ثالثاً ينمو بالأراضي المالحة، ويتحمل الملوحة والجفاف ستكون له بإذن الله أهمية كبرى في تنمية البيئة بالبلاد العربية حيث أنه يصلح كنبات مراعي، وهذا النبات يطلق عليه علمياً **الكوخيا Kochia**.

الكوخيا.. وأماكن وجوده

يشمل جنس نبات الكوخيا على عدد من الأنواع النباتية التي تتحمل الجفاف مثل **Kochia Scoparia** وتلك التي تتحمل الملوحة مثل **Kochia Indica** وقد جذبت هذه النباتات انتباه علماء البيئة النباتية في بعض بلاد العالم مثل **الولايات المتحدة الأمريكية ـ روسيا ـ الهند ـ مصر... إلخ، وذلك لأن الحيوانات المنتجة للحوم تقبل إقبالا كبيراً على رعي هذه النباتات التي تحتوي على نسبة عالية من المواد الغذائية. وقد قام هؤلاء العلماء بدراسة بعض أنواع نباتات الكوخيا في مناطق نموها البرية قبيل اقتراح إدخال زراعتها كمحصول مراعي غير تقليدي، وقد أوضحت تلك الدراسات أن نبات الكوخيا يتحمل بالفعل ظروف الجفاف بالجو والملوحة بالتربة بنسبة عالية حيث تنمو في بعض المناطق المالحة الساحلية والداخلية.**

وقد قام كاتب هذا المقال بدراسة نباتات الكوخيا في مصر والسعودية واشتملت الدراسة على شعبتين رئيسيتين هما:

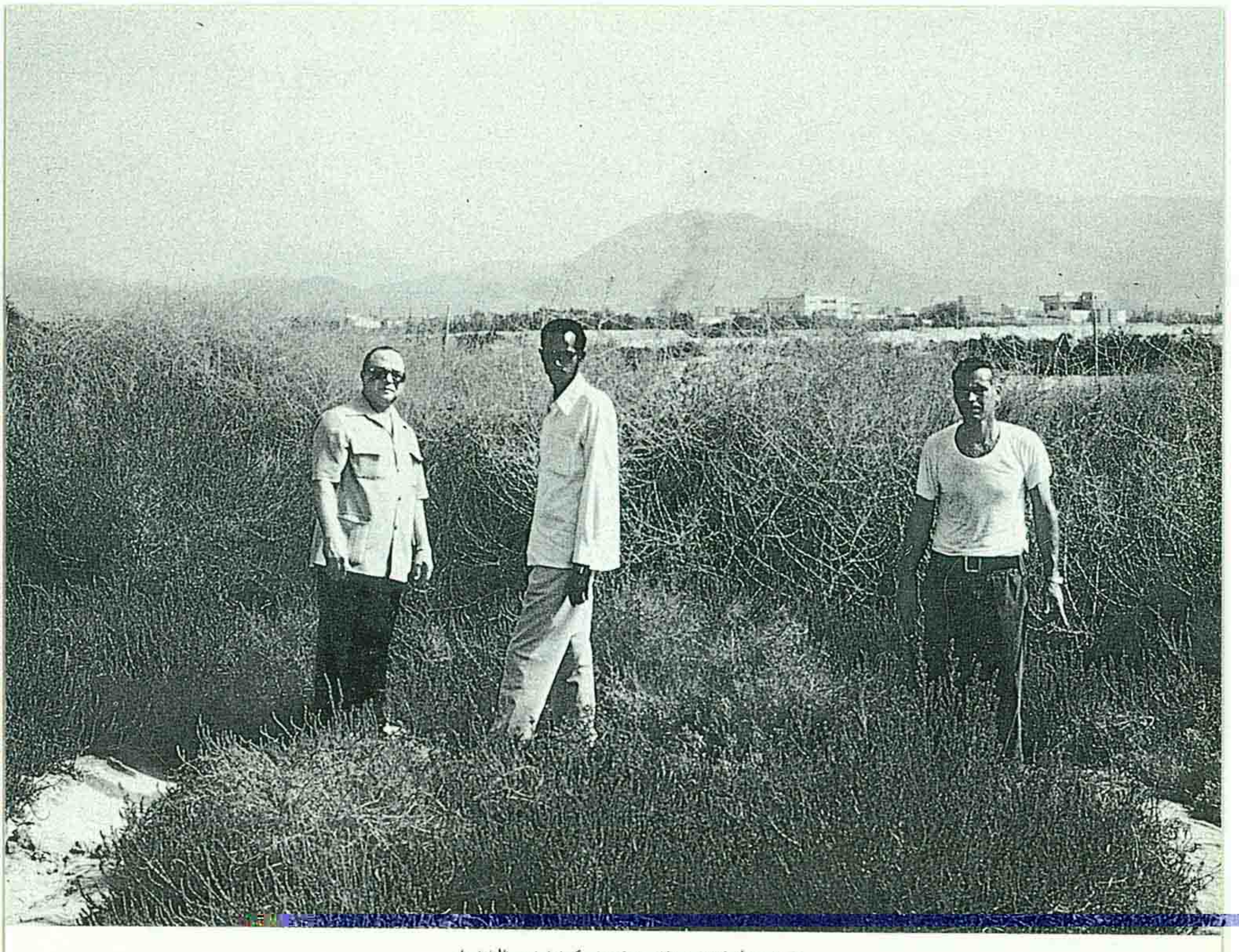
(١) دراسة تواجد وتوزيع نباتات الكوخيا طبيعياً في هذين البلدين العربيين.

(٢) إجراء تجارب على استزراع هذه النباتات.

وأوضحت تلك الدراسات أن نبات الكوخيا نوع **أنديكا** K. Indica ينمو في منطقة ساحل البحر الأبيض المتوسط، ودلتا النيل **بمصر** ويقل تواجده جنوباً. أما في السعودية فهذا النبات يندر تواجده إلا في **منطقة القصيم**. وتبين كذلك أن هذا النبات ينمو بالتربة المالحة وعلى الكثبان الرملية ويبدأ ظهور بوادره في خلال شهر فبراير (شباط) من كل عام، ويستمر نموه تدريجياً حتى يصل النبات إلى قمة نموه الخضري بطول قدره متران، وبتفرعات عديدة خلال شهري يونيو ويوليو (حزيران وتموز)، وهذا يعني أن محصوله الخضري الذي يستخدم للرعي سيكون صيفاً وهذه ميزة أخرى لهذا النبات لأن الحيوانات ستجد غذاء أخضر خلال الصيف الذي تجف فيه معظم نباتات المراعي.

وقد أجريت التجارب العلمية لمعرفة مدى





★ كوخيا أنديكا (من الخلف) وكوخيا سكوباريا (من الأمام) ★

نباتات الكوخيا

تحمل هذا النبات للملوحة بالتربة (رملية ــ طينية) ونوعية التغذية والمعادن التي يجب توافرها بالتربة ليعطي النبات إنتاجاً خضرياً أعلى، وتوصل الكاتب إلى نتاج علمية هامة أعطته الضوء الأخضر ليبدأ في تجربة زراعية نبات الكوخيا انديكا **Kochia Indica** في الحقل مباشرة في أراضي مالحة لا تصلح لزراعة النباتات التقليدية الأخرى.

وبالفعل تم اختيار أرض التجربة في مزرعة خاصة لأحد الأثرياء السعوديين في منطقة بحرة ما بين جدة ومكة حيث الأرض مالحة والمياه الإرتوازية المالحة متوفرة من الآبار، وقد رحب الجميع بتلك التجارب لأنهم توسموا فيها الخير حيث ستخضر أرض جرداء بنباتات مراعي تتغذى عليها الماشية ومن ثم زيادة الثروة الحيوانية، وقد تبنت **كلية الارصاد والدراسات البيئية بجامعة الملك عبد العزيز بجدة** [التي يعمل فيها كاتب هذا المقال] تلك التجارب واهتمت اهتماماً بالغاً بتنفيذها، وبعد إعداد الأرض للتجربة **تمت زراعة نوعي نبات الكوخيا النوع الأول كوخيا أنديكا Kochia Indica أحضرت بذوره من ولاية تكساس بأمريكا** حيث الظروف البيئية تكاد تكون متماثلة للسعودية. ولم تقتصر التجربة على نباتات الكوخيا بل جربت زراعة نباتات مراعي أخرى مثل نبات حشيشة السودان، وأنواع من نباتات القطف، وذلك لعمل مقارنة على مدى تحمل هذه النباتات للظروف البيئية السائدة في أرض التجربة التي تروى بمياه الآبار المالحة ومدى نجاحها أو عدم نجاحها لاختيار الأصلح منها، ولا تزال التجربة في مهدها حيث بدأت العمل بها ابتداء من ١٥ فبراير (شباط) ١٩٨٠م.

والأمل كبير في الحصول على نتائج إيجابية سيكون لها بإذن الله شأن كبير ليس فقط في السعودية بل وفي البلاد العربية الأخرى.

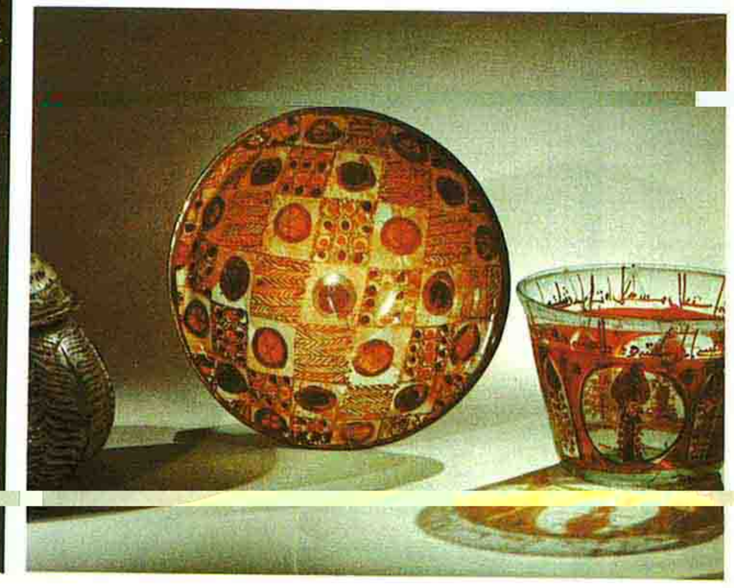


مكتبة تهامة
الجديدة
طريقك
لمزيد من المعرفة
أخي القارئ .. مكتبة تهامة الجديدة تتيح لك فرصة الحصول على مختلف الكتب والمراجع العربية والاجنبية التي تناسب كافة المستويات . وتحقق جميع الرغبات . منها الكتب العلمية ، والثقافية ، والتاريخية . ومجموعة القواميس . وتعليم اللغات . بالاضافة الى كتب للاطفال . الى جانب الصحف اليومية والمجلات الاسبوعية والشهرية ..
.. بقي أن تعرف أن مساحة المكتبة ٧٥٠ متر مربع ..
نحن هنا
مكتبة تهامة
قم بزيارتنا
مكتبة تهامة
شارع المطار
الوزارات
عنوان المكتبة
الرياض ـ خلف شارع الضباب ـ مجمع الشركة العقارية السعودية ـ ت ٤٠١٢٩٦٩

إنــه سائل رغم صلابتــه!

بقلم: د. محمد نبهان سويلم





يتردّد على الأفواه قول مأثور ينصح الإنسان بعدم قذف الناس بالحجارة طالما بيته من زجاج. والقول إلى جانب حكمته الواضحة، يُشير ضمنياً إلى دلالة علمية مؤداها أن الزجاج مادة «هشة» لا تحتمل الصدم أو الطرق، كما يشير إلى دلالة تاريخية تؤكد معرفة البشرية للزجاج منذ أزمان بعيدة، وإلا لما انتشر القول على ألسنة الناس حتى صار مثلاً شعبياً تنبع منه حكمة مؤكدة.

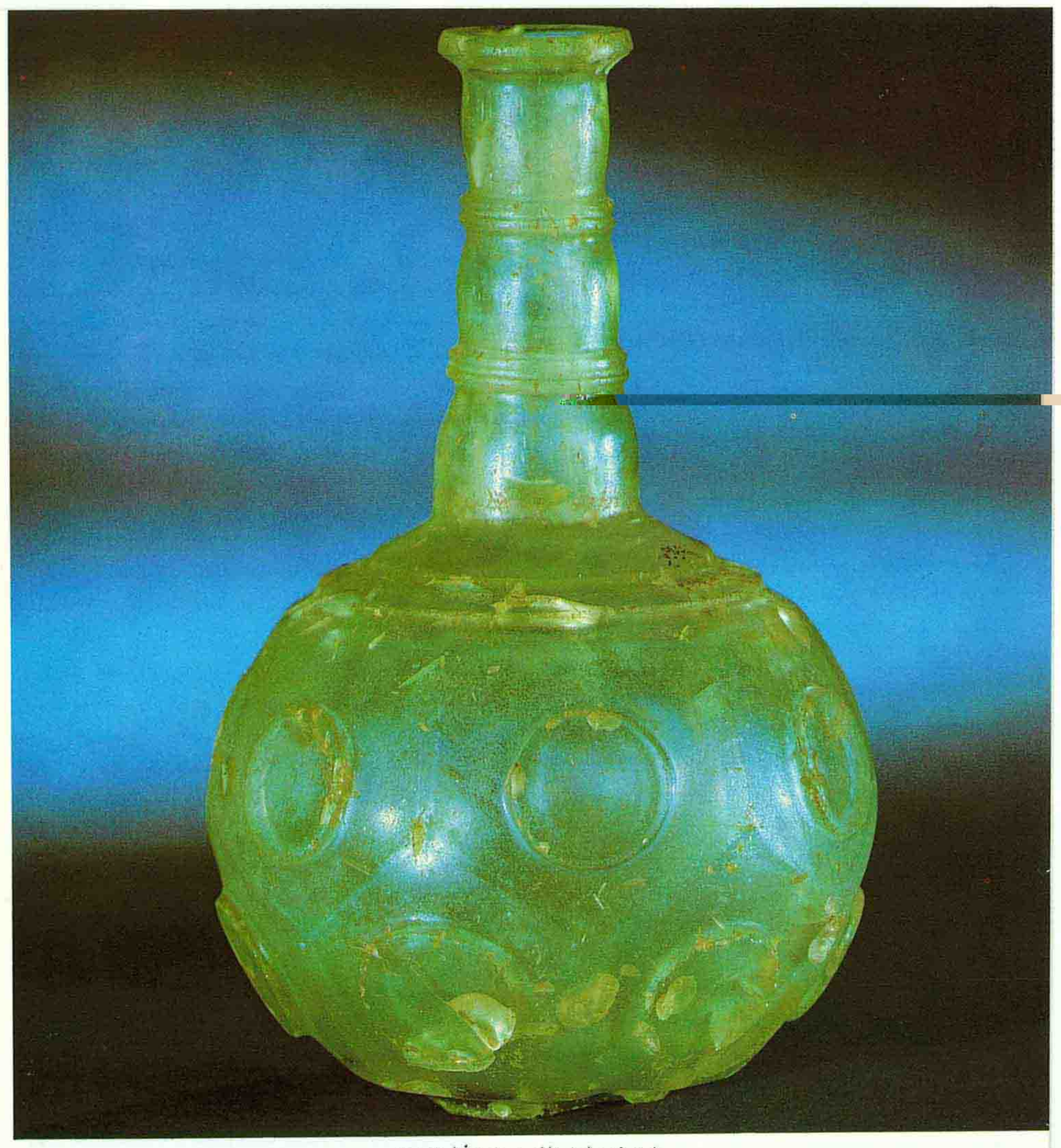
الزجاج والتاريخ والعرب

في رحلة الزجاج الضاربة في أعماق التاريخ البشري صار من البديهيات التي لا خلاف عليها أن **مصر** عرفت **صناعة الزجاج وتشكيله** قبل أي دولة أخرى من العالم القديم أو الحديث. فقد أثبت الأثريون هذه الحقيقة بما عثروا عليه من أوانٍ وقدور زجاجية بدائية يرتد تاريخها إلى ٤٠٠٠ سنة خلت إبان عهد الأسرة الثامنة عشرة.

والفراعنة في حقيقة الأمر لم يبتكروا الزجاج بل كشفوا سراً من أسرار صناعات الطبيعة وكتموا سرهم داخل المعابد وأحاط الكهنة أسرار المهنة فلم تعرف أساليبها إلا في آونة لاحقة.



★ نماذج لآنية مصنوعة من الزجاج، في أشكال فنية مختلفة، تمثل الزخارف الإسلامية الأصيلة ★



★ زهرية من الزجاج الخالص صنعت قديماً في الشرق ★

الوثائق التاريخية لم تذكر تصريحاً أو تلميحاً كيف عرف الفراعنة صناعة الزجاج ، وفض الأثريون أيديهم من هذه الجزئية وتدبرها عنهم آخرون بالحدس والخيال ، وجاء التفسير العلمي متوافقاً مع منطقية الأمر ، ورد الأمر كله إلى نظرية **تكنولوجيا الصدفة** أو **صناعة الطبيعة** .

فالأرض وفق تكوينها **الجيولوجي** تحتوي على خامات الزجاج ، ويندر وجود رقعة من القشرة الأرضية لا تحتوي على **الرمل وحجر الجير وأكاسيد الاقلاء** ، وتأتي الصدفة عملها ، مع نشوب حريق وتختلط النار بالرماد بثرى الأرض وينصهر الرمل والجير ويسيل مصهور الزجاج على حبات الثرى ويتصلد فور خمود النيران .

والبقية معروفة .. انبهر الإنسان الأول بتلك العروق اللامعة فترصد الأمر وأعمل الذهن .. واكتشف اللعبة .. وصنع الزجاج .

الصناعة على يد الرومان

عندما دقت جيوش **الإمبراطورية الرومانية** باب مصر الفرعونية شُدِهَ الغُزاة بالزجاج وجمعوا الصناع من **الإسكندرية** عاصمة الدولة آنذاك ، وتحولت المدينة إلى مجتمع الزجاجين وإلى معهد علم وفن امتدت إشراقاته إلى **بابل وآشور** شرقاً **وتونس والمغرب والأندلس** غرباً وشمالا إلى **أوروبا** عبر **روما** .

ودارت الأيام دورتها وهبت عواصف الدمار على الإمبراطورية الرومانية ومن يومها لم يعد لمدينة الإسكندرية شأن يذكر في صناعة الزجاج ، لكن عندما دخل الإسلام مصر واستقرت الأوضاع فيها تألق الصانع القاهري وأخرج أعمالا زجاجية غاية في التأنق والدقة ، وأضاف السوريون والعراقيون تقنية نفخ الزجاج ، وأعمل الأندلسيون وأهل المغرب فكرهم في التذهيب والزخرفة ، فقدموا للفن والعلم قطوف العقل السليم وصارت صناعة لها قواعد وأصول وضوابط وأحلها الناس محل الأواني الذهبية والفضية .

غرائب الزجاج

الزجاج مركب كيميائي يضم في أعماقه خصائص متناقضة قل توافرها في مادة أخرى لدرجة تدهش وتجعل الإنسان يقف حيالها متعجباً من هذا التباين الصارخ .

الزجاج أصلب المواد المعروفة ـ حتى الصلب ـ ولا يخدشه سوى **الماس** ، ومع ذلك يتأثر من جراء لمسه براحة اليد ويصيبه العرق بالتآكل والنخر . وبينما يستطيع مكعب زجاجي جيد الصنع احتمال الأوزان الساكنة أكثر مما يستطيع مكعب آخر يماثله من الصلب ، نجد الزجاج لا يقوى على الصمود أمام الطرق أو الصدم وينهار تحت ضربات المطارق .

والزجاج لا يحتمل الشد ويمكن كسر ساق زجاجية إذا شدت من طرفيها ، لكن نفس المادة لو صنعت بطريقة خاصة يمكنها تحمل الشد بما يناهز ٥٠٠,٠٠٠ كيلوغرام على **وحدة المساحة (سم٢)** ويتفوق الزجاج على أشد المعادن قسوة وصلابة .

ومادة الزجاج إذا أردنا تعريفاً علمياً مبسطاً لها ، فالعلم يقول قولا غريباً يناقض ما يراه ويلمسه الناس عن الزجاج بأنه مادة صلبة بينما يراه العلماء سائلاً تحت التبريد ، ولو كان مادة صلبة حقيقة لما أمكن الحصول عليه شفافاً رائعاً يسمح للضوء بالمرور عبره والرؤية من خلاله .

الزجاج أنواع

أنواع كثيرة لا حد لها ولا حصر ، هناك **الزجاج الذائب في الماء** وهو نوع من أهم السلع الصناعية التي تدخل طرفاً هاماً في عديد من الصناعات ، ومحلوله يطلى به البيض حماية له من التلف ، وتغمر فيه الستائر فتصبح مقاومة للحرائق ، كما يستخدم في لصق ورق الحائط ، وإذا أضيف إلى الصابون والمنظفات الصناعية اكتسبا خصائص تنظيف عالية الجودة .

وهناك **الزجاج الطبي** عديم الذوبان في الماء ويتحمل **الكيمياويات الدوائية** ويقاوم فعلها الآكل والناخر .

وزجاج الأفران الذي تتباهى به المنازل وتضعه متصدراً موائد الطعام ، مادته تكونت من **مصهور الرمل (٨١٪)** وقدر محدود من **البوركس (١٢٪)** وقليل من **أكسيد الألومنيوم (٢٪)** وبعض أكاسيد الاقلاء ، ويتفوق هذا الزجاج على الزجاج العادي بأنه لا يتمدد بالحرارة أو ينكمش بالبرودة ويتحمل الصدمات الحرارية دون أن ينكسر ، ويمكن لربة البيت رفع الآنية الزجاجية من الفرن إلى الثلاجة مباشرة دون خوف أو وجل .

والصناعة لم تقف عند حد عن الابتكار والتجديد والابتداع ، فمنذ سنوات قريبة سجل أميريكي اختراع صناعة زجاج يحس بالضوء وينفعل به ، فإذا كان الضوء كثيفاً تحول إلى اللون الداكن وإذا وهنت الإضاءة عادت إليه الشفافية وأضحى رائقاً لامعاً لا يحجب ضوءً ولا يقلل من الرؤية .

وفور الاكتشاف أدمج الزجاج في صناعة زجاج الطائرات والنظارات الشمسية والطبية وفي إنتاج سيارات فاخرة .

واليوم يأتي العلم بالجديد والطريف وغداً سوف يستخدم الزجاج بديلاً عن الأسلاك المعدنية ، وسوف يتم الاتصال الهاتفي عبر خيوط زجاجية أحسنت صنعاً ، لكنها لن تنقل موجات كهربية إنما يتم الاتصال ضوئياً .

وفي **كوريا** يرتدي مواطنوها أقمشة شعبية زجاجية تغزل خيوطها عبر أسطوانات حديدية خاصة ويسيل الزجاج ويخرج خيوطاً دقيقة رقيقة تمتاز بالقوة والمتانة ، وهذه الملابس دعت المهندس **طاهر الشافعي** إلى القول إنهم يصنعون الملابس من الأحجار والرمال . . وهذه حقيقة .

وأنواع الزجاج لا تنتهي ، وخيوطه لها فضل على الناس كبير نراها في صناعة السيارات البلاستيك ، والقوارب والأثاث والملابس الواقية من النيران والستائر المعدنية غير القابلة للحرق ، وهناك مصانع صنعت بأكملها من الزجاج وما صناعة الدواء عنا ببعيدة .

إن **الأصوات الشجية** من الإذاعة شارك في صنعها الزجاج ، ولولاه ما سمعت صوتاً يشدو ، فعلى عجلة فخارية دوارة تتساقط قطرات الزجاج فإذ بها تتناثر بعيداً مكونة الصوف الزجاجي الذي لولاه ما حسن عزل الصوت داخل استديوهات الإذاعة .

كل هذا ناهيك عن زجاج العدسات والأجهزة البصرية **والتليسكوبات** أو العيون الجبارة التي ترقب الفضاء وتهتك أستار الفراغ وترصد الكواكب والنجوم . . . وصناعة اللمبات الكهربية والصمامات الإلكترونية ومواد المائدة وغرف كاملة من الزجاج .

ماذا لو تبلور الزجاج

إذا حدث هذا . . وتبلور الزجاج . . ونفى عن ذاته أنه سائل تحت التبريد . . سوف يكتسب الزجاج **خواص الجوامد** . . ويومها لن يسمح



★ كأس من الزجاج .. في شكل زخرفي ★

بنفاذ الضوء أو الأشعة ، وسوف تنتظم عقد الذرات في ترتيب بلوري كالذي استعرضه الدكتور **عبد القادر المهندس** على صفحات « **الفيصل** » ، وعندها يصاب الزجاج بالتهشم ويتناثر قطعاً وشراذم .

باختصار شديد فإن الزجاج يفقد زجاجيته .

أليس غريباً ذلك؟ سؤال قد يتبادر إلى ذهن القارئ الكريم قائلاً معنى هذا أن الزجاج **حالة من حالات المادة** وليس اسماً أو مسمى يطلق على مادة كيميائية محددة .

نعم يا سيدي معك الحق كله ، فقد ثبت أن تبريد **الجلسرين** أو **الفينول** يعطيان مواد زجاجية ، وكلمة الزجاج لا تعني شيئاً سوى كونها مرادف مميز عن هذا السائل البارد من **مصهور الأكاسيد والرمل** .

الزجاج تحت الاجهاد

منذ بضع سنوات كان الأطفال الأوروبيون يلعبون بكرات زجاجية اسمها « **فقاعة الأمير** » عبارة عن كرة زجاجية في نهايتها طرف طويل مغلق ، وهي كرات صلبة لدرجة يمكن استخدامها مطرقة تدق عنق مسمار أو تطحن قطعة من السكر ، لكن إذا كسر الطرف الأخير توزع الاجهاد على الكرة وحطمها بسرعة فائقة وحولها إلى مسحوق غاية في الدقة والنعومة .

ولعل الاجهاد والشروخ من أبرز الأسباب التي أخرت صناعة اللمبات الكهربية النصف شفافة ، فالشروخ تتحرك في الزجاج بسرعة ٥٤٠٠ كيلومتر في الساعة ، وتصل في بعض الأنواع إلى ١٦،٠٠٠ كيلومتر في الساعة .

ففي الأيام الأولى وجد أن اللمبات الشفافة لا تلبي متطلبات الإضاءة الحديثة وجرت محاولات كثيرة لصنفرة السطح الخارجي ، فأضحى الزجاج جامعاً للأتربة ، وأعيدت المحاولات على السطح الداخلي فحدثت شروخ في اللمبات بمعدلات عالية .

وطرح الأمر وعرضت المشكلة على مشارح العلم واستطاع عالم عربي شاب يعيش في المهجر كشف سر اجهادات الزجاج وضبطها وفق معادلة رياضية وحدد لها الضوابط الطبيعية .. أي حدد الداء وأشار إلى الشروخ .. ثم خط الدواء وطلب معالجة الزجاج بحامض خفيف يلوي عنق الشروخ ويهذب من طباعها .

تكنولوجيا الزجاج

متى صهرت المكونات في الأفران سالت منه إلى خطوات متتالية إما بالصب أو السبك أو النفخ اليدوي أو التشكيل بالنفخ الآلي أو السحب بين الأسطوانات والدرافيل .

لكن هناك في جعبة الصانع عدة أكاسيد معدنية يضيفها إلى الزجاج للحصول على ألوان مختلفة ، **أكاسيد السيلتيوم** تكسب الزجاج اللون الأحمر القاني ، بينما **أكاسيد الكوبالت** تمنحه اللون الأزرق **وأكاسيد الكروم** تحوله إلى اللون الأخضر وإذا أضيف إليه **الفلسبار** كون الزجاج لوناً أبيض كاللبن ، بينما **ثاني أكسيد المنجنيز** يضفي عليه اللون البنفسجي .

وزجاج العدسات يجري صهره في بواتق **بلاتين** منعاً لاختلاطه بأي قدر من الشوائب ، وتعامل كتلة الزجاج يرفق ورقة ومعاملات حرارية غاية في التعقيد .

والعرب والمسلمون هم روّاد تأنيق الزجاج ، ويقول الأستاذ محمد الحسين عبد العزيز(*) إنهم اكتشفوا أطلية الزجاج المذهبة وأساليب الزخرفة لدرجة حملت البنادقة الإيطاليين وغيرهم على تقليد الأواني الزجاجية الإسلامية في أسلوب صناعتها وطريقة زخارفها ورسومها إعجاباً بها ولا زالت موضع تقدير مؤرخي الفنون لدقة رسومها وبديع زخارفها وجمال ألوانها .

الهوامش

* مجلة العربي ، العدد ٢١٥ ، ص ١٠١ .





★ مدخل مبنى الجمعية في كراتشي ★

جمعية نشر اللغة العربية في الباكستان



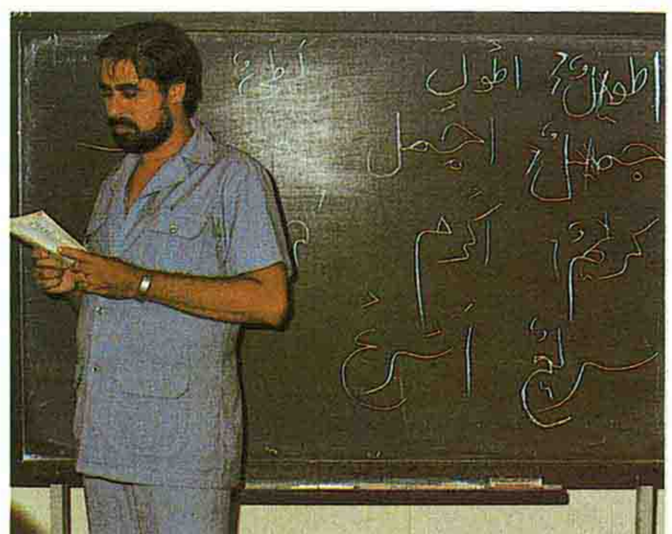
★ واجهة مبنى الجمعية ★

كانت اللغة العربية ــ وستظل بإذن الله ــ هي الجسر المتين الذي يربط البلاد العربية والإسلامية بعضها ببعض . . فإذا كان الاستعمار بكل صنوفه وأنواعه ، قد حاول تمزيق الصلات التي تربط الشعوب العربية والإسلامية ، كما حاولت الصليبية قبله ، والصهيونية من بعده ، إلا أن كل هذه المحاولات قد باءت بالفشل الذريع ، لما لاقته من مقاومة وكفاح مرير من شعوب هذه المنطقة . . لأن الروابط والعلاقات التي تشد هذه البلدان بعضها ببعض لا تقوم على المصالح ، أو تبادل الخدمات النفعية . . بل هي روابط روحية ، وعلاقات معنوية مستمدة من تمسك الجميع بالدين الإسلامي الذي يسمو بهم عن كل المنافع السياسية ، وتبادل الخدمات الاقتصادية . . ولأن لغة هذا الدين هي اللغة العربية ، فقد كان لهذا العامل أثره الكبير في دعم المقاومة ، وتعميق معاني الكفاح .

ولأن أعداء العرب والمسلمين ركّزوا خلال هجماتهم على تجهيل العربي والمسلم بلغته ، وفرض لغات أخرى ، كما أثاروا الشبهات الكاذبة عن الدين الإسلامي ، فقد وجدت شعوب هذه البلدان ، وقد استقلت أوطانهم ، أن من أهم الواجبات الاهتمام بكل ما له علاقة بالدين واللغة ، بل جعلوا هذا الهدف أول أهدافهم . . لهذا نجد أن كثيراً من

★ المكتبة ★





★ فصل دراسي من الداخل ★

الشعوب الإسلامية التي لا تتكلم العربية ، أخذت تهتم بتدريس اللغة العربية ، لأن معرفة العربية يعني معرفتهم بشؤون عقيدتهم .

من هذا المنطلق أنشئت الجمعيات ، والمعاهد ، والمدارس لتعليم اللغة العربية من جانب ، كما جعلت اللغة العربية في المدارس الإسلامية لغة أساسية في المناهج الدراسية من جانب آخر .

وقد زارت بعثة مجلة « **الفيصل** » إحدى هذه الجمعيات ، وهي « جمعية نشر اللغة العربية » في كراتشي بالباكستان . . والتقت بالقائمين عليها ، وتعرفت على المشكلات التي تعيق نشاطهم .

وانطلاقاً من الدور الذي تقوم به المجلة في اهتمامها باللغة العربية وشؤونها كجزء من اهتماماتها العديدة . . نقدم للقارئ الكريم هذا التعريف السريع بهذه الجمعية .

المؤتمر الإسلامي

في **لاهور** ٢٢ شباط (فبراير) ١٩٧٤ م ، كانت تتردد الفكرة في أذهان المؤتمرين ، وكانت شعوراً دافقاً في دماء المسلمين ، وما إن فرغ المؤتمر من انعقاده حتى تهيأت جماعة من ذوي المناصب الهامة في باكستان للقيام بهذا العبء الكبير ، وفي فترة وجيزة كان مبنى الجمعية يقف شامخاً

★ استراحة . . ونقاش عن العربية في حديقة الجمعية ★



وسط حي **منطقة (حديقة الجبل) بكراتشي** ، وهي منطقة عامرة بالسكان تنتهي إليها الطرق من كل جانب ، وتطوعت الكفاءات الإدارية والأكاديمية لتدفع بالجمعية إلى الأمام وأطلَّ فجر جديد بالاحتفاء وشرع العمل على قدم وساق ليحقق أهدافاً منها :

(١) تمكين أبناء الشعب الباكستاني المسلم من فهم القرآن الكريم بلغته .

(٢) تعزيز الروابط القائمة بصفة أوثق بين البلدان التي تتكلم العربية في آسيا وإفريقيا .

(٣) مساعدة أبناء باكستان للإلمام على أحسن وجه بالسيطرة على لغتهم الوطنية واللغات الإقليمية ، وكلها تتحكم فيها نسبة كبيرة من الألفاظ العربية .

نادي اللغة العربية

عبارة عن مدرج وردهة وكافتيريا ملحقة بمبنى الجمعية لإتاحة الفرصة للطلبة الذين يدرسون بالجمعية أن يتناولوا وجباتهم الخفيفة ويستطيعون أن يطبقوا ما درسوه عملياً بالتحدث مع بعضهم باللغة العربية حيث يمنع التحدث بأية لغة أخرى .

اللغة العربية . . وباكستان

باكستان هي الوطن لمسلمي شبه القارة في جنوب آسيا ، حيث تتفرد حياتهم بالروح الإسلامية . فالأكثرية المسلمة في باكستان قد هيأت للغة العربية سبل الوجود ، لأن القرآن الكريم وهو كتاب المسلمين قد نزل بالعربية فتحتم فهمه وتدبره بلغته الأصلية ، فوق أن الأحزاب والأوساط المثقفة قد أبدت ميلاً للأكثرية المسلمة ، وإن لم تكن اللغة العربية قد ذكرت نصاً ضمن الوثائق الدستورية الأولية لباكستان .

وخمد الحماس للغة العربية أكثر من عشرين سنة لكنه عاد صوتاً مدوياً





★ إفتتاح المبنى الجديد للجمعية ★

بعد أحداث سنة ١٩٧١ م ، وساعدت أحداث باكستان الداخلية والخارجية في طرح اللغة العربية ضمن مواد الدستور الباكستاني وأجيزت اللغة العربية في ١٢ نيسان (إبريل) ١٩٧٣ م .

وأبدت بعض المدارس الفكرية رفضاً لحركة اللغة العربية من حيث الأهمية التاريخية ، وقد أوضح **الأستاذ كمال أفضل** هذه الصراعات اللغوية ورد عليها وانتهى بها عند محك محلية اللغة وسياسة الغلبة اللغوية وجدال اللغة السوقية ولغة المستقبل ولا سيما أن ألوان المعارف الإنسانية الرفيعة قد دونت باللغة العربية بالقدر الذي دونت به في اللغات الأوروبية .

نظام الجمعية المالي

تعتمد الجمعية في تمويل خططها على **التبرعات** التي تصل إليها من مختلف الأشخاص والمؤسسات والهيئات التجارية وكانت في مجموعها عام ١٩٧٤ م ، (١٠٦٢١٤ روبية) وقد صادقت الحكومة الباكستانية على إعفاء الجمعية من الضرائب بموجب الفصل ١٥٠ من قانون دفع الضرائب لسنة ١٩٢٢ م .

ولكن المتاعب المالية لم تزل موجودة والحاجة ملحة للتوسع في المباني وتطوير خطة الدراسة زيادة على الأعداد التي ترد وتتزايد كل يوم .

وقد شاركت مشكورة بعض الدول العربية بالتبرعات ، وكذلك بعض الهيئات التجارية والمصرفية الداخلية ، لكن التوسع في خطط الدراسة ، وما يلزم من طبع للمناهج وإعداد الكتب والتطلع لشراء أراضي تلزم الجمعية للتوسع في بناء الفصول الدراسية ، والرغبة في استقطاب أساتذة من ذوي الخبرة المتخصصة يجعلنا نهيب بالدول العربية والجامعات والمؤسسات الخيرية أن تشارك جمعية اللغة العربية في باكستان لتحقق نشر اللغة العربية والدين الإسلامي ، في الوقت الذي نسمع فيه عن مراكز إسلامية وجمعيات لتعليم اللغة العربية قد قامت في مدن الغرب ذات برامج دراسية مخططة وأبنية حديثة وفخمة قد انهالت عليها التبرعات من كل جهة دون أن تتورط هذه المراكز في ضائقة مالية .



الخطة الدراسية في الجمعية

يخضع نظام الدراسة في الجمعية لما يأتي :

(١) حصص عربية أساسية :

خاصة بالطلبة المبتدئين وتكون بالأسلوب المباشر مع الاستعانة بجهاز السمع ، وفيها يلم المبتدئون بألفاظ اللغة العربية المطلوبة ، ويزود الطلبة بكتب مطالعة تساعد على التلقي الصحيح ويعقب ذلك امتحان كل أسبوعين للتأكد من الفائدة المحصلة .

(٢) حصص متقدمة :

خاصة بالطلبة الذين اجتازوا الامتحان الأساسي الابتدائي ، وتوفرت عندهم الرغبة للمتابعة ، ومدة هذه الفترة ٦ شهور يعقد بعدها امتحان .

(٣) حصص تنفيذية :

وهي حصص خاصة بكبار الموظفين في المؤسسات الكبرى ولهم الرغبة في تعلم اللغة العربية وأن ظروفهم العملية لا توفر لهم الوقت الكافي لتحقيق هذا الغرض .

(٤) الحصص الخاصة :

وهي حصص تمكن المؤسسات والمنظمات التي تريد أن يلم موظفوها باللغة العربية نسبة لحاجتها إلى ذلك وعقب إنهاء الطلبة لبرامج دراستهم توزع عليهم (دبلومات) توضح مدة الدراسة والحصيلة اللغوية التي حازوها .

★ جانب من الكتب المعروضة في المكتبة ★



★ صورة لبعض الشخصيات التي حضرت الإفتتاح ★

الأساتذة والمطبوعات

يقوم بالتدريس أساتذة من ذوي الخبرة العالية من **باكستان والسعودية ومصر**، وقد أعدت الجمعية كتباً للطلبة لمتابعة الحصص، ومعاجم لتساعد على إدراك ألفاظ اللغة العربية وكذلك أصدرت دراسات صغيرة لتعليم اللغة العربية لغير المسلمين وعدداً من المنشورات تتعلق باللغة العربية.

معهد اللغة العربية

تتطلع الجمعية إلى تأسيس معهد للغة العربية في كراتشي على الطريقة الحديثة مزود بقاعات للدروس تسع ٢٠٠ طالب مع مكتبة غنية بألوان المعارف ملحق بها مختبر لغوي.. وهذه التطلعات لا تستطيع الجمعية تحقيقها إلا بالدعم المالي، لهذا نوجه النداء إلى دول العالم العربي للتوجه لهذه الجمعية وأمثالها من أجل نشر اللغة العربية، في الوقت الذي تحرص فيه الدول الأوروبية لنشر لغاتها بفتح معاهد لها، ودعمها مالياً وأدبياً لتحقيق أهدافهم القومية.. ومن العار أن تظل اللغة العربية وهي لغة دين وعلم وحضارة وأدب في مؤخرة لغات العالم.

إن العالم الإسلامي، وغير الإسلامي لا يستطيع التعرف على ديننا، وبلادنا إلا من خلال لغتنا العربية، ونحن الآن أشد حاجة إلى الاهتمام بنشر العربية منه في أي وقت من الأوقات.

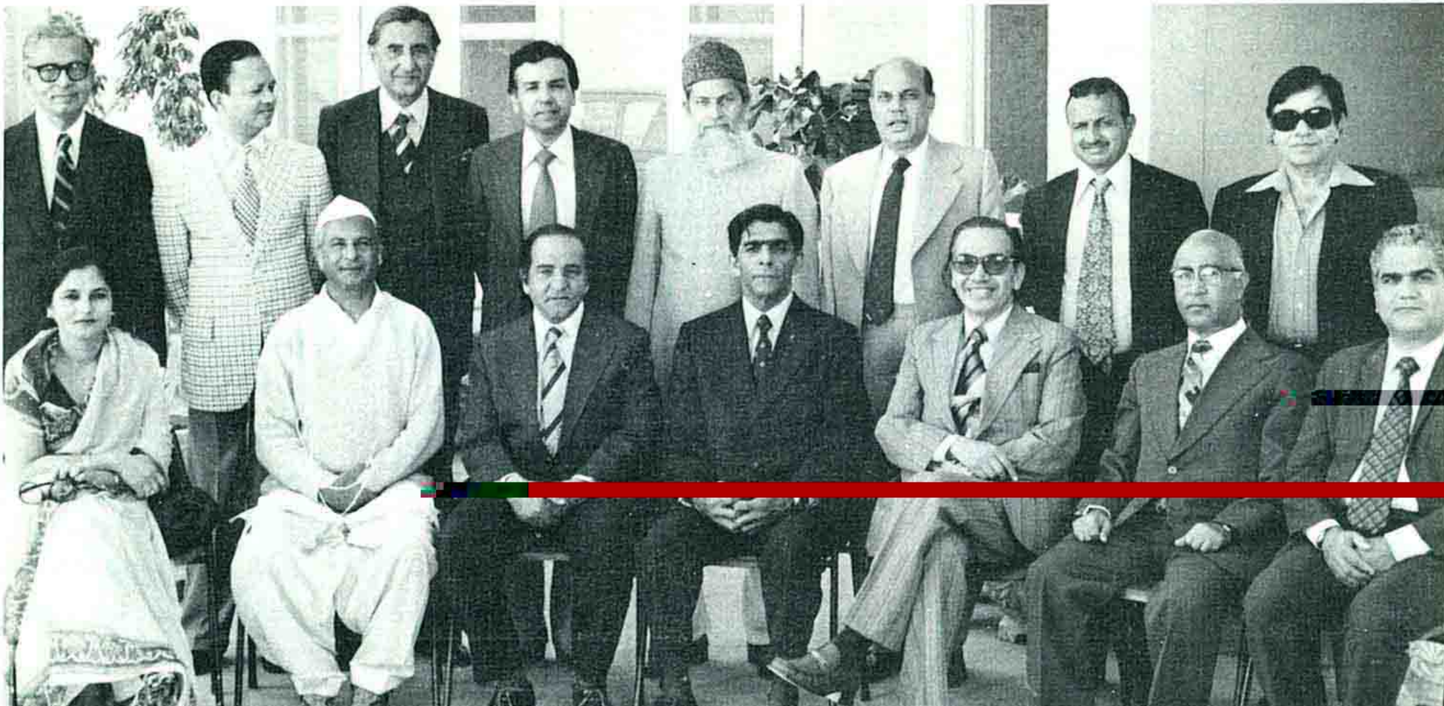
وجمعية نشر اللغة العربية في الباكستان تعاني عدداً من المشكلات كتوفير المدرسين لأن أغلب الذين يقومون بالتدريس هم من الطلبة العرب الذين يتلقون علومهم في الباكستان.



كما تعاني الجمعية عدم توفر الكتاب المدرسي، كما تعاني ضعف الأجهزة والوسائل الحديثة لتدريس اللغات.

ومن أهم واجبات الدول العربية الإسلامية القادرة الإسراع في دعم هذه الجمعية وتهيئة الجو المناسب لأداء رسالتها قبل أن تجبرها الظروف على قفل أبوابها.. خاصة إذا عرفنا أنها تقوم على جهود فردية، في الوقت الذي يجب أن تقوم مثل هذه الأعمال على جهود دول قادرة على البذل والعطاء والمساندة.. وأملنا كبير في استجابة الحكومات العربية والإسلامية.. والله الموفق.

★ صورة جامعة لمؤسسي الجمعية من الباكستانيين ★





مراكب الشمس

شيء من خيال آل فرعون، مبعثه الأصالة في تصور المكان، فالنيل على هذه الأرض كان - كما وصفه **عمرو بن العاص** - «يغمر الأرض، ويملأ حياضها حتى تشرق»، وكان الانتقال من مكان إلى مكان لا يتيسر إلا في خفاف الزوارق، وبذلك عُرف الانتقال في مصر أول الأمر على الماء، يصنعون له زوارق من أعواد نبات البردى، ثم يبنون له السفائن بعد ذلك بما توفر لديهم من خشب، فلما نظروا إلى السماء التي تظلهم، وتخيلوا الجنة التي يصيرون إليها من تحتهم، لم يتخيلوا مسيرة الشمس من المشرق إلى المغرب إلا على زورق من ذهب، ولم يتصوروا مسيرتها من المغرب إلى المشرق من تحت هذه الأرض، إلا على زورق يمخر بها عالم الظلام، إلى عالم النور.

فالسماء في خيالهم محيط لا يُشَق إلا على سفن والجنة من أسفل أرضهم مصر ثانية، يشقها نيل فياض، وتظلها سماء مقلوبة لا يشق محيطها إلا على زورق، فأما ذلك الزورق الخشبي الذي كشف عنه عام ١٩٥٤ م، جنوب هرم «خوفو»، وأطلقت عليه السفن خطأ «مركب الشمس»، فشيء آخر، إنه زورق عادي من الخشب طوله ٤٣,٥ م، وأقصى عرضه ٦ م، وأقصى ارتفاع بنائه ٧ م، يسير على الماء بعشرة مجاديف، ويوجه من دفة في مؤخرته، وتتوسطه قمرة من حجرتين وهو يعد مفخرة من مفاخر المصريين لا يعدو أن يكون زورقاً من تلك الزوارق التي استخدمها المصريون يومئذ في الاحتفال ببعض الأعياد والذكريات الدينية والدنيوية، شأنه في ذلك شأن تلك الزوارق التي كانت تستخدم في الاحتفال بوفاء النيل.

فأما دفنه إلى جوار الأهرام، وخاصة إلى جوار قبر الملك، فقد يكون مبعثه الوفاء لذكراه، فهو قد استخدمه في حياته، ولا ينبغي أن يستخدمه غيره بعد مماته، ذلك التقليد من تقاليد المصريين عرفه الأباء والأجداد في الماضي البعيد والقريب.

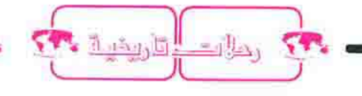
وكان المصريون القدماء يقومون برحلاتهم إلى **بلاد «بونط»** الواقعة حول **بوغاز باب المندب**، على الشاطئين الإفريقي والآسيوي، أي الصومال، وأريتريا، بين إفريقيا وشبه جزيرة العرب في آسيا، وقد تردد ذكره في مصر منذ عهد الأسرة الخامسة «٢٥٠٠ ق. م»، وكانت تقصد إليه بعثات التجارة بطريق البر حيناً، وبطريق البحر أحياناً على مراكب مثل هذه لجلب واستيراد منتجات هذه البلاد مثل البخور، والعطور، والذهب، والعاج، والأبنوس، وريش النعام، وبعض حيوانات الزينة، وأشهر قوافل التجارة التي كانت تستخدم سفناً تشبه «مراكب الشمس» هي تلك التي قامت أيام «**حتشبسوت**» وصورت حوادثها بمعبد «الدير البحري».

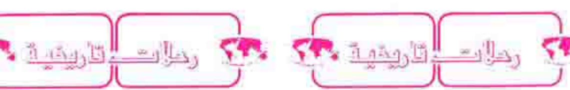
ويحاول البعض تحميل هذه الرحلة مفاهيم فلسفية تخص المصريين القدماء.

كما أن هناك نظريات تقول إنه عن طريق هذه السفن انتقلت الحضارة المصرية القديمة إلى بلاد «**المكسيك**» وهذا ما حاول المغامر النرويجي «**ج. هايردال**» إثباته برحلته على مراكب البردى، والتي حاول بها عبور المحيط من «المغرب» إلى بلاد «المكسيك» في أوائل السبعينات.



سفينة شراعية لمصر في العصر الفرعوني







لماذا يعشق الانسان الجمال؟!

لا يختلف اثنان فيما يختص بغرام الناس جميعاً بكل ما هو جميل ، وهذا الغرام بالجمال موجود في كل زمان ومكان ، لكن إذا سألتهما عن السبب في عشق الناس للجمال أو إيجاد تعريف محدد له فإنه يصعب عليهما إيجاد إجابة لهذا السؤال ، ذلك لأن الجمال شيء يحس في كل الأحايين وإن كان بدرجات متفاوتة ، لكنه مستحيل وصفه بصفة دائمة ومن ثم لا يمكن تحديده .

● عندما نصف الأشياء الطبيعية الموجودة حولنا بأنها جميلة ، فقد يرجع ذلك إلى الإحساسات الجمالية التي نتمتع بها وتكون مرتبطة بها.
كولنجوود

●● إن الإحساس بالجمال هو انفعال موضوعي قائم بذاته ، ينبعث من باطننا وليس مجرد أثر أو صدى لمنبه ينشأ من الأشياء الخارجية.
كانط

فالإحساس يختلف من شخص لآخر ومن حالة إلى أخرى اختلاف بصمات الأصابع ، لكن الشيء الوحيد الذي يتفق عليه الجميع أنه إحساس ممتع يثير البهجة والانشراح والنشوة في النفس ، ويود الإنسان أن يعاوده هذا الإحساس من حين لآخر ، لأنه يساعده على تحمل متاعب الحياة ومواجهتها بصدر رحب .

ويعتقد الجميع أيضاً أن حياتنا العملية يمكن أن تتحول إلى كابوس يومي لا يحتمل إذا خلت من الأشياء الجميلة التي نقابلها في حياتنا

بقلم : د. نبيل راغب

اليومية . **وقد انقسم المفكرون والفلاسفة إلى شيع ثلاث في تعريف ماهية الجمال** . ولن نتعرض ، في هذه السطور ، إلى النظريات المعقدة والمتشابكة التي تفرعت عن **علم الجمال** الذي أصبح علماً مستقلاً بذاته منذ قرنين من الزمان أو أكثر ، لكننا سنحاول تقديم تعريف عملي لمفهوم الجمال وعلاقته بالإنسان في حياته اليومية حتى يستطيع القارئ التعمق في استكشاف هذا العالم الجميل الرحب ، والاقتراب من سر عشق الإنسان للجمال في كل زمان ومكان .

نسبية الجمال

يرى **الفريق الأول** من المفكرين والفلاسفة أن **الجمال ذاتي** ، بمعنى أن كل فرد يقوم بتحديد مقاييس الجمال الخاصة به ، ومن ثم فهو يستمتع به من وجهة نظره التي قد


★ د. هـ. لورانس ★

تختلف مع غيره إلى درجة التناقض . ومعنى هذا أن الجمال ليس صفة مطلقة لكنه مسألة نسبية بحتة ، فما قد يراه شخص ما جميلاً قد يكون قبيحاً أشد القبح بالنسبة لشخص آخر . ولنأخذ مثلاً المرأة كمقياس للجمال . فهي بصرف النظر عن إحساسات الإثارة التي قد تشعلها في مجموعة ما من الرجال ، فإن كل رجل في هذه المجموعة يعجب بشيء يعكس فيه نفسيته وذاتيته الخاصة به . لذلك فإن صورة المرأة تتعدد بعدد الرجال الذين ينظرون إليها : أي أن النسبية هي المعيار الوحيد لنظرتهم إليها ، ولا يمكن أن نقول إن هناك من المقاييس العامة والمتفق عليها ما جعل هؤلاء الرجال يعجبون بالمرأة نفسها .

وما ينطبق على المرأة ينطبق على الفن بصفة عامة ، فالإنسان يحب لوحة جميلة ليس لأنها جميلة في حد ذاتها بل لأنه يعكس إحساسه بالجمال عليها ، وإحساسه هذا تشكل من تجارب سابقة وشخصية في حياته ، وهو لا يشترك مع الآخرين في نوعية هذا الإحساس ، وغالباً ما يكون المنظر أو الألوان التي في اللوحة سبباً في تداعي الخواطر والإحساسات المرتبطة بتجربة سعيدة في حياته . والإحساس المتجسد في لوحة فنية أو مقطوعة موسيقية ، أقوى بكثير من الإحساس المجرد الذي لا يجد ما يعكس نفسه عليه .

ولا شك فإن الشيء الذي لا يختلف عليه أحد هو أن شعور السعادة والانسجام والتناغم والراحة النفسية ، شرط أساسي للإحساس بالجمال . ولو تصادف أن ارتبطت نفس اللوحة في نفس متفرج آخر بتجربة سيئة في حياته ، فلن يستطيع أن يرى فيها أية مسحة من الجمال ، لأنها ستجسد أمام عينيه اللحظات الكئيبة التي مرت بحياته بحكم الارتباط الشرطي بينهما ، ومن ثم فلن يستطيع أن يتذوق جمالها حتى لو قمت بإقناعه بجمالها عدة ساعات متواصلة ، مدعماً حججك بكل نظريات علم الجمال وفلسفاته . **فالإحساس بالجمال هو تجربة نفسية في المقام الأول وليست شيئاً مجرداً أو مطلقاً .**

ويقول الفيلسوف الإنجليزي المعاصر **روبين جورج كولنجوود** إننا عندما نصف الأشياء الطبيعية الموجودة حولنا ، مثل الأشجار والأنهار والأزهار . . إلخ ، بأنها جميلة فقد يرجع ذلك إلى الإحساسات الجمالية التي نستمتع بها وتكون مرتبطة بها ، إذ إننا نستمتع بمثل هذه التجارب في حالة ارتباطها بأشياء معينة سواء كانت من خلق الله أو من صنع الإنسان كالأعمال الفنية مثلاً ، واستمتاعنا بها في الحالين متشابه ، لكن **كولنجوود** ، يعتقد بأنه لا يلزم إرجاع استمتاعنا بهذه الأشياء إلى تجربة جمالية . فقد ترجع بالمثل إلى إشباع أية رغبة أو إثارة أو انفعال ، فالمرأة الجميلة تعني عادة المرأة التي نراها مشتهاة من الناحية الجنسية ، واليوم الجميل هو اليوم الذي نصادف فيه نوع الجو الذي نحتاجه لقضاء حاجاتنا .

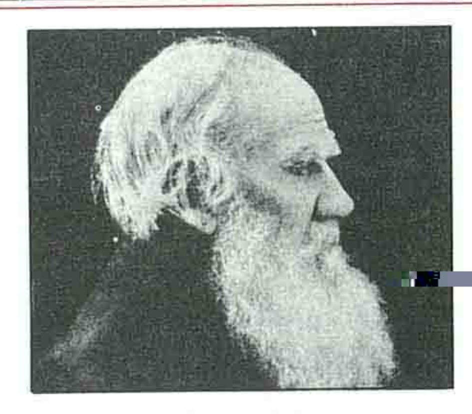
وكثيراً ما نسمي زملاءنا من الكائنات الأخرى جميلة عندما نقصد أننا نحبها ، وأن هذا لا يرجع إلى مجرد أسباب جنسية . ومن الأشياء التي تلمس شغاف قلوبنا ، منظر الزهرة بحيويتها أو رقتها ، أو منظر عيني القطة اللامعتين في منتصف الليل ، فإننا في هذه الحالة نتأثر بمثل هذه الأشياء بفعل الحب الذي تكنه الأحياء لبعضها بعضاً . ولا شك فإن الكلب الذي يبصبص بذنبه مرحباً بصاحبه فإنه يرى صاحبه رمزاً للجمال المثالي لأنه يمنحه المأكل والمأوى والحنان والدفء والصحة .

الجمال انفعال موضوعي

ويمثل الفيلسوف الألماني **كانط** المذهب الجمالي الآخر الذي ينادي **بأن الإحساس بالجمال هو انفعال موضوعي قائم بذاته** ، بمعنى أنه ينبعث من باطننا وليس مجرد أثر أو صدى لمنبه ينشأ من الأشياء الخارجية ، سواء كانت طبيعية كالزهرة مثلاً ، أو كانت فنية كاللوحة مثلاً . فالقول إن الجمال ذاتي يعني أن التجارب المثيرة للإحساس بالجمال والتي نستمتع بها عند ارتباطها بأشياء معينة ، ليست منبعثة من أي خصائص تتصف بها هذه الأشياء ، لأنها لو اتصفت بها لوجب وضعها تحت بند الجمال الموضوعي المطلق ، ولكن لأنها منبعثة من إحساسنا الذاتي فإننا لا نستطيع أن نصفها بالجمال ، ذلك لأن الجمال هدف في حد ذاته وليس يقصد به منفعة أو قضاء حاجة بحيث ينتهي بانتهاء هذه الحاجة إليه .

فالجمال موضوعي بمعنى أنه منفصل عن الإحساس الذاتي الذي يثيره في نفس المتذوق ، فالتمثال الجميل مثلاً لا يختلف حوله اثنان مهما كان أحدهما سعيداً والآخر حزيناً . فلا بد أن يعترف الشخص الحزين في داخل نفسه بأن التمثال جميل في حد ذاته ، لكن حزنه لا يزول لأنه يرجع إلى عوامل أخرى بصرف النظر عن ارتباط هذه العوامل بالتمثال من عدمه . إن حب الجمال جزء من الطبيعة البشرية كامن داخل الإنسان سواء صادف ما حركه أم ظل كامناً في الداخل .

★ ليو تولستوي ★



الجمال .. بين الذات والموضوع

وهناك **فريق ثالث** من المفكرين والفلاسفة يتخذ موقفاً وسطاً يجمع فيه بين العاملين الموضوعي والذاتي : **بمعنى أن هناك من الأشكال ما يتفق عليه الجميع من حيث هو جميل . وهذا الاتفاق يرجع إلى وحدة التفكير والظروف والملابسات بين الأفراد ، بحيث تزول الفجوة بين الذات والموضوع ويصير الاثنان واحداً .**

فالموضوع ليس سوى وحدات الذات تجمعت وتبلورت ومن ثم تحولت إلى مقاييس عامة وشاملة للجمال ، لكن يبدو أنه من الصعب وصف الجمال وتعريفه تعريفاً محدداً لأننا كلما حاولنا تحليله وجدناه يهرب من أيدينا كالزئبق .

وربما يرجع هذا إلى سببين :

الأول : أن العقل البشري ما زال عاجزاً عن استكشاف كل أسرار الطبيعة البشرية حتى الملازمة لحياته اليومية .

والثاني : أن اللغة والتفكير لا يملكان القدرة على تحليل وتشريح الجمال كإحساس ذاتي أو كيان موضوعي أو الاثنين معاً .

من هنا كان فشل الفلسفة في استخراج مفهوم جامع مانع للجمال . لذلك فإن فرع المعرفة الإنسانية الذي ما زال يملك القدرة على التعامل مع الجمال وأحاسيسه هو الفن الذي يجسد الجمال من خلال وعي الفنان به في أشياء ملموسة من خلال حواسنا الخمس . **ولا شك فإن الفن هو خير وسيلة لتجسيد الجمال وأحاسيسه في نفس المتذوق من خلال مختلف الأعمال الفنية سواء كانت رواية أو قصيدة أو سيمفونية أو تمثالا أو مسرحية أو فيلماً ... إلخ .**

الجمال .. والتجربة

ولن نتعرض هنا لذاتية الجمال أو موضوعيته ، لأن الفن يهتم أساساً بالتناسق البديع بين جزئيات العمل الفني نفسه ، ومن خلال هذا التناسق يشعر المتذوق بالراحة النفسية بسبب التناسق الذي يحدث داخله وينظم نفسيته المضطربة بفعل متاعب الحياة اليومية . وقد قال الروائي الروسي **تولستوي** : **إن عدوى الجمال الموجودة جراثيمها داخل العمل الفني تنتقل إلى القارئ فيصاب بكل أعراض التناسق والتناغم والوفاق النفسي من جراء قراءة الرواية والاستمتاع بها ، ومن ثم تسري في داخله الراحة النفسية التي تجعله يرى الحياة أكثر جمالا وحيوية .**

ويمكن تطبيق نظرية **تولستوي** على أي عمل فني نشاهده ، فمثلاً كلنا يلحظ السعادة النفسية التي تسري في وجداننا عندما نشاهد فيلماً رائعاً ، فنخرج من دار السينما منتعشين وكأننا ألقينا بمتاعبنا في الداخل . وإذا قارنا بين حالتنا النفسية قبل الدخول وبعد الخروج فلا بد أن نلاحظ أن هناك فارقاً بين الحالتين .

من هنا كانت الوظيفة العملية للفن في حياتنا . وفي الواقع فإننا عندما نخرج من دار السينما متضايقين ، نحاول أن نعزو هذا الضيق إلى ضياع الوقت والنقود . لكن الحقيقة غير ذلك لأن الفيلم السيء الذي رأيناه ضاعف من اضطرابنا النفسي ، وأفقدنا ذلك الإحساس بالانسجام والجمال الذي تثيره الأفلام العظيمة .

إن الجمال تجربة نفسية في المقام الأول ، ومن المستحيل إيجاد تعريف أو تحديد آخر له . فنحن مثلاً إذا حللنا عناصر أية لوحة مرسومة فسنجد أنها ليست سوى قطعة من الورق أو الخشب أو القماش عليها خطوط ومساحات لونية سواء كانت زيتية أو مائية ، لكن معناها يكمن في ذلك التناسق بين الخطوط والألوان والمساحات والكتل . وهذا التناسق ليس له وجود فعلي إلا إذا انتقل وتجسّد في إحساسات المتفرج على هذه اللوحة . وقد يختلف هذا التناسق من شخص إلى آخر طبقاً لظروفه النفسية وثقافته وبيئته ، وأيضاً طبقاً لمهارة الفنان في نقل عدوى الإحساس بالانسجام إلى المتفرج . **وكلما زادت مهارة الفنان في نقل هذه العدوى ، تمكن من جمع أكبر عدد من المتفرجين حول عمله بحيث تصل وحدة الإحساس بالجمال وحدته إلى درجة مرتفعة جداً .**

لذلك يقول كثيرون من النقاد إن الفن هو الوسيلة الوحيدة لربط الناس بعضهم بعضاً على اختلاف مشاربهم ، لأنه يوضح لهم جمال الحياة ويضاعف من إحساسهم بها ومن ثم فإن الأخوة والحب والتعاون يسيطر على العلاقات الاجتماعية بينهم .

الجمال .. والخيال

إن الإحساس بالجمال لا ينفصل عن القدرة على الخيال ، وكلما تربت ملكة الخيال عند الجمهور زاد تمكنه من الإحساس بأبعاد الجمال سواء في الفن أو في الحياة . فاللحن الموسيقي مثلاً ليس مجرد

تشكيلة من الأنغام والجمل والأصوات ، لأن هذه العناصر عبارة عن مجرد وسيلة يعتمد عليها المستمعون في حالة إنصاتهم بانسجام وتمعن لكي يعيدوا إنشاء اللحن الخيالي الذي دار في رأس المؤلف الموسيقي من قبل ، ولكي يحس المستمع بجمال اللحن الموسيقي وتناسقه وتناغمه فلا بد من عملية الإنصات التي لا يجيدها الكثيرون .

ونقصد بالإنصات ليس مجرد الصمت والسكون ، لكنه الإنصات الذي يجب أن يقوم به عند الاستماع إلى الأصوات التي تصدر عن الموسيقيين والمشابه إلى حد كبير للتفكير الذي نقوم به عند الاستماع إلى الأصوات التي يحدثها أي محاضر في موضوع علمي ، فنحن نستمع إلى صوت كلامه ، لكن ما يقوم به ليس مجرد إحداث أصوات بل هو عرض موضوع علمي ، أي إن الأصوات قد قصد بها معاونتنا على تحقيق ما افترض المحاضر أنه غايتنا من الاستماع إلى محاضرته . وهذه الغاية هي التفكير لأنفسنا في هذا الموضوع العلمي ، وكما نحصل من المحاضرة على شيء آخر غير الأصوات الصادرة عن فم المحاضر ، كذلك فالجمهور يحصل من الإنصات إلى القطعة الموسيقية على شيء غير الأصوات التي يحدثها العازفون . ففي كلتا الحالتين ، فإن ما نحصل عليه هو شيء نعيد إنشاءه ثانية في عقولنا واعتماداً على خيالنا ، وهو شيء ليس في متناول أي إنسان يفتقر إلى القدرة على التخيل مهما استمع استماعاً كاملاً إلى الأصوات التي تطن في أذنيه .

الجمال .. والحس

ويقول بعض علماء الجمال إن ما نحصل عليه عند الإنصات إلى الموسيقى ، أو في مشاهدة الصور ... إلخ ، هو نوع من **المتعة الحسية** لأننا نستعمل **حواسنا الخمس** ، لكن التركيز على المتعة التي تحدثها الأصوات مثلاً تؤدي إلى تحديد المقدرة الخيالية ووضعها داخل إطار ضيق . ولا شك فإن هناك من الناس من يتوجهون أساساً إلى الحفلات الموسيقية للمتعة الحسية التي يحصلون عليها من الأصوات وحدها ، لكن هذا يسيء إلى الموسيقى مثلما يتوجه شخص لحضور محاضرة علمية من أجل المتعة الحسية التي يحصل عليها من أنغام صوت المحاضر ، وكان الواجب أن يكون حضوره من أجل العلم ، لذلك فإن واجب المنصت إلى الموسيقى أن يكون من أجل الجمال وليس من أجل المتعة الحسية التي يشاركنا فيها الحيوان عندما يأكل أو يشرب أو ينام أو يتصل جنسياً بأنثاه .

إن الفارق الأساسي بين الإنسان والحيوان أن الإنسان ذواقة للجمال بحكم ملكة الخيال التي لا يملكها الحيوان .

والجمال ــ كما سبق أن قلنا ــ هو تجربة نفسية في المقام الأول وإن كانت تبدأ من باب الحواس الخمس لكنها تستقر بعد ذلك في الوجدان والعقل ، فالمنظر الجميل ليس بالشيء الذي يرى لأنه شيء يتخيل ، والمتفرج يضيف إليه ويعكس عليه نفسيته التي لا يمكن أن يهرب منها إلا بالموت . وكلما اتسع مجال خياله تمكن من تذوق كل أبعاد الجمال في المنظر ، فالعين ليست سوى الباب الذي تدخل منه الألوان والأضواء والظلال والخطوط والمساحات لكي تتفاعل داخل المتفرج . وخيال المتفرج هو الأداة الوحيدة لمزج هذه العناصر في تناسق وتناغم بحيث ترسخ في وجدانه شيئاً جميلاً يستمتع به كلما استرجعه .

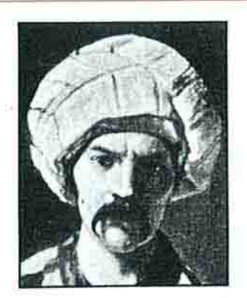
ويعطي الفيلسوف **كولنجوود** مثلاً على مساعدة الخيال في الإحساس بالتناسق الجميل عندما نشاهد مسرحية في **مسرح العرائس** ونتخيل أنها تعبّر بوجوهها كما يعبّر البشر عند تغير إيماءاتها وعند تغير كلمات محرك العرائس ونبرات صوته . ونحن ندرك أن تعبيرات وجوهها لا يمكن أن تتغير لأنها مجرد عرائس إلا أن هذه الحقيقة لا تهم لأننا نتابع بمخيلتنا رؤية التغيرات التي ندرك أننا لا نراها بالفعل . وبدون شك فإن المتفرج ذا الخيال المنطلق يستمتع بجمال العرض المسرحي عن ذلك الذي يريد أن يقدم إليه كل شيء داخل حدود المعروف والملموس والتقليدي ، **فالفن هو بناء سيكولوجي داخل وجدان المتلقي يساعده على تكوين نظرة شاملة إلى الحياة بكل ما فيها من معنى وجمال .**

وإذا كان الشرط الأساسي للفن هو أن يكون جميلاً ومثيراً للبهجة والسعادة والنشوة والانشراح ، فهل هناك حدود أخلاقية متعارف عليها تؤثر في التجربة الجمالية التي نمر بها ؟ .

مثلاً ، ما الفارق بين صورة امرأة عارية **لرينوار أو موديلياني** وبين صورة فاضحة لامرأة عارية في وضع جنسي مثير؟! . أو ما الفارق بين روايات الروائي الإنجليزي **د . هـ . لورانس** الزاخرة بالصراع الجنسي لكنها تثير فينا التفكير والتأمل وبين كتاب **«الحديقة المعطرة»** للرحالة الإنجليزي **ريتشارد بيرتون** ، وهو الكتاب الذي ينضح بالجنس ولا يقصد به سوى الإثارة الجنسية ؟ .

وما الفارق بين قصة تصور مأساة مجرم خارج على المجتمع بسبب ظروف خارجة على إرادته ، وغالباً ما يكون المجتمع ممثلاً لهذه الظروف ، وبين قصة تركز كل همها على ذكاء المجرم وعبقريته بحيث يبدو بطلاً أمام القراء لدرجة

★ ريتشارد بيرتون ★



إغراء البعض بأن يحذو حذوه ؟! وذلك على الرغم من أن القصتين تبدوان بناء جميلاً متناسقاً تنطبق عليه كل الشروط الجمالية للفن .

الخيط الرفيع

هناك في الواقع خيط رفيع يفصل بين هذا وذاك بحيث يتعذر التعرف عليه في بعض الأحايين بالنسبة للمتذوق غير المتمرس . فنحن لا يمكن أن نقول إن الجمال يمكن أن يكون غير أخلاقي ، لأنه التجربة الجمالية التي تثيرها فينا الحياة أو الفن تمنح الإنسان من التوازن والتناغم مع العالم ما يزيد من سعة أفقه ، ورحابة صدره ، واحترام نفسه ، بما يمنعه من الإتيان بأعمال تمس كرامته ، أو تجرح الآخرين ، أو تؤذيهم ، لذلك يقول بعض النقاد من أمثال **أ . أ . ريتشاردز** ، وبعض الفلاسفة من أمثال **هنتر ميد** ، إنه من المؤكد أن الشخص الذي يتذوق الفن أكثر أخلاقيات من الشخص الذي لا يبالي به . ولنتخذ مثالا على **الطبيب** الذي يتذوق أي فرع من فروع الفن وزميله الذي ينظر إلى الفن على أنه مضيعة للوقت : فالأول ينظر إلى المريض المخدر بين يديه على مائدة العمليات على أنه إنسان له طموح وآمال وحب للحياة وعشق للجمال وعليه أن يتفنن لكيلا تنطفئ هذه الشعلة ، ولكي تستمر الحياة بكل جمالها وروعتها ، أما الطبيب العملي الذي لا يعير للتذوق الفني التفاتاً فإنه ينظر إلى المريض في غرفة العمليات على أنه جثة حية قد تكتب لها الحياة أو قد تموت لأن هناك حاجزاً بين الطبيب والمريض بحيث لا يجمع بينهما الشعور الشامل بالإنسانية والحياة ، فالطبيب مجرد طبيب بحكم وظيفته العملية والمريض مجرد مريض بحكم ظروفه السيئة .

من هنا كان ارتباط الجمال بالأخلاق الإنسانية التي لا ترتبط بمنطقة معينة أو عصر محدد بنوع معين من التقاليد والعرف ، فهي الأخلاق التي نراها في الحب والعطف والحنان والرقة والذوق ، وبدونها تتحول الحياة إلى مجرد غابة مليئة بالوحوش المفترسة . فالأسد لا ينظر إلى الغزال المنطلق في الغابة على أنه حيوان رشيق جميل بحيث يثير في نفسه إحساسات الحب والسمو ، لكنه في نظره مجرد وجبة شهية من اللحم الطازج الطري .

إن الإحساس بالجمال يسمو فوق الاعتبارات العملية والنفعية والشخصية والحسية ، **لذلك لا يمكننا أن نسمي أدب البورنوجرافية والإثارة الجنسية الفاضحة أدباً جميلاً عظيماً لأنه لا يثير فينا سوى الإحساسات الحيوانية التي يشاركنا فيها الحيوان** ، في حين نرى جسد المرأة العاري مثلاً في الفن وقد تحول إلى مجموعة من الألوان الجميلة والإيقاعات المتناسقة التي تزيد من احترامنا وحبنا لها وليس مجرد اشتهائنا لجسدها . **هذا هو الفارق بين حب الفنان للمرأة وحب الحيوان لأنثاه : الأول إحساس بالجمال والسمو الدائم في حين أن الثاني مجرد لذة وقتية تنتهي بمجرد إشباعها .**

الجمال .. والتجارة

ولا شك فإن الجمال أصبح تجارة رائجة يكسب من ورائها مصممو الأزياء ومنتجو مستحضرات التجميل وأطباء جراحات التجميل ومصففو الشعر . فهذه التجارة لم تكن لتروج إلا لأن الإنسان قد جبل على عشق الجمال في كل صوره ، بل إن الحياة لم تكن لتستمر إلا بفعل الجاذبية بين الرجل والمرأة ، ولو لم يجد الرجل جمالا في المرأة لما أحبها أو حتى اقترب منها . ولم تكتف المرأة بالجاذبية التي منحتها الطبيعة إياها بل تفننت في التركيز عليها باستعمال أدوات الزينة والعطور والملابس .

وأذكر للمثال المصري الراحل **جمال السجيني** رأياً وجيهاً في هذا الصدد ، فقد قال لي إن كل ما تنتجه الطبيعة جميل ، لأن الكون كله قائم على الجمال والأحاسيس التي يثيرها ، وما أدوات التجميل الصناعية سوى مطابقة للمفاهيم التي ترسبت في أذهاننا على مر العصور ، لكنها لا تستحق أسلوبها من جمال الطبيعة الذي بعدت عنه بفعل الحياة الصناعية المعقدة . لذلك لم يسعد السجيني بجراحة التجميل التي أجرتها **فيروز مطربة لبنان الأولى** في أنفها .

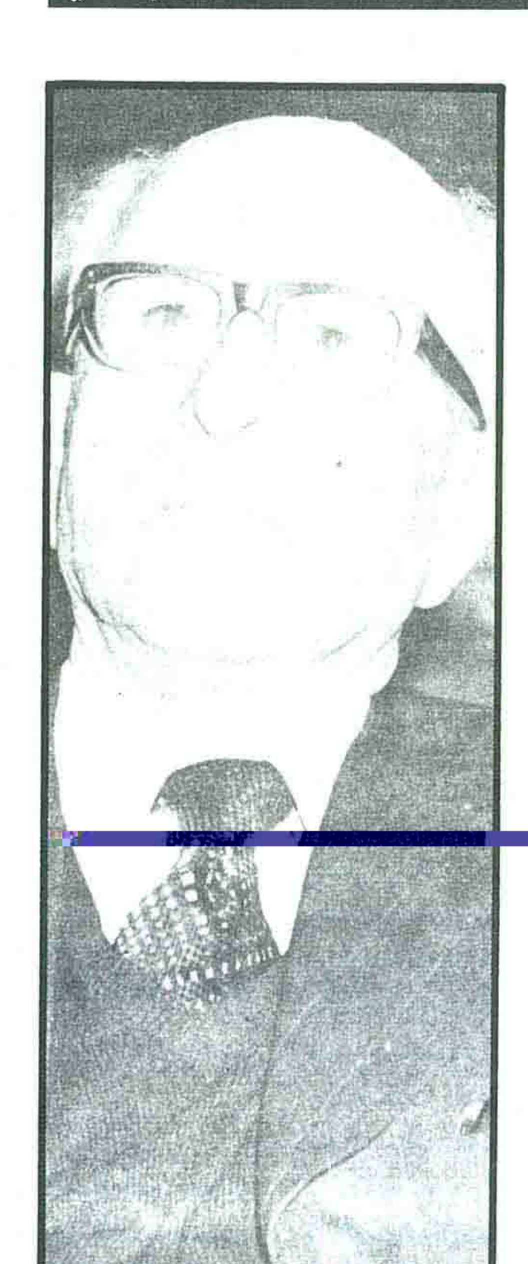
سر الجمال

إن الطبيعة ليست سوى التجسيد الحي للجمال الذي أودعه الله سبحانه وتعالى في هذا الكون ، وعشقنا للجمال والسمو ليس سوى محاولة منا للاقتراب من كنه هذا الكون المليء بالأسرار والألغاز ، وما الجمال سوى أحد هذه الأسرار الملغزة . وكلما حاولنا الاقتراب منه والقبض عليه وجدناه يهرب منا مثل السراب ، ومع ذلك فنحن ندركه ونستمتع به ، ولا نستطيع أن نتخيل الحياة بدونه لأن معناها وسرها يكمنان في داخله ، ونحن في سعينا وراء القيم الجمالية إنما نسعى إلى الحياة الحقة بكل روعتها وجمالها وإنسانيتها .



دمعة اليمن السعيد..!

شعر: أحمد محمد الشامي



للمجد، والشرف التّليد، للصبر، للحق الشهيد،
للعلم، للأخلاق، للآداب، للرأي السّديد،
أمضى «أبو سَلْمَى» حياة الثائر، الحر، العنيد،
يشوي عواطفه، ويصهرها.. على لهَب القصيد،
ويصوغها هفات مأسور يُصلّي في القيود.!
طوراً مولولة؛ وآونة تجلجلُ.. كالرّعود،
ولقد يُوقّعُها فترقصُ كل ذرّات الوجود،
وتكاد تجذبُ قاصرات الطّرف من دار الخلود.!
تبكي العدالة وهي تجأرُ بين أنياب «اليهود»،
وتُؤنّب الأسياف قد هجعَت طويلاً في الغمود،
تشدو، وتهتف «بالشآمي»، و«العراقي» و«السعودي»،
والقوم في «وطني»؛ وهُمْ ما بين «قات»، أو هجود،
كي ينهضوا، ويمزقوا حُجُبَ الجهالة، والجمود،

★ ★ ★

«عبد الكريم»، و«صنوه»: نَجْمَان في فلك فريد.
«حسْنَان» في الآداب، والأخلاق، والحَسَب التّليد،
هذا يحاور «سيبوَيْه».. وذاك يروي عن «لَبيد»،
ذاك «ابن هانئ»: في قصائده، وهذا، «ابن العَميد»،
قطفا «كروم» الفن، والشعر المعتّق، والجديد،
وتوزعاه فارسَيْن، مظفّرَين، بلا نديد..
العالم النّحريرُ يملأ صوته سمع الوجود..
«قولٌ على قول» به: ما شئت.. مِن أدب مفيد..
والشاعرُ الغرّيد: يعبث بالنّهى «عَبَث الوليد»!
يُنْشي القصائد كالعرائس للْمتيّم، والعميد،
ويذيبها في كأسه لَهَباً يُعربدُ بالنّشيد،
روح تُصلّي للْوعود... ولا تخافُ لَظَى الوعيد،
قد تيَمّتْها قوة الإيمان.. بالنّصر الأكيد.

★ ★ ★

رُحْمَى «أبا سَلْمى».! ولا تَسْأل.. فما إن مِن مَزيد؛
الحالُ: ما زالت.. كما فارقْتَ... وفي كَرْبٍ شديد.!
كل له وطن: سوى هذا «الفلسطيني» الشريد؛
ما انفك يَرْحَلُ ثلث قَرْنٍ.. تائهاً في كل بيد!
بين العواصف صابراً، أو رابضاً خلف الحدود،

على «أبي سلمى»..

يُصغي إلى الأقوال: تُنْشِئها عباقرة «الوفود»!
«عبد الكريم»: وهاكها شكوى القوافي، والقصيد
عاثوا بأوزان «الخليل» وبالبيان، وبالعَمود
هدموا بيوت الشعر.. فانهارت تُحَشْرِج بالنَّشيد.!
ترثي قوافي «الأخطل» العربيد و«الملك الطّريد»،
وسهاد «جرْوَل»: وهو ما بين المهامه والنّجود،
كالجرو يعوي: يرصد الأوزان في لحن شرود،
ليصُوغها في شعره عقداً من الدر النّضيد،
لم يعقلوا أنّ القوافي في «الخفيف» وفي «المديد»
مثل «المقاطع» في «اللحون»، وفي «النقوش»، وفي «العقود»
والشعر موسيقى: ولا نغمٌ بلا «وتر» و«عود»!

***

«عبد الكريم».. وأنت في غُرفات جنّات الخلود..
وأنا «حبيس» الذكريات، وخدن أخبار «البريد».
عفتُ السياسة: بل وعافتني فقد كلّت جهودي،
وحبست نفسي: حارسي قلمي، وأوراقي قيودي:
والكتبُ صُحْبتي، والقناعة، والمحبة من شهودي،

***

هذي تحية شاعر يرنو إلى الأفق البعيد
يترقبُ الأجلَ المصور بمقلة العاني العنود،
أو لمحة الحر المريد، أو نظرة الشيخ القعيد!!
هي دمعة الحلم اليتيم، على منى الأمل الشهيد:
طفَرت لذكرى وقفة بيني وبينك في «الصعيد»،
في «مصر»: و«الأصوات» تهتف بالوعود، وبالوعيد،
وأنا بأحلام الشباب أهيم في عيش رغيد،:

***

قد قلتها: ...لا بالوعود، ولا الوعيد، ولا العهود..
بل بالجحافل، والقنابل، والمدافع، والجنود،
بل بالفداء، وبالضحايا تحت رفرفة البنود..
ومقانب الأبطال تزحفُ في السهول وفي النّجود
سنعود.. أو أبناؤنا رغم المكابر، والجحود
«قدسي»، «فلسطيني»، مرابعُ صَبْوتي، وثرى جدودي.!

***

واليوم ماذا؟ هاهمو الأبطال بالعزم الأكيد،
وجحافلُ الأحرار من «حلب»، إلى «بلد الرشيد»،
وهضاب «تطوان» إلى «أحُد»: إلى «اليمن السعيد»،
يتنافسون على الشهادة كالفهود، وكالأسود.!

***

مَن ذا أعزي في الفقيد؟ مَن ذا أكرم في الفقيد؟
مَن ذا أعزي في الفقيد،؟ ومَن أكرم في الفقيد؟
أأخاه؟ أم زملاءه؟ أم كل مغترب شريد؟
أم منبر «القدس الشريف»؟ أم الأشاوس في الحديد؟
أم كل مبتهل «بإنجيل»، و«قرآن» مجيد؟

***

لو شئت قلت: ومن «بصنعا» من جحاجحة وصيد:
نشأوا على أشعاره، وتلقّنوها في المهود،
كانت «زواملهم» وهم بين السلاسل والقيود:
وتكاد تُذكَرُ في القيام، وفي الركوع، وفي السجود،
ويُودِعون بها الشهيد... وينشجون على الطّريد،.

***

يا مُزنة الرحمات جف الدمع: فانتحبي، وجودي.:
قد جفَّ من طول البكاء على المقابر، واللحود..
يا مُزنة الرحمات.. فانتحبي معي - حَدَباً - وزيدي:
زيدي. بما يشفي أوام الروح من عطشي المبيد..!
«ذهب الذين أحبهم»، وبقيت كالطير الوحيد.
أبكي بلا دمع..

ولكن باللّحون...

وبالقصيد..!

ألقيت هذه القصيدة في حفلة التأبين التي أقامها اتحاد الكتّاب الفلسطينيين «فرع بريطانيا» في نادي الصحافة بلندن في ٣٠/١٢/١٩٨٠م، للشاعر المرحوم عبد الكريم الكرمي، وقد نالت الاستحسان.



نحن هنا



تحتوي مكتبة تهامة الجديدة على مختلف الكتب العلمية والثقافية ومنها :-

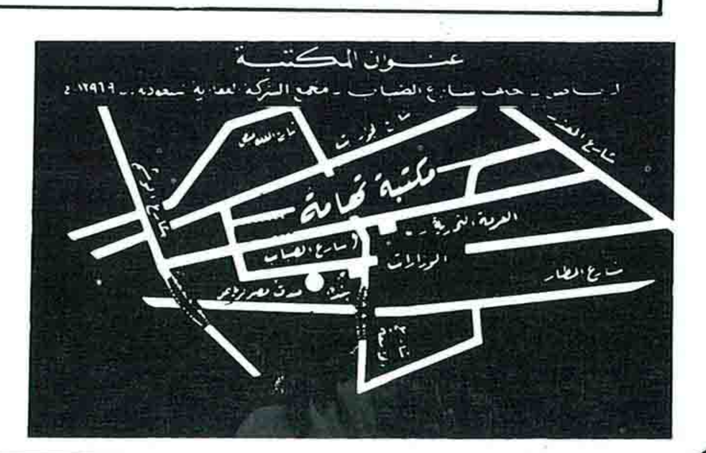
١ – اصدارات مؤسسة تهامة وتشمل الكتاب العربي السعودي والكتاب الجامعي ومطبوعات تهامة الى جانب توزيعات تهامة .
٢ – سلسلة كتاب تهامة للاطفال .. وسلسلة كتاب تهامة للناشئين .
٣ – الكتب الدينية .
٤ – كتب الادب والشعر والقصة .
٥ – كتب التراجم والسير .
٦ – كتب التراث .
٧ – كتب القانون والسياسة .
٨ – كتب التاريخ والجغرافيا والرحلات .
٩ – كتب الفنون والتربية الرياضية .
١٠ – كتب الادارة والاقتصاد .
١١ – كتب المحاسبة والهندسة والزراعة والطب .
١٢ – كتب الشئون المنزلية .
١٣ – مجموعة القواميس وتعليم اللغات .
١٤ – كتب التربية وعلم النفس .
١٥ – الى جانب الصحف اليومية والمجلات الاسبوعية والشهرية ومجلات (الازياء) و (المطبخ) .

كما تشمل المكتبة على كتب باللغات الانجليزية والفرنسية والالمانية بالاضافة الى تشكيلة جديدة كاملة من الادوات المكتبية والهدايا وجميع مستلزمات الانتاج الفني ..

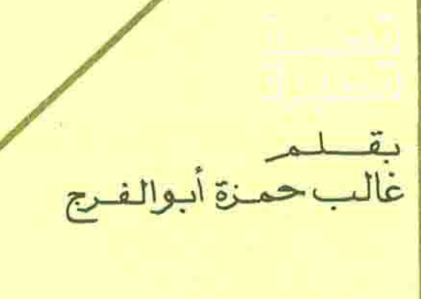
أهم الكتب العلمية والثقافية بالمكتبة :-







قصة قصيرة



الزجاجات الملونة

بقلم
غالب حمزة أبو الفرج

غداً سيتحدث عنه الناس ، في شوق ومحبة ؛ فالجهود المضنية التي بذلها طوال سنواته العشر لا يمكن أن تذهب هباء . فلقد نذر نفسه لأن يكون ذلك العالم الذي يمنح الإنسان الشيء الكثير من عطائه .

وامتدت يده إلى واحدة من الزجاجات الكثيرة التي يمتلئ بها معمله الصغير ، فهو يحب هذا المعمل الذي بناه على مقربة من غرفة نومه يركن إليه أثناء الليل وأثناء النهار . يمضي بثقة وكأنه يناجي أجمل امرأة في هذه الدنيا .

لطالما حدثته زوجته عن حبها الكبير له وتقديرها العظيم لجهوده ، لكنها عندما يتحدث عن معمله تشيح بوجهها إلى الجهة المعاكسة وكأنها ترمق في ضرة مزعجة تأخذها منه إلى أحضانها .

ولقد ضحك في نفسه كثيراً : فهو يعرف زوجته جيداً ويحبها من كل قلبه ، فلولاها لما استطاع أن يصل إلى ما وصل إليه من مركز علمي وشخصية مرموقة ومع هذا تظل صورة زوجته تبدو من خلال زجاجاته الملونة ، وكأنها تدفعه إلى إنجاز ما يقوم به فهو يعرف بأنها ترمق النتيجة وتؤكدها وتراها ألصق به من أي وقت آخر .

جميلة زوجته وعاقلة أيضاً ، فلولاها لما أمكن له أن يصل إلى حقائق نصره العلمي الذي يعرف سلفاً كم سيوفر له من مجد أدبي وعلمي ومادي أيضاً وهو يحبها من كل قلبه ، لأنها شريكة حياته عاشت سنوات القحط يوم كان يافعاً في أول الطريق ، حتى إذا ما أدارت له الدنيا يدها الأنيقة واصلت مسيرتها معه في صمت وحب أيضاً .

يقولون إن في اكتشاف المجهول لذة لا تعادلها لذة سوى لذة القادر على الصرف يمنح ماله في عطاء وكرم .

وهو يريد أن يعطي من نفسه وعلمه وذاته لأبناء هذه الدنيا للملايين التي ترزح تحت وطأة المرض والأمراض ، قد يجد نفسه في بعض الأحيان قادراً على الاستمرار ، وقد يتوقف بعض الوقت للحظات لكنها كانت وراءه بابتسامتها التي أحب وعينيها السوداوين التي عشق ، هي فعلاً الوفاء المتسربل بعباءات الحب تضخه دماؤها الحارة وتفرزه ابتسامتها الواضحة وتقاطيع وجهها الرقيق .

ولكم أحب البحر وعمقه وهو يطالع عينيها في خشوع ومحبة فهاتان البحيرتان الهادئتان ليستا مجرد عين فحسب وإنما هي أعمق





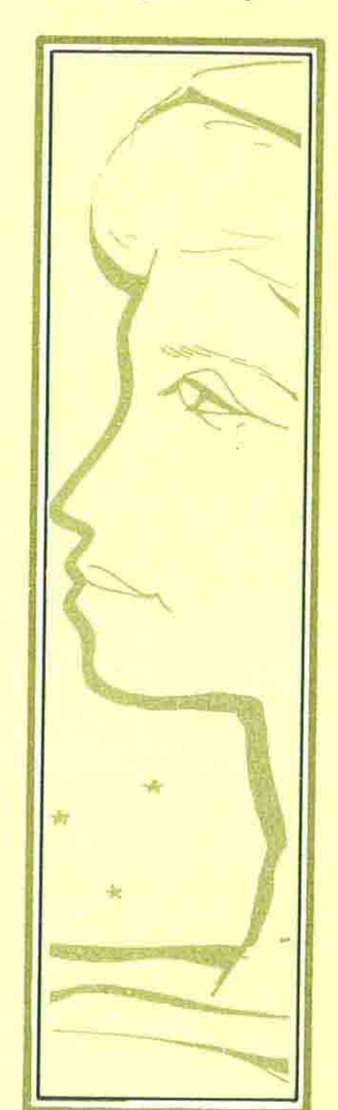
من هذا وأصدق .

غداً سيتحدث إلى الجمع الحاشد في قوة من يملك العلم والمنطق وسيحاول أن يفهم الناس كل الناس بأنهم أصبحوا قادرين على مغالبة أحاسيسهم بالألم من جراء هذا المرض الذي أودى بحياة الكثيرين ، وسيأتي علاجه الذي اكتشف بلسماً شافياً يمنح الصحة لكل أولئك الذين عذبتهم قروح الأمعاء الغليظة .

كثيرون هم الذين استخدموا الجراحة وسيلة لعلاج البعض . أما هو فقد اختار طريقاً آخر يغاير طريق كل هؤلاء ، أو ليس الطب اليوم يسير في خطه المستقيم نحو أهدافه وإلا ماذا سيقول عن اكتشافه .

ويعود بالذاكرة القهقرى إلى حديث أبيه وهو يشرح له الفوائد الكثيرة المترتبة عن استخدام الأعشاب البرية في علاج كثير من الأمراض . لقد كانت كلمات والده الطريق الذي سار عليها إلى النهاية حتى إذا ما توفق إلى إنجازه العلمي أحس بحاجة إلى البكاء . فبكى كما لم يبك من قبل ، ولقد قال له صديقه الدكتور فؤاد عندما حدثه عن هذا البكاء : بأنه بكاء الفرح فالطفل الذي يولد يبكي لا لأنه سيلاقي الحياة وما فيها من مشاكل وإنما لأن عينه قد رأت النور : والتقى وجهه بهواء هذا العالم الذي سيعيش : وهو اليوم أشبه بطفل كبير ترى عيناه النور بعد طول ظلام أمضاه هنا .

مع كل هذه الزجاجات الملونة التي أحبها والتي يشعر بأن



زوجته لم تعد تحبها . لماذا ؟ فالمرأة هي المرأة ، مشاعر الحب في قلبها تختلط بأشياء كثيرة يعرفها ويقدرها . لكن شوقه لارتياد المجهول يدفعه لأن ينأى عنها .

وهو مشوق لاحتوائها ، وهي تعرف ذلك ، لكنها تزداد ألماً لبعده رغم ما لشرحه لها خلال ساعات الاعتراف الهادئة . ويطل عليه وجه زوجته وقد ارتدت روبها المفضل ووجهها ينطق بالألم ولقد شعر بساعتها بأنها ضائعة فسألها عن السبب فلم تجب وعندما كرر الجواب كان ردها أقسى مما كان يتوقع . فلقد اندفعت كهرة شرسة تقدح عيناها بشرارات الغيظ حتى إذا ما وصلت إلى مكانه ألقت بيدها في غيظ لتدفع بزجاجاته الملونة إلى الأرض في قسوة فوجئ بها ، ففغر فاه في دهشة وأحس بالألم يعتصر قلبه . ومضى يلملم زجاجاته في ضيق وضيق حتى إذا ما امتدت يده إلى الزجاجة التي كانت تحمل بصمات سنواته التي أمضاها شعر بشيء من الهدوء فهي لم تصب كرفيقاتها اللواتي تكسّرن على رخام المعمل ، ومدَّ بصره لتلتقي عيناه بعينيها هذه المرة فرأى فيها شيئاً من الأسى والحب والندم أيضاً .

ونظر إلى وجه زوجته بعضاً من الوقت ، وكأنه كان في تلك اللحظة يتحدث إليها حديثاً طويلاً يحمل من العتاب أشده وأمره فارتمت على صدره وأجهشت في بكاء طويل لم يحس خلاله بأنها مذنبة بل مضى يهدهدها ويدفع بها إلى الغرفة وملء قلبه إيمان بأن قد غفر لها فعلتها الشنيعة تلك والتقت عيناها بالزجاجة المفضلة التي كان يحملها في يده ، وأحست بالراحة فسهر الليالي الطوال رغم كل ما فعلت لم يضع هباءً .

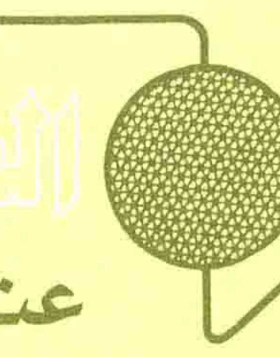
وأحس بأن عليه أن يفهم امرأته بعد كل الذي فعلت ، فالمرأة هي المرأة يهمها أن تكون الأولى والأخيرة في حياة زوجها .

وامتدت يده إلى وجهها يتحسس ملامحه في شوق ، فامتلأت عيناها بالدموع التي أخذت تهطل في غزارة وبلا صوت ولا إجهاشة .

ترى لماذا تفعل المرأة المثقفة أشياء شبيهة بما تفعلها أختها التي لم تدرس ولم تتعلم .

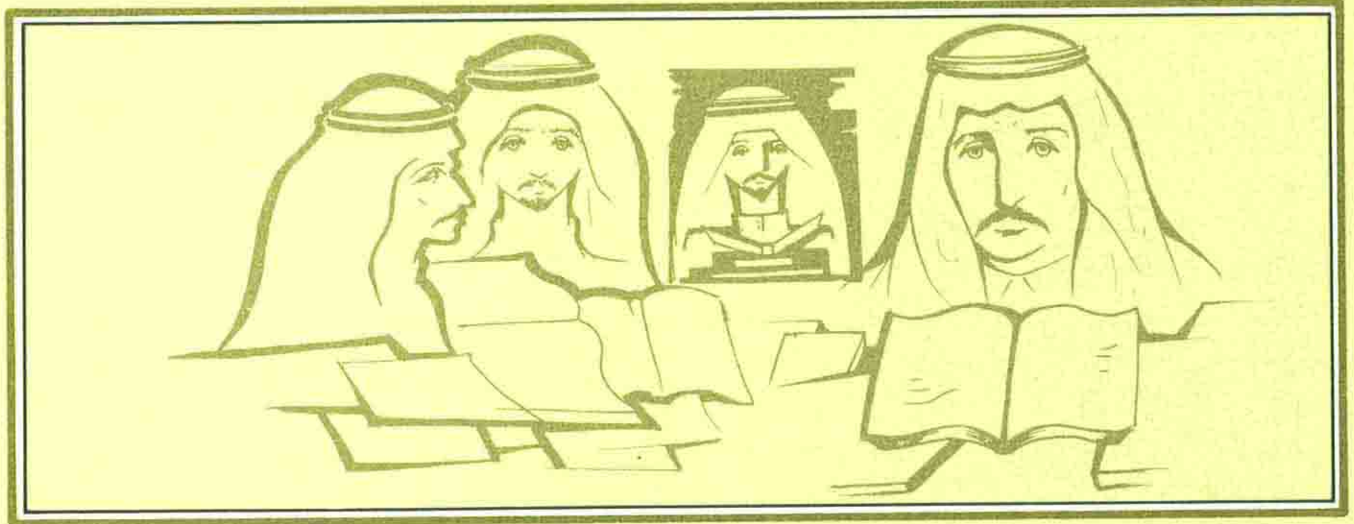
وأحس بالراحة عندما وصل فكره إلى أن المرأة هي المرأة تغار ، حتى من عمل زوجها في كثير من الأحيان .





بقلم
عدنان الداعوق

عند أحمد خميس



أراد أن يكتب مذكرات ذلك اليوم ، ففتح صفحة بيضاء وتناول قلمه ، وحينما خطرت لذهنه البداية تذكر النهاية .

أراد أن يبعد النهاية عن خاطره .. ولكنها كانت تلح عليه كمطارق تنهال فوق قمة رأسه .

وكأن النهاية ذاتها كانت تحمل في مضمونها البداية أيضاً .

وراح يكتب :

الاسم : أحمد خميس .

العمر : خمسون عاماً .

المهنة : متسكع معاصر .

الحالة الاجتماعية : متوقفة عن التنفيذ .

ارتعشت يد « أحمد خميس » وهي تمتد لمصافحة « هناء مرارة » ، **وشجعته ابتسامتها لأن يحضن يدها بين يديه ، ولكنه كان خجلاً على الرغم من أنه صافح من قبل فتيات عديدات ، غير أن « هناء مرارة » كانت تختلف عن كل الفتيات اللواتي عرفهن .. وربما أبرز وجه للاختلاف بينها وبينهن ، أن « أحمد خميس » كان يفكر جدياً بأن يخطبها وتصبح عما قريب زوجته .**

قالت « هناء مرارة » لوالدها :

– هل هذا الرجل يريد خطبتي فعلاً .. ؟

أجابها الأب :

– ذلك مرهون أمره لك .. وأنت وحدك تقررين .

والتفتت بكل جرأة تواجه « أحمد خميس » وتسأله في تقرير مفصل :

– ماذا تتناول من الطعام كل يوم .. ؟

– وماذا تشرب .. ؟

– ومتى تنام .. ؟

ارتجفت ابتسامة « أحمد خميس » فوق شفتين خشنتين ، ونطق لسانه :

– لا يهمني الطعام .

– وقد أشرب عصير الماء إن أجبرت عليه .. **لكنني أفكر كثيراً قبل أن أنام .**

فالتفتت « هناء مرارة » لوالدها ، وقالت له :

– إنك تعرف رأيي جيداً يا والدي .. فأنا ضد رجل يفكر قبل النوم .

« أحمد خميس » منذ ربع قرن يبحث عن نفسه ..

جرّب أن يرتدي كل الأزياء ، وكان كل ما جرّبه فضفاضاً عليه أو ضيقاً على جسده .. ونصحه أحد الأصدقاء أن يعمل في سيرك ، ففي خزائن السيرك ووراء الكواليس ثياب مختلفة ، وبمقاسات مختلفة ، وهناك يجد الزي المناسب شكلاً ومقاساً .

فرفض « أحمد خميس » أن يفعل لأنه كان يخاف إن طلب إليه أن ينام في السيرك كيف يأمن على نفسه من الدب .. ومن الأفاعي .. ومن مدربي الحيوانات المفترسة .

وتوقف عن التنفيذ ...

عند بوابة المدينة الأسطورية وقف « أحمد خميس » يتأمل النهر الداخل إلى المدينة .

كان نهراً رقيقاً ، هامساً



يبعث في جريانه الخفيف الطمأنينة والهدوء والراحة . .

وفكر « أحمد خميس » أن يبني كوخاً صغيراً هناك ، بعيداً عن المدينة لينعم بالهدوء والراحة . .

وشرع في البناء ، فجلب بعض الأخشاب والقش . . . حتى إذا جنّ الليل آوى إلى جذع شجرة فوضعها تحت رأسه وراح يفكر .

بعيداً عن الناس يريد أن يتمم بناء بيته ـ الكوخ .

وبعيداً عن أصواتهم وصراخهم وثرثرة النساء يتمنى أن يمضي بقية عمره . ونام . . .

[illegible] مجموعة من الحيوانات قد غيرت مجرى النهر وطمست معالمه ، ودقت بوابة المدينة بعوارض من الصفيح السميك .

أخذ « أحمد خميس » يبحث عن مدخل المدينة ، عن النهر الهامس الرقيق الداخل إليها ، لم ير أثراً للنهر ولا طريق هناك إلى المدينة . . غير أن لوحة صغيرة لوت عنقه ، كان مكتوباً عليها :

(لا يدخل مدينتنا من يفكر قبل النوم . . لأنه خطر . وتحب حيواناتنا أن تعيش بهدوء ودعة واسترخاء . .) .

وتوقف عن التنفيذ . . .

سأل « أحمد خميس » رجلاً أن يستخرج له إقامة ولو مؤقتة تمهيداً للحصول على جواز سفر .

فقال له الرجل :

ـ ستكون الإقامة عبئاً ثقيلاً عليك ، لا تنس وزنها وأنت تحملها معك إلى كل مكان .

فأجابه « أحمد خميس » :

ـ ولكن لا بد من ذلك . .

فقال الرجل :

ـ اذهب إذن واستخرج تعريفاً ممهوراً من اثنين من معارفك وائتني به .

وحفيت قدما « أحمد خميس » وهو يبحث عن واحد لا عن اثنين .

وفكر أخيراً أن ينشر إعلاناً . . ففعل ، ورجا أن يعرّف عليه من يعرفه ، وما كاد ينشر الإعلان حتى قبض عليه وسجن شهراً لأنه يتستر على نفسه .

تختلط الرؤى في ذاكرة « أحمد خميس » ليلاً ، فهو يعتاد التفكير قبل النوم ، لكنه بالأمس . . وبالأمس فقط لم يدر كل ما حصل ، هل كان ذلك تفكيراً موهوماً أم حقيقة واضحة . . ؟ .

فقد أتاه مدرب الحيوانات في السيرك ، وعرض عليه عرضاً سخياً ، وقال له :

ـ سيكون لك ما تشاء ، سوف تتمتع باسمك وعمرك وحالتك الاجتماعية إن استمعت إلى نصيحتي .

فسأله « أحمد خميس » :

ـ وما نصيحتك ؟ .

فقال مدرب الحيوانات :

ـ إن تطاوعني وتقدم كل يوم في السيرك (نمرة) لا تزيد في زمنها عن نصف ساعة . . وسوف ترى كم ستتبدل حياتك .

قبل أن ينطلق الرفض من فم « أحمد خميس » ، تابع مدرب الحيوانات قائلاً :

ـ إن شئت أن تتأكد من التغيير والتبديل في حياتك ، أسلم قيادتك لي ، ودعني أصحبك معي في حلم إلى تقديم هذه النمرة القصيرة .

فقال « أحمد خميس » :

ـ إن كان ذلك في الحلم فلا أمانع .

فشرع مدرب الحيوانات يلبس « أحمد خميس » ثياباً مزركشة حيناً ، وجلود حيوانات مختلفة أحياناً أخرى ، وراح يطوف به أمام الناس . .

الرجال يضحكون ، والنساء يثرثرن وتتقزز صدورهن ، والأطفال يصيحون ويصفقون يطلبون المزيد من التسلية والإضحاك .

وبعد أن انتهت دورة « أحمد خميس » في ساحة السيرك يستلهم سخريات الجمهور وضحكاته الممجوجة ، بدأت تنهال عليه أعقاب السجاير ، وقشور الموز ، ونوى الفواكه الفاسدة وبعض النفايات .

وأحس « أحمد خميس » بدموعه الساخنة تبلل وجنتيه .

فسأله مدرب الحيوانات :

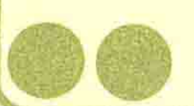
ـ هل أنت تبكي . . ولماذا أيها الغبي . . ؟ إنك تضحك الناس وتدخل السرور إلى قلوبهم .

فتطلع « أحمد خميس » إلى نفسه ، وأشفق على حاله وبكى . . بصوت مسموع هذه المرة .

ولم يدر « أحمد خميس » هل كان كل ذلك في المنام ، أم في اليقظة والتفكير قبيل النوم . . ؟

لكن الشيء الوحيد الذي تأكد من تقريره هو :

التوقف عن التنفيذ ، والاستمرار في التسكع المعاصر ولو بلا إقامة أو جواز سفر .



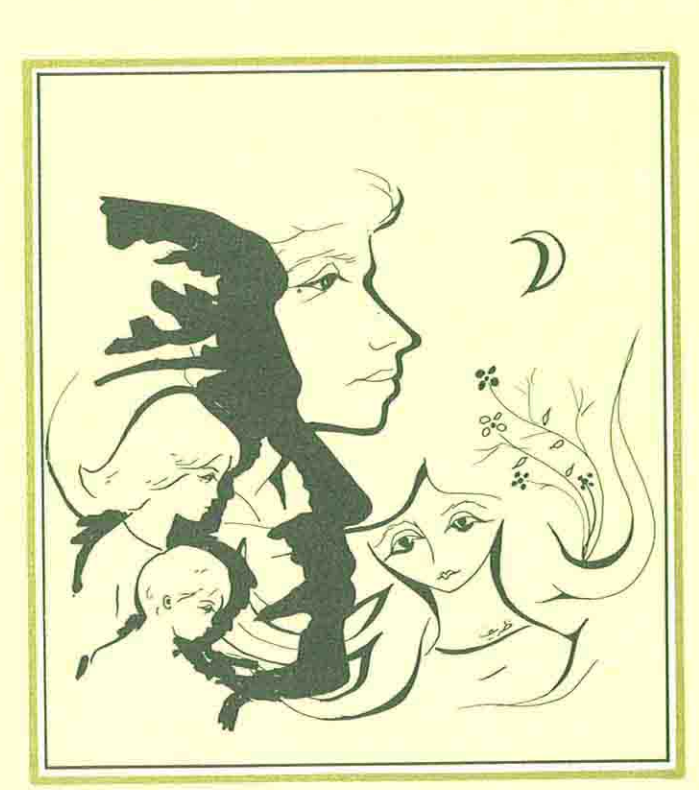
شرخ في لوحة الربيع

بقلم
يوسف الغزو

في كل ربيع كانت تكتمل لوحة جميلة : السماء صافية ، الأعشاب طويلة غضّة ، الأزهار باسمة فرحة ، نباتات الشومر والخرفيش تملأ المنحدر ، الشمس ساطعة ، الطيور مغردة ، **وبيت الشعر** قائم على أعمدته الراسخة رسوخ الجبال من حوله . وفي داخل البيت تبدو البسط المزركشة كحوض من الورود الملونة . وأعمدة الوسط تجاور «**المنقل**» العامر «**بالدلال**» الصفراء المتوهجة المبتسمة وكأنها ترحب بكل ضيف . وخارج البيت تمتد ساحة عريضة تنتشر فيها مرابط الأغنام ، ومعالف الخرفان . وعند الغروب تغص الساحة بالأغنام العائدة من مراعيها ، فتنتشر في كل مكان ، ويتمسح بعضها بالحبال المتشبثة بالأوتاد ، ويعبر بعضها البيت في حركات فوضوية محببة ثم سرعان ما تعود إلى أمكنتها بين القطيع .

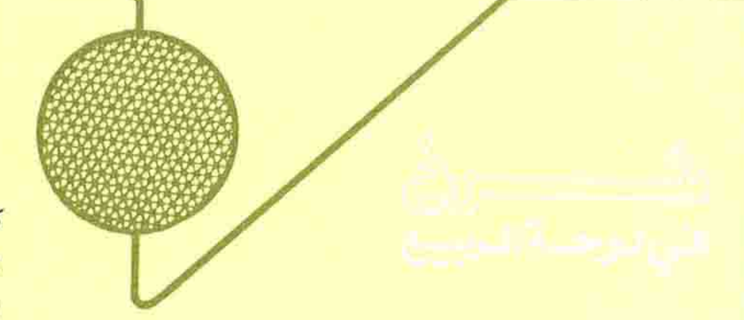
كانت تلك هي اللوحة التي تخطها أنامل الطبيعة في كل ربيع .. ولكن **ما بال الربيع يبدو حزيناً كئيباً هذا العام**؟ الجواب واضح : لقد [illegible] أغنامها ، فبدت المرابط خالية ، والمعالف فارغة إلا من بقايا «**تبن**» جاف .. بدت الدنيا كلها كلوحة ذات شرخ هائل .. كمرآة مكسورة ، كجسم إنساني فسد أحد أعضائه ، كطائر جميل بلا جناحين . فالأغنام لن تعود إلى ساحة البيت تسبقها أصوات أجراسها ، فلا ثغاء ، ولا حركة ولا تزاحم . لا حليب ولا لبن ولا زبدة ولا رائب . لا ذبائح ولا روائح . لا جلود مدبوغة ولا قدور تغلي على النار . هدوء مقيت ، صمت رهيب كصمت المقابر . حياة رتيبة مملة كل شيء فيها جاهز : اللبن في علب وقد صنع من بودرة كالطحين . الخبز في أكياس وقد صنع من دقيق أبيض كلون الجير .. كل شيء يشترى من المدينة بنقود تأتي دون جهد . حياة تحطم الأعصاب . **أين ثغاء الأغنام الذي هو جزء من مقومات الحياة كالدم؟ أين مشهد القطيع العائد عند الغروب؟ الحياة بغير هذا كله بركة ماء آسن ، فراغ قاتل يفتك بالروح فيسلبها روعة الإحساس بالوجود .**

والربيع ؟ هل هو ككل ربيع ؟ لماذا يبدو إذن حزيناً صامتاً [illegible] لون ونسيمه بلا عطر ؟ . ودلال القهوة الجاثمة في أحضان المنقل ؟ . هل هي كعهده بها ضاحكة مرحبة بالضيف ؟ . ومن هو ذلك الضيف الذي يزور بيتاً وتتردد في جنباته أنفاس الحياة ؟ . صحيح أن الدلال لا تخلو من القهوة في ليل أو نهار .. ولكن ما لذة القهوة إذا لم تُشرب على مشهد من الأغنام العائدة من المرعى أو السارحة نحوه ؟ لا طعم إذن لقهوة ، ولا لون لدلال ، ولا جمال [illegible]



صور حزينة متلاحقة تمر في خيال **الشيخ** الوحيد صباح مساء ، تزيده الوحدة حزناً ، والفراغ وجداً ، والذكريات شوقاً إلى أيام ذهبت ولن تعود . فهو يقف في الصباح أمام بيته ، وينظر إلى الساحة الخالية ، ويرى بعين خياله الأغنام توشك أن تنطلق إلى المراعي . ويقف في المساء ليرى أنها توشك أن تعود . وحين يشده الواقع إلى الحقيقة تنساب من عينيه دمعة ثم يهمس : «**ليسامح الله** [illegible] **باسم الحب ظلماً**» .

لم يكن الشيخ ليعترف بالهرم



ولا بالعجز . فهو لا يزال كعهده دائماً . . . يتحرك ويمشي ويصنع القهوة ويلحق الأغنام إلى المراعي ، ثم يعود بها من هناك . . يرعاها ويحافظ عليها كأي رجل في ريعان الشباب . . ولكن أولاده لا يرون ذلك . لقد كبروا وتعلموا ، وتزوجوا ، وتفرقوا . . لكنهم ليتهم تركوه وشأنه . . لم يتركوه . . بل راحوا يخططون له حياته :

– آن لك أن تستريح يا أبي . .

● أنا مرتاح هكذا . . اتركوني وشأني .

– نحن في وظائف عالية ، والمفروض أن تغير نمط حياتك .

● كيف ؟

– تترك بيت الشعر وتعيش معنا .

● مستحيل !!

– إذن تبق هنا ولكن بدون أغنام .

● لا أستطيع .

– بل يجب . لأن الأغنام تحتاج إلى رعاية وجهد .

● لا أستطيع .

– أبي . لا تكن عنيداً ، المصروف سيصلك في نهاية كل شهر ،

● لا أريد منكم شيئاً . .

– ونحن لن ندعك تحتمل فوق طاقتك .

● أنا قادر على ذلك .

– لا يا أبي ، نرجوك ، من أجل خاطرنا .

● ولكن . .

– أنت موافق إذن . .

وحدث كل شيء دون أن يوافق ، بيعت الأغنام ، وظل وحيداً في بيت الشعر يقتات على الذكريات . كانت ذكرياته تتفجر كسيل عارم ، كانت لشدة وقعها وحضورها كالحقيقة . يُخيّل إليه حينها أنه يستمع إلى ثغاء الأغنام التي تلاقي صغارها . وإنه واقف أمام بيته يرقب المشهد ويعد الأغنام ، بل يسميها بأسمائها . هو يعرف الأغنام من عيونها وقرونها : يعطي لكل واحدة منها اسماً :

هذه **«كحلا»** ، وتلك **«قرعا»** وثالثة **«قرنا»** ، ورابعة **«دعجا»** وخامسة **«عوجا»** . ويعرف صغارها أيضاً : هذا ابن الكحلا ، وذاك ابن القرعا .

كان أحب المشاهد إليه ذلك اللقاء بين الفطيم وأمه العائدة من المرعى . ثغاء متبادل حتى تتم لحظة اللقاء ، ترنيمة كأحلى ترانيم الوجود . كانت الأغنام تحلب أولا ثم يحدث اللقاء . كثيراً ما كان يطلب من الحالبين أن يتركوا شيئاً للصغار ويتركون . فتلقم الصغار ضروع أمهاتها ، وتشرق عيونها بالشكر لصاحبها ، فتتعزز الألفة ، وتستحيل إلى محبة ، ثم إلى علاقة ، ثم إلى جزء من المصير .

ولم يعد زاد الذكريات كافياً ذات يوم . فقد نهض الشيخ من فراشه ثم رنا ببصره إلى الساحة الخالية ، ورأى الغشاوة التي تكسو وجه الربيع ، فترك البيت ومضى في الطريق المتعرج الضارب في بطون الجبال . تشده أصوات أقرب قطيع إليه .

في ذلك اليوم عثر عليه راع لا يعرفه . رآه ساقطاً في فج من فجاج الجبل وهو يحتضن خروفاً صغيراً من خرفانه ، وكلاهما قد فارق الحياة . وكان على الراعي أن يبلغ الشرطة في الحال .

وفي مجلس ضم أبناءه الأربعة بعد الدفن دار هذا الحوار :

– سامح الله والدنا . . يسرق خروفاً على آخر الزمن ؟

– ما الذي ينقصه حتى يسرق ؟

– أنا أعطيه عشرين ديناراً كل شهر .

– وأنا أعطيه أربعين .

– أما أنا فأعطيه خمسة وعشرين كل شهر .

– وأنا أعطيه ثلاثين . .

– يكون المجموع مائة وخمسة عشر . . ماذا يريد أكثر من ذلك ؟

– ألا يكفي هذا المبلغ رجلاً يعيش وحيداً في بيت من الشعر ؟

– يسرق خروفاً على آخر الزمن ؟

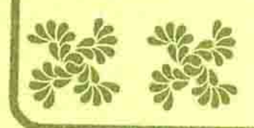
– على كل حال لقد حدث ما حدث . . . فلندع له بالرحمة والغفران . .

– ليرحمك الله يا أبي . .

– علينا أن لا نلومه يا إخوتي . . يبدو أن الكبر قد جعله يفقد عقله .

– الكبير حين يكبر يعود طفلاً كما تعلمون . . ليرحمه الله . .

ونهض أولاده الأربعة . وغادروا بيت الشعر دون أن يتأملوا ما حولهم . . ولو فعلوا ذلك لاكتشفوا شرخاً واسعاً في لوحة الربيع . . ولوصلوا إلى قلب الحقيقة . . .



دمـاء تمتصها الرمـال

بقلم
هدى جاد

مال أحد الجالسين في قاعة المحكمة وهمس في أذن جاره :

ـ ما حكاية المتهم ؟؟

وابتسم الآخر ثم قال :

ـ هل تأملت ملامحه جيداً ؟

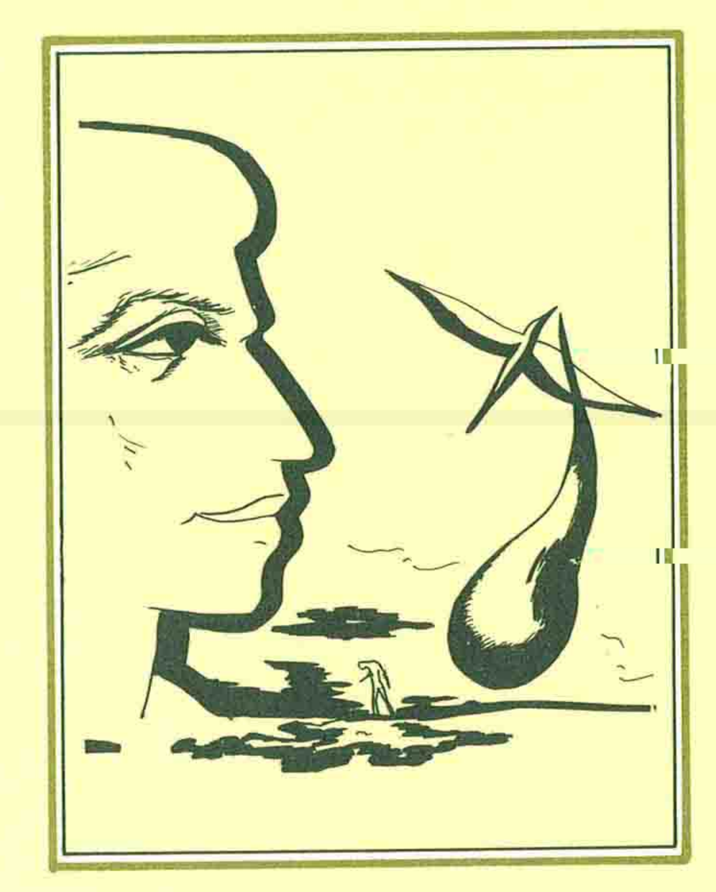
ـ يبدو رجلاً عادياً .

لكنه بعد لحظات تأمل استأنف حديثه : لعينيه بريق غريب ثم حدة مخيفة وهو يشخص إلى الآخرين .

ـ أتريد حقاً التعرف على حكايته ؟

ـ رجل يتصرف على هذا النحو المخيف يهمني جداً أن أتعرف على شخصيته أنسيت هوايتي ؟؟

ـ كلا بالطبع .. هناك آلاف من القراء يتابعون صفحتك التي اشتهرت بها عن الجريمة ومرتكبيها ..



تعرف أنني من أهل البلدة .. والديَّ نشآ فيها .. كذلك الأجيال السالفة .. أعني جذور جدي لأبي وجدي لأمي .. **حكاية هذا الرجل** .. كأي أسرة عادية فقدت عائلها .. ترملت الزوجة الأم لسبع بنات وهذا .. هذا الابن وبحكم هذه الظروف نشأ الولد مدللاً بعد أن نصب نفسه حامياً لأسرته التي لا تخالف له أمراً .. الأم تعامله كأنه الرجل الوحيد المميز في القرية ، وأن القدر استبدل رجلها به ، فكانت تتفنن في إرضائه على حساب بناتها ، وكان لا يتورع عن ضربهن بالعصا ، رغم ما عرف عنهن من طيبة وطاعة وسلوك حسن ، والغريب في الأمر أن البنات أفلحن في دراستهن .. والقليل منهن لم يكملن التعليم .. لا لشيء إلا لتسرعهن في الزواج ابتغاء الهروب من قسوة الابن وتعذيبه المستمر لهن .

انتاب الشاب غرور أطاح برأسه ، ولقنه أن القوة والعنف هما رأس ماله الحقيقي ، وأن متابعة الدراسة والتعليم خدعة لأهل الضعف والاستكانة ، إلى حد أنه تطاول على واحد من مدرسيه فضربه ضرباً كاد يفضي به إلى الموت .. وكانت النتيجة أنه فصل من المدرسة .. **ومن هنا تبدأ .. حكايته الحقيقية** .. فقد انحرف تماماً عن الطريق السوي وبدأ يرافق أهل السوء .. وذاع صيته بين الناس واتخذ لنفسه أسلوباً هو مزيج من الإرهاب والقسوة و ..

وقاطعه الصحفي قائلاً :

ـ اعطني صورة عن أحد تصرفاته ..

وابتسم الرجل قائلاً :

ـ كثير من أهل البلدة يقسم على أن حادثة وقعت أمام أعينهم كما نوهت لك من قبل .. إن معظم أهل البلدة كان يعرفه ..

تصادف مرور سيارة أجرة أمامه فأشار للسائق بالوقوف فوقف فوراً . ولسوء الحظ كان هناك راكب طلب منه رجلنا أن يغادر التاكسي في الحال .. لم يكن الراكب ـ ويبدو أنه غريب عن البلدة ـ لم يكن يعرف شخصية الرجل فرفض أن يغادر السيارة قائلاً : **ـ بأي حق تطلب مني مغادرة السيارة ؟** .

أجابه بصلف قائلاً :

ـ لأنني لا أحب أن يشاركني أحد في الركوب .

ـ لكنني سبقتك .. ثم هناك سيارات أجرة أخرى .. اختر لك واحدة منها ..

ـ لا تجادلني ، وعلى أية حال لقد ضيعت من وقتي الكثير .. هناك طريقة أسرع ..

ـ وإذا به يخرج مسدسه ويطلق على الراكب الرصاص ويلقي بجثته في الشارع وإذا بالسائق ينطلق في طريقه كأن شيئاً لم يحدث ..

ولم يجرؤ واحد أو واحدة على إبلاغ الشرطة . وقيد الحادث ضد مجهول .. أو مجهولين .

ـ هه .. أتريد سماع المزيد ؟

وحملقت عينا الصحفي فإذا به يخرج لفافة تبغ ويقول بعصبية .. **أكمل بالله عليك ، أسرد حكاية هذا الرجل العجيب ..**

كما شرحت لك سابقاً إن هذا المجرم الذي انفرد بشخصية تكاد تكون أسطورية .. ذاع صيته في البلدان المجاورة . وأصاب الذعر معظم الناس آثرت النسوة الاختفاء في بيوتهن ، أما الرجال فمنهم من كان يتحاشاه أو يحاول التظاهر بجهله عن التعرف بشخصيته .. حتى كان يوماً تحدد فيه مصير هذا الرجل الذي أطلق عليه في الأونة الأخيرة (**إمبراطور الجريمة**) وحملق الصحفي في عيني جاره متظاهراً بالتماسك وهو لا يكاد يصدق ما سمعه لولا ثقته الكبيرة في شخصية صاحبه . دق قلبه دقات عنيفة وسرعان ما تراءات أمام مخيلته صورة غابة ووحوش مفترسة .. الأقوى يلتهم الأضعف .. حتى لا يصبح هناك .. بعد ذلك فضلات . وتماسك بجهد كبير ، وابتلع ريقه وكادت الصورة المتخيلة أن تختفي معالمها من أمام ناظريه . حتى لكزه في ذراعيه قائلاً ..

ـ هل غفوت يا صاحبي ؟؟

واستعاد الصحفي ما تبقى له من قدرة في حواسه ، ثم قال وذبذبات صوته تتأرجح بين الصعود والهبوط ..

ـ أكمل يا صديقي إن رجلنا هذا امبراطور الجريمة بحق .

ـ أقول إن هذا المجرم دخل أحد المقاهي .. أحس به الأفراد . وبدون تفكير وبصورة تلقائية أسرعوا بالوقوف تحية له وهيبة .. إلا ..

ـ هه ؟؟

ـ إلا واحد .. كأنه رشق أول مسمار في نعشه .

وبادر الصحفي سؤاله بلهفة : **ـ لم تصرف هذا المجنون على هذا النحو .. ألم يكن يعرفه كضحية سيارة الأجرة السابق ؟ .**

وابتسم الصديق كأنه ينعي خير الدنيا وقال : ـ على الإطلاق .. كل ما في الأمر أنه كان مصاباً في رجله .. فلم تسعفه قوته على الوقوف .. مما أثار الإمبراطور ثورة عنيفة وعدها إهانة لا تغتفر ، ورغم توسل الرجل ورجائه أن يعفو عنه إلا أن ذلك كله لم يفلح إلا في تشبثه بإنزال العقوبة عليه التي لخصها له في كلمات :

ـ ستقتل في أقرب فرصة ..

وسارع الصحفي بسؤاله :

ـ لم لم يقتله في الحال ؟ .

ـ ربما لأن الإهانة لم تكن متعمدة . وربما لأن شهيته للقتل لم تكن مفتوحة حينذاك ..

سارع الرجل المصاب إلى الشرطة مبلغاً إياهم بتهديد الإمبراطور له باغتياله في أقرب فرصة مناشداً السلطة أن تحميه فقد بات لا يستطيع النوم أو تناول الطعام ..

حاصر رجال الشرطة المقهى في اليوم التالي .. كان خطتهم أنهم كلما أسرعوا بحماية الضحية قويت فرصة إنقاذه .. **لكن أتعلم ماذا حدث ؟ .**

ـ ... ؟؟؟

ـ دخل الإمبراطور المقهى بمفرده أخرج من جيبه سكيناً طعن به الضحية .. حدث ذلك كله في ثوان أمام الشهود .. إلى حد أن رجال الشرطة لم يستطيعوا وقف الجريمة التي ارتكبت أمام ناظريهم .

بعد سماع الشهود .. قررت المحكمة إحالة أوراق المتهم إلى المفتي وتعويض أسرة القتيل بآلاف الجنيهات من أموال القاتل ..

تخشبت أعضاء الصحفي وسرعان ما انبثقت أمام مخيلته صورة المجرم الذي ما زال ماثلاً وراء قفص الاتهام ، وقد انحنى من حوله بعض السباع والذئاب والنمور .. فأسرع بإغماض عينيه حتى كادت خطواته تتعثر .. مما دعا صديقه لأن يسأله ..

ـ ماذا دهاك ؟؟

ـ سأحاول أن أثير موضوعاً طرأ على ذهني في التو واللحظة .

ـ ما هو ؟؟

ـ أن تنشأ جمعية تسمى جمعية « الرفق بالإنسان » .



ميلانخوليا سن اليأس

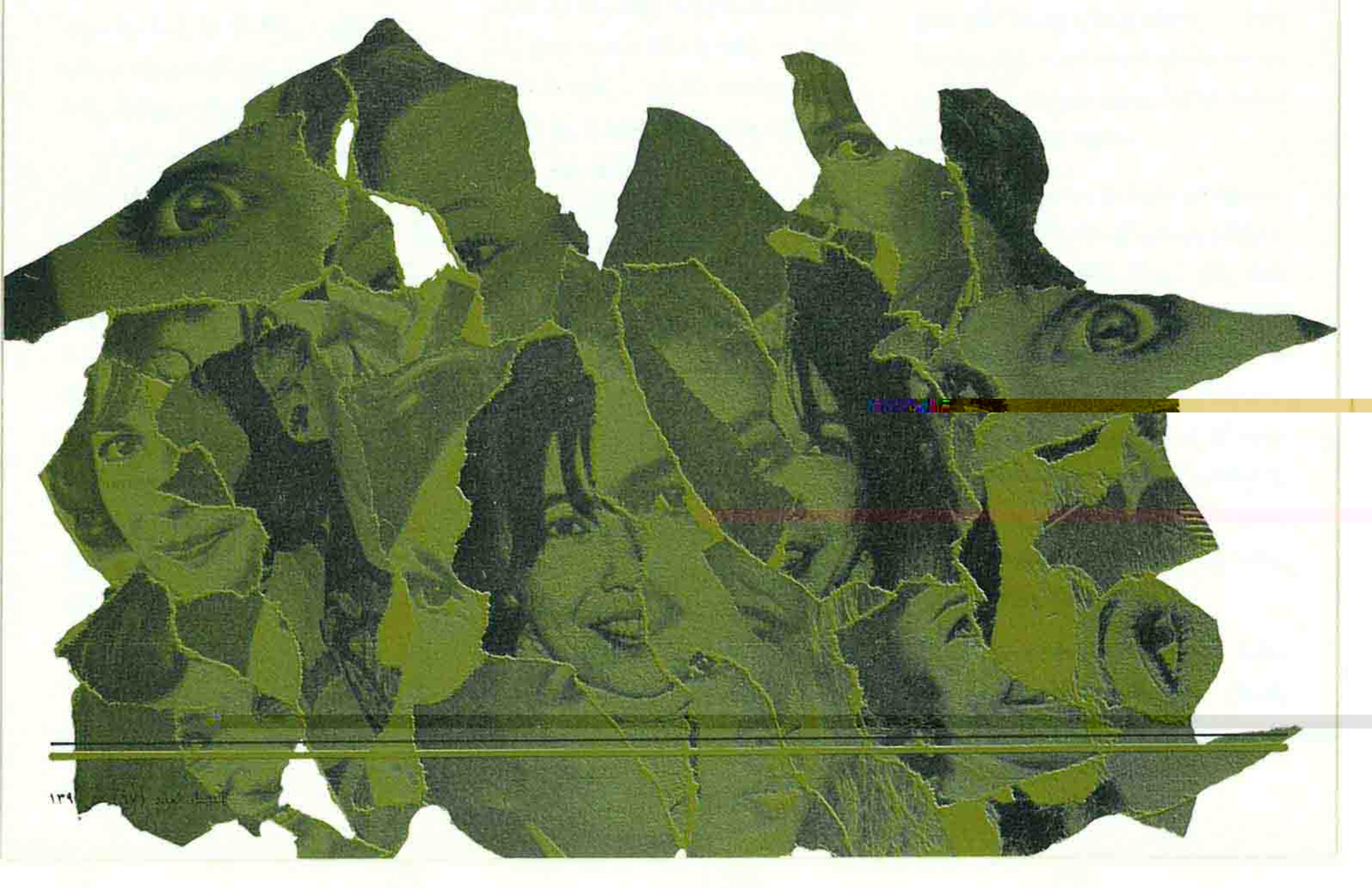
INVALUNTHIONAL MELANCHOLIA

بقلم: د. عبد الرحمن العيسوي

ميلانخوليا سن اليأس مرض ينتاب الإنسان في صورة اضطراب يتمثل في ردود فعل اكتئابية تتميز بالتهيج وإدانة الذات أو لومها.. ويحدث هذا الاضطراب في مرحلة سن اليأس عندما يواجه الإنسان سلسلة من التغيرات الفسيولوجية المرتبطة بالتدهور العقلي والبدني.

لقد وجد أن الوسيط الحسابي في العمر بالنسبة للمرضى الذين يدخلون المستشفى لأول مرة هو (٥١) عاماً بالنسبة للإناث، و (٥٥) بالنسبة للرجال المصابين بذهان ميلانخوليا سن اليأس، وأكثر من ٩٠٪ من المرضى الذين يدخلون المستشفى لأول مرة من كلا الجنسين، تتراوح أعمارهم ما بين ٤٠ و ٦٥ سنة، كما وجد أن اكتئاب سن اليأس أكثر وضوحاً وانتشاراً بين النساء عنه عند الرجال، ويوجد ٢٪ من الرجال و ٧٪ من النساء و ٤٪ من مجموع من يودعون المصحات العقلية هم من مرضى اكتئاب سن اليأس، ويبدو هذا منطقياً في ضوء تأثر المرأة أكثر من الرجل في الوصول إلى سن اليأس، وانقطاع دورة الطمث عندها.

وفيما يتعلق بالأعراض التي يعاني منها مرضى هذا الاضطراب، فإنها تظهر تدريجياً، ولا شك أن هناك من الخبرات المؤلمة والحزينة التي تعجل بظهور هذا المرض.. منها فقد المكانة الاجتماعية أو الوظيفية، حالات الموت في الأسرة، أو الانتكاسات المالية. وتتضمن الأعراض الأولية المبكرة: فقدان الوزن، الأرق، الصداع، فقد الاهتمام بالأنشطة المعتادة، الضيق القلق، وضعف التركيز، وانخفاض معنويات الفرد.. وعندما يزداد



المرض فإن الصورة التي تؤخذ عن المريض تمتاز باليأس الشديد وفقدان الأمل ، ومن المظاهر الوجدانية البارزة الخوف والتهيج والكآبة ، انكسار النفس ، والغم ، والكرب ، والهم ، وتوقع الشر في كل شيء .

المطالبة بعقاب النفس

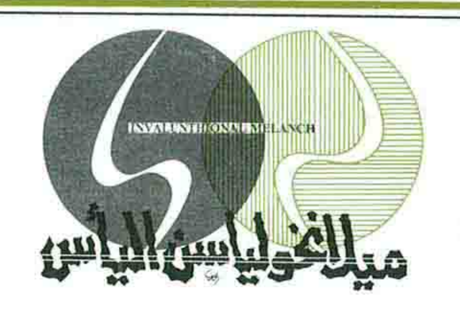
وعلى الرغم من أن الغالبية العظمى من هؤلاء المرضى قد عاشوا حياة مفيدة ونموذجية إلا أنهم يبالغون في تعذيب أنفسهم باتهامات زائفة . . فهم يدعون أنهم تورطوا في خطايا لا يمكن العفو عنها ، وأنهم قد دمروا أنفسهم وأصدقاءهم ، وأنهم قد خدعوا من وثق فيهم من الناس ، وأنهم قد انغمسوا في جرائم ضد الإنسان ، وضد الله لا يمكن الحديث عنها . فهم يلومون أنفسهم على شرور العالم .

ينحصر ماضي الاضطراب في تصورهم في الأفعال السيئة التافهة ، والحماقات التي يضاعفون من حجمها آلاف المرات ، ويشعرون أن الله قد تخلى عنهم بسبب شرورهم . وليس لديهم أي أمل في الخلاص ، وكأن الفقر مكتوب عليهم ، وأن بعض الكوارث سوف تلحق بأبنائهم ، والموت سيحدث لا محالة .

وأحياناً يشعرون أنهم سوف يعيشون إلى الأبد ، وفي بعض الأحيان يتوسلون من أجل الرحمة ، وكثيراً ما يطالبون بعقاب أنفسهم ، أو بوضعها في السجن أو قتلها . وفي الغالب ما يرفضون تناول الطعام على أساس أنهم لا يستحقونه . وإذا لم توجه العناية نحو مراقبتهم فإن عدداً كبيراً منهم يرتكب جريمة الانتحار .

ومن الأعراض الشائعة أيضاً هذيان العدم أو الانعدام NIHILISTIC إذ يتخيل المصابون بهذا العرض أنه لا يوجد إنسان حقيقي في هذه الحياة التي تغير فيها كل شيء ، والتي فقدت كل معانيها .

كما يوجد كذلك البعض ممن يدعون أنهم أصبحوا عاجزين عن إدراك أي إحساس أو



شعور ، فيظهرون هذاءات توهم المرض HYPOCHANDRICAL DELUGINS .

يتصور المريض أن جسمه قد انكمش ، وأن مخه قد اجتذ من جذوره ، أو أنه بات صخرة صلدة صماء يحس كأنما هو قد فقد معدته ، وأن دمه قد استحال إلى ماء ، أو أنه قد جف أو نضب .

ومن الأعراض الفيزيقية فقدان الشهية ، الإحساس بالضغط على أجزاء مختلفة من الجسم واضطرابات معدية معوية ، والضعف الفيزيقي العام .

وعلى العكس من شدة الاستجابات الانفعالية التي تنتاب بعض المرضى . . فإن الوظائف العقلية العليا في هؤلاء لا تتأثر تأثيراً كبيراً . . فذاكرة المريض تظل قوية وواعية وعياً سلبياً ، كما أنه يستطيع أن يوجه نفسه توجيهاً سلبياً ولديه استبصار كاف أو معقول عن حالته ويدرك أنه مريض . بل إنه يستطيع أن يميز الأسئلة التي لا ترتبط بالأعراض التي يعاني منها ويجيب عنها بذكاء كاف .

أما عن تفسير هذه العلة فيمكن إرجاعها إلى عوامل تتصل بالغدد الصماء . ففي أثناء مرحلة سن اليأس **تتعرض الغدد الصماء إلى تغيرات في وظائفها** . فعند النساء **هناك تغير واضح في الحياة يشير إليه انقطاع الطمث** . وفي نفس المرحلة الحرجة يحدث **ضعف في القدرة الجنسية لدى الرجال** بعد سنوات قليلة من ذلك . ويفترض بعض العلماء أن **إعادة التكيف الغدي هي المسؤولة عن حزن سن اليأس** . ولكن هناك من يتساءل عما إذا كان الذهان هو نتيجة مباشرة للتطور الغدي أم أنه رد فعل سيكولوجي غير مباشر للتدهور العقلي والفيزيقي

المرتبط بهذه الفترة . إن الأدلة التجريبية تناصر هذا التفسير الأخير . فإذا كان الاضطراب نتيجة مباشرة للتدهور الغدي فإن الاضطراب ينبغي أن يستجيب للعلاج الغدي استجابة إيجابية .

فحتى وقتنا الحاضر ثبت عجز العلاج الغدي . ومما يقف ضد نظرية الغدد هذه أن بداية ميلانخوليا سن اليأس في النساء قد كثرت على وجه العموم ما بين ٥ ــ ١٠ سنوات بعد انقطاع الطمث وفي بعض الأحيان بعد عشرين عاماً .

وجهة النظر السيكولوجية في تفسير الميلانخوليا

تفسر وجهة النظر السيكولوجية هذا الذهان عن طريق زيادة سمات ذات وجود سابق هي بدورها جزء من تكوين الفرد الاستعدادي أو (الجبلي) أو الوراثي قبل ظهور المرض بفترة طويلة ، ذلك أن غالبية المرضى يعانون من **الخجل والحياء** ويتصفون بالعناد والعصيان وشدة وطأة الضمير والقمع والبخل . . إنهم أصحاب عقول حادة صارمة ويحكم حياتهم إحساس قوي بالواجب ومبادئ أخلاقية جامدة Rigid Moral, Principles .

وتنحصر اهتماماتهم في أسرهم وعملهم . . كما أنهم قليلو الأصدقاء ولا يهتمون بالترفيه ، وكثير منهم يُعاني من القلق المزمن . ولكن طالما ظلت طاقاتهم الفيزيقية وحماسهم وتفاؤلهم المرتبط بمرحلة الرشد المبكرة . . فإنهم يستطيعون أن يتكيفوا تكيفاً معقولاً مع الحياة على الرغم من أنهم لا يصلون إلى مستوى القمة إلا أنهم يحققون نجاحاً معقولاً أو متوسطاً ، وبالتقدم في السن يعاني من **خيبة الأمل والمخاوف** ويشعر **بانقضاء حياته** ، وأن طموحه الذي استمر طوال الحياة لن يتحقق .

أما النسوة فإنهن يواجهن فقدان شيئين هامين أحدهما **الجاذبية الفيزيقية** والثاني

قـدرتهن على إنجاب الأطفـال . وبسـبب ضعف القدرة لدى الرجال فإنهم يشعرون بعدم الأمان في وظائفهم بسبب الفقر والإحـالة إلى المعـاش ، والمنزل الـذي كان مـركزاً لـلاهتمام بالنسبة للكثيرين منهـم أصبح مهجـوراً بسـبب زواج الأبناء أو بسـبب مـوت شريـكة الحيـاة (الزوجة) . ولم يعـد العـالم الخارجي يتضـمن أي شيء ذي أهميـة يمكن استغلالها . وبـذلك يصبح عالمه الخارجي عالماً من الظلام ومن عدم الحقيقة .

وتـتجه الآن كل الاهتمامات نحو الـذات ويصبح المريض مهتماً بمشاعر عـدم الأمـان في حياته وبضعفه الجسمي والنفسي .

حوار .. ويأس

ويكشف الحـوار الآتي الـذي أجـراه أحـد الأطباء مـع مـريض كـان مــن رجـال الأعمال الناجـحين :

س : كيف حالك يا جون ؟ إنه يوم لطيف أليس كذلك .. ؟

ج : نعم إنـه لـطيف بـالنسبة لك **وليس بـالنسبة لي** .. لم يعـد هنـاك أيـام محببة في حياتي !

س : ألا تجد الحياة سارة أو سعيدة ؟

ج : كيف أجـــدها كذلك ولم يعـــد لي **معــدة ، ولا قـلـب ، ولا كليتـــان ، ولا عقل ولا مخ** ، أنا عاجز ولا أساوي شيئاً وليست لي قيمة ، ولا صديق واحد لي .

س : بالتأكيد لا بـد أن يـكون لك بعض الأصدقاء ؟

ج : ربما كان لي .. ولـكن لم يعـد الآن ، لقـد دمـرتهم جميعـاً ، إنـني كل شيء سيئ ، إنـني **فاسد من الداخل** ولا أمـل ولا يـوجد لدي عقل .

س : يتحدث أصـدقاؤك ورؤسـاؤك عنـك حديثاً طيباً ؟

ج : إنـني حقيقة لم أعمل طـوال حيـاتي ، لقد خدعتهم جميعاً طوال حيـاتي كل مـا عملتـه أنفق في وقته ، والآن لقد تـدمر ذلك أيضـاً ولم يكن من الواجب أن يدفعوا لي أي مرتب .

س : لماذا تدين نفسك هكذا .. ؟

ج : حسناً لقد ساهمت في أسوأ نـوع مـن القذارة .. ألا تستطيع أن تعرف من مجرد النظر لي .. ألا تســتطيع أن تشـــمها .. إن كل شخص آخر يسـتطيع ذلك ، لم تعـد معـي نقود .. البنك على وشك الاستيلاء على مـنزلي ومنزل شقيقي وعندئذ سوف يموتون جوعاً بسـبب أفعالي السيئة . إنـني **لا أساوي شيئاً** . إنـني أعاني من مرض خطير منذ أن كنت في السادسة من عمري لم يعـد هنـاك مخ في رأسي ، إنـني **أنتمي إلى قاع النهر** .

س : ما المرض الذي تعاني منه .. ؟

ج : لقد سمم كل جسدي ورائحتي تلـوث العالم الآن بسبب ذنوبي وسوف يعـاقب العـالم كله .

س : ما الذنوب التي ارتكبتها ؟

ج : الخطيئة التي لا تغتفر ، الخـطيئة الـتي لا تغتفـر ، لم لا تلقي بـي في النهــر ؟ .. إنـني لا أستحق العيش .

س : ما هذه الخطيئة التي لا تغتفر ؟

ج : إنها رهيبة .. لا يمكن الحديث عنها ، هناك حل واحد فقط .

س : ما هو هذا الحل ؟

ج : **النهر** .. !

س : لماذا ينبغي أن تنهي حياتك ؟

ج : مـاذا أفعـل غـير ذلك ؟ .. علـيّ أن أذهب إلى النهر بسـبب ذنوبـي ، ألا تـرى أنـني لم أذهب أبداً إلى الكنيسة .. كل من يعرفونـني يعرفون عاداتي . أكثر العادات غبـاوة وحمـاقة . لقد كنت غير أخلاقي وضد كل الطبيعة .

س : هل يوجد من يحاول إيذاءك .. ؟

ج : لا ، ليس من أعرفهم .

س : هل رأيـت أبـداً صـوراً أو سمعـت أصواتاً خيالية ؟

ج : لا .. لم أر ولم أسمع .

س : هل تعتقـد أن هنـاك شـيئاً خـطأ في عقلك . ؟

ج : لا يوجد لديّ أي عقل ، إنـني **مجـرم عديم المخ ، إنـني سبب كل كوارث هـذا العالم** ، لماذا لا تـتركني أتدحرج في هـذا النهـر وأغوص فيه ؟ .

العـلاج

لتحاشي خطورة الإنتحار .. فمن المستحسن وضع هـؤلاء المرضـى في المسـتشفيات العقليـة حيث يتمتعـون بـالإشراف الـدائم الـدقيق وتستهدف المعالجة الاحتفـاظ بـالصحة الجسـمية من خلال تـوفير الـراحة والـوجبات الغـذائية الملائمة .

وتفيد المعالجة عن طـريق العمـل في إثـارة اهتمام المريض وتشجيع تكوين اتجاه إيجابـي نحـو الشفاء Recovery . أما العـلاج النفسي خـلال المرحلة الحادة فلا تفيد . وهناك بعض التقـارير التي تفيد جدوى العلاج الغذّي .

ولقد تبـين حـديثاً أن هـؤلاء المرضـى يستجيبون استجابة إيجابية للعـلاج عـن طـريق الصدمات الكهربية والعمليات الجراحية المخية . وهناك نحواً من ٣٠ ــ ٤٠ ٪ من مجموع المرضـى يتم شفاؤهم أو تـتحسن حالاتهم في المسـتشفى . وقد تزداد هذه النسبة إلى ٧٠ ٪ باستخدام عقار المتيرازول Metirazol أو العـلاج بــالصدمات الكهربية . ولقد لـوحظ أن المرضـى الصـغار في السن نسبياً والذين يتمتعون بطبيعة انبساطية في الشخصية ... لوحظ أنهم متعـاونون ويـظهرون استجابات انفعالية أكثر وأنهم أحسن الـطوائف شفاءً .

أما الحالات المزمنة من الاكتئاب الهـائج أو الميلانخوليا سن اليـأس الـتي فشـلت في الشـفاء بأساليب العلاج الأخرى وجـد أنهـا تسـتجيب للجراحة النفسية . وهي عبارة عن عملية مخيـة بقطع الألياف العصبية المتصلة بـالفصوص قبـل الجبهية بالثلاميوس . أما العلاج بالأنسولين فـإنه لا يفيد .



المستشرقون (١)



أرنولد ، السير توماس :

مستشرق إنجليزي ، ولد عام ١٨٦٤م ، وتوفي عام ١٩٣٠م ، تعلم في **جامعة كيمبردج** ، وعمل أستاذاً في **جامعة عليكرة** ، ثم أستاذاً للفسلفة في **جامعة لاهور** ، وهو أول من حصل على كرسي الأستاذية في قسم الدراسات العربية في **مدرسة اللغات الشرقية بلندن** ١٩٠٤م ، ثم اختير عميداً لها ، ١٩٢١ ــ ١٩٣٠م ، حتى وفاته . كان من المولعين بالدراسات الإسلامية ، ومن المنصفين في بحوثه ودراساته عن الإسلام ، وكان حجة فيما كتبه في **دائرة المعارف الإسلامية** ، من أهم آثاره « **الدعوة إلى الإسلام** » لندن ١٨٩٦م ، و « **العقيدة الإسلامية** » لندن ١٩٢٨م ، و « **الخلافة في الإسلام** » أكسفورد ١٩٢٤م .



بروكلمان ، كارل :

مستشرق ألماني ولد عام ١٨٦٨م ، وتوفي عام ١٩٥٦م ، ولد في **روستوك** ودرس **اللغات السامية** على أعلام المستشرقين ومنهم **نولدكه** ، وذاعت شهرته في **فقه اللغة العربية** وقراءتها قراءة صحيحة وكتابتها كتابة سليمة ، كما اشتهر في التاريخ الإسلامي وتاريخ الأدب العربي . حتى عيّن أستاذاً لهما في جامعات برسلاد ، وكونسبرج ، وهالة ، وبرلين ، كما انتخب عضواً في مجامع برلين وليبزج ، وبون ، ودمشق وجمعيات آسيوية كثيرة ، من أهم آثاره : « **تاريخ الآداب العربية** » في ثلاثة أجزاء ، و « **العلاقة بين كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير ، وكتاب أخبار الرسل والملوك للطبري** » ١٨٩٠م ، و « **المعجم السرياني** » ١٨٩٥م ، و « **تاريخ الإسلام من بدئه إلى اليوم** » ١٩١٠م .



توريس ، بالباس :

مستشرق إسباني ، ولد عام ١٨٨٨م ، وتوفي عام ١٩٦٠م ، ولد في **مدريد** وتخرج في **كلية الفن المعماري بجامعة مدريد** عام ١٩١٦م ، عيّن مهندساً لقصر الحمراء في غرناطة ١٩٢٣م ، وأستاذاً لتاريخ الفن المعماري في جامعة مدريد ١٩٣١م ، ومديراً لمتحف معهد بلنسيه دي دون خوان ، وانتخب عضواً في مجمع التاريخ ١٩٥٤م ، وكان حجة في **تاريخ الفن الأندلسي** ، وصاحب دراسات قيّمة عن الآثار الإسلامية في إسبانيا ، بلغت ١٦٠ دراسة ، من أهم آثاره ، **المدن**

الإسلامية في إسبانيا ١٩٤٢م، الفن العربي في إسبانيا ١٩٤٩م، و «**قصر الحمراء وجنة العريف**» ١٩٥١م، **ومسجد قرطبة وخرائب مدينة الزهراء** ١٩٥٢م.



ثوثايا، ستابيل هانسن:

مستشرق إسباني ولد عام ١٩٣٩م، وحصل على الليسانس من **جامعة مدريد المركزية**، ١٩٦٥م، وأعد رسالته عن الشمعدان البرونزي في أواخر العصر الروماني والقبطي والبيزنطي والعربي في إسبانيا، ثم حصل على الدكتوراه عن رسالته حول **تاريخ القناديل العربية في إسبانيا**. من أهم آثاره: «**الخزف الصيني في إسبانيا إبان الخلافة**» لندن ١٩٧٠م، و «**حول قصر الحمراء**» ١٩٧٦م، و «**الموحدون في البحيرة**» ١٩٧٢م.



جويدي، ميكلانجو:

مستشرق إيطالي، وهو ابن **العلامة أغناطيوس جويدي**، ولد عام ١٨٨٦م، وتوفي عام ١٩٤٦م، وكان قد تلقى العربية على كتاب المستشرقين بمدينة روما، وعيّن أستاذاً للغة العربية وآدابها بجامعة روما ١٩٢٢م، ثم استدعته الجامعة المصرية للتدريس فيها عام ١٩٢٦م، فكان يلقي محاضراته باللغة الفصحى. وقد ظهرت أستاذيته في الأدب العربي والدين الإسلامي، وخاصة فيما كتبه عن الإسلام في تاريخ الأديان لفنتوري، وحال موته الفجائي بينه وبين إنجاز تاريخ العرب وثقافتهم، الذي عكف على تصنيفه حتى آخر يوم في حياته. من أهم آثاره: **كتاب** «**الزيدية وشرح المعتزلة**» للقرآن روما ١٩٢٥م، و «**الإسلام والمانوية**» روما ١٩٢٧م، و «**تاريخ الدين الإسلامي**» تورينو ١٩٣٥م، و «**إسهام الفرس في الحضارة الإسلامية**» روما ١٩٣٥م.



الحاقلاني، إبراهيم:

لبناني الأصل، عيّنه **البابا إسكندر السابع** (١٦٥٥ ـ ١٦٦٧م) أميناً لقسم المخطوطات السريانية والعربية بالمكتبة الفاتيكانية، وكان بعض الموارنة من زملائه يشرفون عليه من غير لقب، فكان هو أول من حمل هذا اللقب، وقد عمل على تزويد المكتبة بمخطوطات عربية وقبطية وسريانية وافرة، كما ابتاع لها من العثمانيين مخطوطات بيزنطية نادرة، واستنسخ ما عز عليه ابتياعه منهم، فتحولت المكتبة الفاتيكانية إلى مصنع للنساخين والمترجمين والمؤلفين.



خندرون، بدرو:

مستشرق إسباني، ولد في مدريد عام ١٩٣٥م، درس الآداب العربية والتاريخ الإسلامي وأعد رسالة حول برنامج **ابن أبي الربيع**، وعيّن مدرساً بمدرسة الألسن بالقاهرة، ومديراً للمعهد الإسباني العربي ببغداد، ومدرّساً لتاريخ الإسلام والمؤسسات الإسلامية في جامعة مدريد، وفنياً بالمعهد الإسباني العربي للثقافة، من أهم آثاره: «**المقتبس لابن حيان**» مدريد ١٩٧٧م، و «**شخصية المعتصم من خلال القوانين ومشابهته للمحتسب الإسباني الإسلامي**» مدريد ١٩٧٠م، و «**أسواق المدن الإسلامية**» كيمبردج ١٩٧٦م.



دوزي، ر. ب:

مستشرق فرنسي ولد في **ليدن** من أسرة فرنسية عرف أكثرها بحب الاستشراق وذلك في عام ١٨٢٠م، حيث توفي في عام ١٨٨٣م، تعلم مبادئ العربية في البيت ثم واصل دراستها في جامعة ليدن، وتعمق في غريبها حتى يتمكن من فهم الشعر الجاهلي، وبدأ الكتابة في المجلة الآسيوية وهو بعد طالب لم يتجاوز الثانية والعشرين إلى أن عيّن أستاذاً للعربية في جامعة ليدن (١٨٥٠ ـ ١٨٣٨م) كتب عن **ابن رشد** والرشدية في الرد على **رنيان**، وعن رحلة **ابن بطوطة**. ويعده أعلام المستشرقين أول فاتح للدراسات الأندلسية. وأهم مرجع لتاريخها وثقافتها وحضارتها.



ذنيرجه. أ. ن:

مستشرق فرنسي ولد عام ١٨٠٥م، وتوفي عام ١٨٦٧م، أخذ العربية عن المستشرق الشهير **برستال** واشتهر بها، استخلص سيرة الرسول العربي الكريم من تاريخ **أبي النداء** ونشرها متناً وترجمة في باريس عام ١٨٣٧م، كما ألّف في أخبار **بني الأغلب** في إفريقيا وصقلية إلى استيلاء الفرنجة عليها من العرب، كما نشر ديوان المتبدأ والخبر **لابن خلدون** متناً وترجمة عام ١٨٤١م، وصنف مجلداً في بلاد العرب، وآخر في تاريخ العرب في الجاهلية وذيله بمختصر الخلفاء إلى عهد المغول ١٨٤٧م.



رنيان ، يرنست :

الفيلسوف والمستشرق الفرنسي الشهير ، ولد عام ١٨٢٣م ، وتوفي عام ١٨٩٢م ، درس اللغات الشرقية وتبحر فيها حتى صار من ثقاتها ، ووصل إلى المشرق ونزل **بلبنان** ، وعنى بالعقيدة الإسلامية وانتخب عضواً في **المجمع اللغوي الفرنسي** ١٨٧٨م ، اشتهر بكتابه عن **ابن رشد** والرشدية باريس ١٨٥٢م ، **وتاريخ اللغات السامية** باريس ١٨٥٣م ، **وتاريخ الأديان** باريس ١٨٥٧م ، وترجمة نشيد الإنشاد ١٨٦٠م ، وكتاب **تقدم الآداب الشرقية** ١٨٦٦م . وله في المجلة الأسيوية دراسات وفيرة في الفلسفة والعقيدة الإسلامية .



زاجا تشكوفسكي ، أنانياس :

مستشرق بولوني ، تخرج في جامعة كراكوفيا ، وعيّن معيداً للفقه الإسلامي ١٩٣٣م ، وأستاذاً فوق العادة للتركية ١٩٣٥م ، وأستاذاً للفقه الإسلامي ١٩٤٦م ، ومديراً لقسم الشرقين الأدنى والأوسط بجامعة فرسوفيا ، ورئيساً لتحرير الحولية الاستشراقية . من أهم آثاره : كتابه عن **ابن سينا** ١٩٥٢مـط، وعن **السمرقندي** ١٩٥٣م، وعن **الأسطرلاب العربي** في القرن الحادي عشر ١٩٥٤م ، وعن **ترجمته للقرآن الكريم** . ودراساته في اللغة العثمانية القديمة .



سانتيلانا ، د :

مستشرق فرنسي ، ولد في **تونس** ١٨٥٥م ، وتوفي في عام ١٩٣١م ، وكان قد التحق بجامعة روما حيث حصل على الدكتوراه في القانون ، واشتهر في فقه الإسلام وفلسفته ، وكان من المستشرقين المنصفين للعربية والإسلام ، وقد دعاه المقيم الفرنسي في تونس للاشتراك في لجنة إعداد القوانين التونسية عام ١٨٩٦م ، فوضع القانونين المدني والتجاري معتمداً على الشريعة الإسلامية وكان له بالمذهبين **المالكي والشافعي** معرفة واسعة شاملة ، ثم انتدبته الجامعة المصرية أستاذاً لتاريخ الفلسفة الإسلامية ١٩١٠م ، فبرز فيها وله فيها محاضرات فريدة باللغة العربية ، ثم استدعته جامعة روما لتدريس الفقه الإسلامي .



شتروتمان ، رودولف :

مستشرق ألماني ولد عام ١٨٧٧م ، وتوفي عام ١٩٦٠م ، وهو أحد كبار المستشرقين المتخصصين في دراسته **الفرق الإسلامية** ومذاهبها ، وله فيها مباحث قيّمة ، وقد اشتهر بموضوعيته في البحث ، وتعمقه في الدرس ، وإنصافه للدين الإسلامي ، من أهم آثاره ، **الزيدية** ليبزيج ١٩١٢م ، **والإسماعيلية** لندن ١٩٤٩م ، وأربعة كتب إسماعيلية جوتنجن ١٩٤٣م ، غير دراساته في مجلة الإسلام عن أدب الزيدية ، ومشكلة الأدب الشخصي لزيد بن علي ، ورسائل وأشعار **زيد بن علي** ، **والأشعري** ، والإسلام والنصرانية الشرقية .



صباغ ، ميخائيل :

مستشرق فرنسي **من أصل سوري** ، ولد عام ١٧٨٠م ، وتوفي عام ١٨١٦م ، وهو من أوائل الباحثين الذين اتصلوا بعلماء **الحملة الفرنسية** التي قادها **نابليون** على الشرق ١٧٩٨ ـ ١٨٠١م ، وتتلمذ على المستشرق الشهير **دي ساسي** ، والعالم **كاترمير** ، ثم رحل إلى باريس حيث عمل في المكتبة الوطنية ، وصنف مسابقة البرق والغمام في سعاة الحمام والرسالة التامة في كلام العامة التي نشرها **توربيكه** ، جوتنجن ١٨٦٦م .



طاسي ، دي :

مستشرق فرنسي شهير ، ولد عام ١٧٩٤م ، وتوفي عام ١٨٧٨م ، ودرس العربية على **المستشرق دي ساسي** ، وتولى من بعده تحرير **المجلة الآسيوية** ، ننشر فيها الوفير من الدراسات القيّمة ، بالإضافة إلى ما حققه وصنفه وترجمه من آثار ، وضعته في المرتبة الأولى من أعلام الاستشراق ، من أهم آثاره ، نشر كشف الأسرار عن حكم الطيور والأزهار **لابن غانم المقدسي** متناً وترجمة باريس ١٨٢١م ، وترجم الأمثال الأدبية **لعز الدين المقدسي** بعنوان الصوارح والأزهار عام ١٨٢١م ، وقسم الحيوان في رسائل **إخوان الصفا** عام ١٨٦٤م ، وصنف كتاباً في الدين الإسلامي . وفق القرآن والتعاليم المذهبية والفرائض عام ١٨٢٢م . هذا بالإضافة إلى ترجمته **رباعيات الخيام** ١٨٥٧م ، ومنطق الطير ١٨٥٧م .



ظفر الله خان ، سير محمد :

مستشرق معاصر ، **من أصل باكستاني** ، تلق علومه في **لندن** ، وأتقن الإنجليزية ، وألف فيها العديد من الكتب عن الشرق والإسلام ،

وحصل على لقب « **سير** » لجهوده في ربط الثقافتين الشرقية والغربية ، وكان يشغل منصب **رئيس محكمة العدل الدولية** ، ألف كتاباً عن « محمد الرسول العربي الكريم » وكتاباً عن « الإسلام والعصر الحديث » ومن أهم كتب ما ألف عن الثقافة الإسلامية المعاصرة ، ومحاولة المسلم العصري مجاراة العلوم المادية الحديثة مع حفاظه على قيمه الروحية وتقاليده القديمة .



عواد ، السمعاني :

من أصل لبناني ، أقام في إيطاليا ، حيث عمل بالمكتبة الشرقية في الفاتيكان ، وذلك في عهد **البابا إكليمنضسي الحادي عشر** ١٧٠٠ ـ ١٧٢١ م ، وقام بوضع فهرس المكتبة الشرقية ، الذي عرف بفهرس السمعاني ، وقد تضمن وصفاً شاملاً للمخطوطات السريانية والعربية والفارسية والتركية والعبرية والسارية والحبشية والأرمنية واليونانية المصرية والقبطية ، وتراجم أمينة لمؤلفيها في أربعة مجلدات ، وقام برحلة إلى الشرق الأدنى فأضاف إلى المكتبة الشرقية العديد من المخطوطات النادرة ، وقد وضع **المتسشرق الشهير دي هابر** ذيلاً لفهرس السمعاني سماه رسالة في المخطوطات الشرقية في المكتبة الفاتيكانية .



غريغوريو ، الأب :

مستشرق إيطالي ولد عام ١٧٥٣ م ، وتوفي عام ١٨٠٩ م ، درس العربية بمفرده دون استعانة بأحد ، إلى أن أصبح أستاذاً لها في **جامعة بالرمو** ، وتفرغ لدرس آثار صقلية وتاريخها في عهد العرب ، وقد صنف الكثير في هذا التاريخ ، وخلف مجموعة كبيرة في آثار صقلية وأخبارها ، مستنداً إلى المؤرخين العرب وخاصة **النويري** في كتابه نهاية الأرب بالرمو ١٧٩٠ م .



فلهوزن ، ج :

مستشرق ألماني ، ولد عام ١٨٤٤ م ، وتوفي عام ١٩١٨ م ، ولقد تخرج في اللغات الشرقية على **المستشرق إيفالا** في جوتنجن ، فعد من أشهر تلاميذه ، ومن أبرز أعلام المستشرقين على الإطلاق ، له آثار ومميزة في التاريخ الإسلامي ، والفرق الإسلامية ، والآداب العربية والشرقية ، من أهمها التمهيد للتاريخ الإسلامي في ستة أجزاء ، برلين ١٨٨٧ م ، والاستهلال لأقدم تاريخ في الإسلام مع نقد المصادر برلين ١٨٨٤ م ، وأديان عرب الجاهلية وفيه دراسة عن الدين الإسلامي برلين ١٨٨٧ م ، كما نشر رسائل النبي والوفود إليه نقلاً عن **ابن سعد** متناً وترجمة عام ١٨٨٩ م ، وله دراسة عن العرب والروم جوتنجن ١٩٠١ م ، وأخرى عن الخوارج والشيعة برلين ١٩٠٢ م .



قسطنطين الإفريقي :

المتوفي عام ١٠٨٧ م ، ولد في **قرطاجنة** ، ورحل إلى **خراسان وبغداد والشام ومصر والقيروان والهند** ، ولما رجع إلى تونس وقع في الأسر ، التحق بمدرسة الطب في سالرنة ١٠٦٠ م ، وراح يترجم كتب الطب والفلك من العربية إلى اللاتينية عن **إسحاق بن عمران** ، كما نقل كتاب العلاج العام لإسحق الإسرائيلي ، وكتاب التقاسيم وزاد الحاضرين لتلميذه **أحمد بن الجزار** ، وبعض رسائل **الرازي** . كما ترجم كتاب المقالات العشر في العين **لحنين بن إسحق** ، وأقام عليه كتابه المسمى كتاب قسطنطين الإفريقي في طب العيون ، وقد جمعت آثاره ونشرت في ليون عام ١٥١٥ م ، وفي بال بسويسرا عام ١٥٢٩ م .



كراوس ، بول :

(١٩٠٤ ـ ١٩٤٤ م) من أشهر مستشرقي الألمانية وأوفرهم إنتاجاً وأكثرهم نشاطاً ، وقد شهد له أعلام المستشرقين من أمثال **ماسينيون وبيكر وريموميين** بالعمق والشمول والإحاطة ، التحق بجامعة براغ ، ثم بجامعة القدس ، وحصل من جامعة برلين على الدكتوراه في العلوم الشرقية عام ١٩٢٩ م ، واشتغل بالتدريس في جامعة برلين ١٩٣٣ م ، ثم في **السوربون** ١٩٣٣ م ، وفي سنة ١٩٣٦ م ، انتدب أستاذاً للغات السامية في **الجامعة المصرية** . وكان ينمو في تأليفه وتصنيفه نمواً حديثاً يتناول الإسلام عقيدة وشريعة وفلسفة وعلماً في العصر الوسيط وما اتصل به من علوم اليونان ، من أهم آثاره دراسته عن **جابر بن حيان الكيميائي** برلين ١٩٣٠ م ، ونصوص مختارة منه باريس ١٩٣٥ م ، ونظرياته العلمية القاهرة ١٩٤٣ م ، وله رسالة في تاريخ الأفكار العلمية في الإسلام باريس ١٩٣٥ م ، وكتاب السيرة الفلسفية لمحمد بن زكريا **الرازي** روما ١٩٣٥ م .



ليفي ، بروتنسال :

مستشرق فرنسي ، ولد عام ١٨٩٤ م ، وتوفي عام ١٩٥٦ م ، وهو **من**

أصل جزائري ، درس تاريخ العرب والحضارة الإسلامية ، واشتغل بالتدريس في كلية الآداب بالجزائر ، ثم في **معهد الدراسات الإسلامية في السوربون** بباريس ، وفي سنة ١٩٣٨ م ، دعته **جامعة القاهرة** أستاذاً زائراً ، وعينته في اللجنة المكلفة بتحقيق كتاب الذخيرة **لابن بسام** . ولقد أنشأ في عام ١٩٥٤ م ، **مجلة أرابيكا** لنشر الدراسات العربية ، ومن أهم آثاره الوفيرة « **أخبار أولياء المغرب** » ١٩٢٠ م ، و « **الأدب والآثار العربية والمراكشية** ١٩٢٠ م ، و « **تاريخ إسبانيا المسلمة** » مدريد ١٩٥٠ م .



ماسينيون ، لويس :

مستشرق فرنسي ، ولد عام ١٨٨٣ م ، وتوفي عام ١٩٦٢ م ، وهو من أشهر أعلام الاستشراق ، وأكثر نزاهة في البحث وتعمقاً في الدرس ، اشترك في **مؤتمر المستشرقين الرابع عشر في الجزائر** ١٩٠٥ م ، حيث تعرف إلى **جولدتيهر ، وآسين بلاثيوس ، وسيلفن ليفي** ، وكانوا أحب أساتذته إليه في مجال الاستشراق ، والتحق عام ١٩٠٦ م ، بالمعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ، فعني بالآثار الإسلامية ، واستمع إلى دروس الأزهر بالزي الأزهري ، وانتدبته الجامعة المصرية أستاذاً للفلسفة الإسلامية عام ١٩١٢ م . ثم وصل إلى **الجزائر** وطوف في **الحجاز ، والقدس ، ودمشق ، وبيروت** ، ثم رجع إلى **باريس** ، وكان قد حصل على الدكتوراه برسالة عن آلام **الحلاّج** من السوربون عام ١٩٢٢ م ، وتولى تحرير **مجلة العالم الإسلامي** ١٩١٩ م ، ثم مجلة الدراسات الإسلامية التي حلت محلها ١٩٢٧ م ، حاز أوّسمة رفيعة وله مريدون كثيرون ، كما أصدرت دار السلام كتاباً عنه بعنوان ذكرى ماسينيون القاهرة ١٩٦٣ م .



نللينو ، كارلو :

مستشرق إيطالي ولد عام ١٨٧٢ م ، وتوفي عام ١٩٣٨ م ، ولد في **تورينو** وتعلم العربية في جامعتها ، وأوفدته حكومته إلى القاهرة عام ١٨٩٣ م ، ومنذ عام ١٩٠٩ م ، **والجامعة المصرية** تستدعيه أستاذاً محاضراً في الفلك ، ثم في الأدب العربي ، ثم في تاريخ **جنوب الجزيرة العربية قبل الإسلام** انتخب نائباً لرئيس **مجمع لنشاي** ١٩٣٢ م ، وعضواً في **المجمع العلمي الإيطالي** ، والمجمع العلمي العربي بدمشق ، والمجمع اللغوي في القاهرة . وتولى الإشراف على مجلة الدراسات الشرقية ، ثم مجلة الشرق الحديث . وقد عنى نللينو ببلاد العرب بعد الإسلام حتى العهد الحديث .



هارتمان ، رتشار :

مستشرق ألماني ولد عام ١٨٨١ م ، وتوفي عام ١٩٦٥ م ، وقد تخرج في جامعتي تونجين وبرلين ، وعيّن مساعداً لأمين مكتبة جامعة تونجين ١٩٠٥ م ، وعاون في نشر **دائرة المعارف الإسلامية** ١٩١٣ م ، وعيّن معيداً في **جامعة ييل** ١٩١٤ م ، وأستاذاً في جامعة ليبزيج ١٩١٨ م ، وأستاذاً للعربية في جامعة برلين ١٩٣٦ م ، ومديراً لمعهد اللغات الشرقية ببرلين من أهم آثاره : « **تفسير القرآن** » ١٩٢٤ م ، ومن « **الأدب المقارن** » ١٩٤١ م ، و « **الأسماء العربية** » ١٩١١ م ، و « **الفتوة** » ١٩١٨ م ، و « **الوهابيون** » ١٩٢٤ م .



وات ، مونتيجمري :

مستشرق إنجليزي معاصر ، عميد قسم الدراسات العربية بجامعة إدنبرة ، من أهم آثاره ، دراسته عن اللغة العربية المنشورة في العدد ٤٦ عام ١٩٢٦ م ، بمجلة صحيفة الجمعية الأميريكية الشرقية ، وكذلك دراسته عن تاريخ الجزيرة العربية بنفس المجلة العدد ٤٧ عام ١٩٢٧ م ، ثم دراسته عن عوامل انتشار الإسلام بمجلة الفصول الإسلامية عام ١٩٥٥ م ، ومن أهم كتبه ، **محمد في مكة** لندن ١٩٥٨ م ، والإسلام والجماعة الموحدة ، وهو دراسة فلسفية اجتماعية لرد أصل الوحدة العربية إلى الإسلام لندن ١٩٦١ م ، وتاريخ إسبانيا الإسلامية جامعة إدنبرة عام ١٩٦١ م ، وقد ترجم هذا الكتاب إلى الفرنسية والإسبانية والروسية ، وآخر إنجازات الاستشراقية إشرافه على كتاب بعنوان الإسلام .



يوهان ، ج :

مستشرق ألماني ، ولد في عام ١٧٥٠ م ، وتوفي في عام ١٨١٦ م ، درس العبرية والعربية في **جامعة فيينا** ، ولم تكن أسبابها متوفرة قلما وقف عليها واستطاع أن يتفهمها استناداً إلى مؤلفات المستشرقين الفرنسيين والهولنديين ، رأى أن يفيد من يخلفه بتصنيف كتب مدرسية في العربية ، ومن أهم مصنفاته **قواعد اللغة العربية** فيينا ١٨٠٢ م ، **ومعجم عربي لاتيني**وبه بعض سور من القرآن الكريم ، ورسائل **للبغدادي** ، وأشعار من ديوان الحماسة **لأبي تمام** ، ومنتخبات في وصف مصر **لأبي الفداء** .



مناقشات

وتعليقات

مشكلة نزيف العقول البشرية

لقد قرأت ذلك البحث القيم الذي قدمه الأخ الدكتور محمد عبد العليم مرسي حول ظاهرة نزوح الإطارات العليا المؤهلة من بلدانها الأصلية (وقد خُصّت بالذكر البلدان النامية) إلى بلدان أخرى التي غالباً ما تكون البلدان المتقدمة صناعياً ذات النظام الاقتصادي الحر، والمنشور بمجلة «الفيصل» العدد (٥٦) صفر ١٤٠٢هـ/ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨١م.

ولكم أعجبت بمجلة «**الفيصل**» هذه أيما إعجاب وهي تقع تحت عينيّ لأول مرة، ويا للصدفة إذ أجد فيها موضوعاً كهذا يعرض مشكلاً طالما فكّرت فيه فتجدني غارقاً فيه تارة برجلي وأخرى برأسي، وتأكدت أخيراً من وجود شيء ثابت في هذا المشكل ألا وهو أن أية نجدة ستأتي متأخرة.

ولكنني بعد أن قرأت هذا البحث الذي تشرف بإعداده الأخ د. مرسي بقي شيء منه في نفسي فآثرت أن أقدم بعض الملاحظات حول هذا الموضوع في النقاط التالية:

(١) تحدث الكاتب بادئ ذي بدء عن خطورة المشكلة، أي مشكلة النزيف البشري، وقد حثّ على التعامل مع المصدر البشري بنفس الطريقة التي نتعامل بها بالمواد الخام والبترول... وبالتالي اعتبار هذه المصادر البشرية بصناعة يجب التساوم عليها والاتفاق بشأنها مع الدول المتقدمة، حتى لا تكون هذه الأخيرة المستفيد الوحيد من عائدات تلك البضاعة...!.

(٢) أما عن الأهمية القومية لرأس المال البشري التي تعرض لها الأخ د. مرسي (الفقرة ٩) في مقاله، فأنا لا أجادل هنا في ذلكم الدور الفعّال الذي تلعبه القومية الوطنية في استغلال الطاقة البشرية في عملية البناء والتشييد خاصة بعد تعرض الوطن للتدمير من طرف الأعداء. لكنني أعتقد **بالنسبة لليابان وألمانيا الغربية، وقد قضيت ١١ سنة بإحدى الجامعات التقنية بهذه الأخيرة، قلت أعتقد أن نهوض الدولتين السريع لا يقتصر على مجرد فكرة القومية أو ما شابهها من الشعارات، لا، ولا على تلك الإعانات أو الضمانات الدفاعية الأميركية، بل إن السبب الرئيسي في نهضتها العملاقة في نظري هو إعطاء الأهمية الأولى لذوي العلم من الأكاديميين وأهل الخبرات التقنية في معاهد البحوث والتطبيقات، وليس لأولئك السفسطائيين الذين يصلون إلى دور العلم والمناصب الحساسة بطريقة أو بأخرى ويعيقون بعدها التقدم العلمي والحضاري في بلدانهم.**

(٣) لقد أشار الأخ د. مرسي (الفقرة ١٠) إلى أن عدد الإطارات المؤهلة المهاجرة من الدول النامية قد بلغ ثلاثة أضعاف ما كان عليه قبل اثني عشرة سنة.

إن كلمة ضعف تعني الشيء مرتين، وثلاثة أضعاف تعني الشيء ست مرات أي ٣ × ٢ = ٦. ولنقل هنا حتى يسهل علينا التفاهم:

إن عدد المهاجرين قد بلغ **ثلاث مرات** عددهم قبل اثني عشرة سنة، ويبقى فقط أن هذا العدد لا يعطينا أية معلومات عن مدى تطور الهجرة أو درجة خطورتها.

إن الذي نريد معرفته بكل بساطة هي نسبة عدد المهاجرين من ذوي الكفاءات إلى عددهم الكلي؛ فإذا كان هذا الأخير قد أصبح أيضاً ثلاث مرات ما كان عليه قبل اثني عشرة سنة فهذا شيء لا يدعو إلى الحيرة!.

أما إذا أردنا مزيداً من **الدقة** في بحثنا فسيكون ذلك على حساب بساطة الحساب ويتطلب بالإضافة إلى ما سبق معرفة ما يلي:

★ نسبة عدد ذوي الكفاءات إلى عدد مجموع السكان قبل وبعد المدة المحددة.

★ نسبة عدد المؤهلين الذين كان بإمكانهم الحصول على **أي** منصب للعمل في بلدهم إلى عدد مجموع المؤهلين قبل وبعد المدة المحددة.

★ نسبة عدد المؤهلين الذين حصلوا على منصب **مُرضٍ** للعمل في بلادهم إلى عدد مجموع المؤهلين قبل وبعد المدة المحددة.

★ نسبة عدد المهاجرين الذين يبدون استعدادهم للعودة في حالة إرضاء رغباتهم إلى عدد المهاجرين أو، حتى يبقى المقام موحّداً، إلى عدد المؤهلين كافة قبل وبعد المدة المحددة.

★ اعتبارات أخرى يعلمها الله... قد تتواجد في دولة أو في أخرى وتختلف من دولة لأخرى.

★ وأخيراً وليس آخراً يجب التنويه بأن زيادة العدد إلى ثلاث مرات كما ذكره الأخ د. مرسي يشمل جميع الدول النامية نظراً للمشكل المشترك والهدف الموحد لهذه الدول، وهنا نتعمد خطأ بسيطاً ولكنه في ذات الوقت فادح جداً، ذلك أن كل دولة من هذه الدول تشكل حالة خاصة بذاتها.

(٤) أما عن الفترة التي يتطلبها إعداد الطلبة المهاجرين (الفقرة ١١)، فمهما كان طول هذه الفترة ومهما ارتفعت تكاليفها وأيًّا كانت الدولة التي تحملت هذه التكاليف سواء البلاد الأصلية أم المحتضنة الجديدة، فإن هناك شيئاً لا يتغير من طالب لآخر أثناء هذه الفترة ألا وهو التعب وسهر الليالي والشعور بنوع من الغربة بداع من الحنين إلى الوطن والأهل والعادات التي نشأ عليها الشخص... وكذلك تضحية هؤلاء بكل ثمين من أجل بلوغ هدفهم العلمي السامي.



ولكن يظهر أن هذا كله لم يبلغ بعد أهميته ليصبح جديراً بالذكر والاعتبار .

(٥) إن الكارثة ليست هي هجرة هذه الإطارات وتجرعها لمرارة الهجرة وتأخرها عادة عن بناء أسرها وعدم الاستقرار الموطني والنفسي ، بل هو خسارة بلادهم لهم (الفقرة ١٢) وعدم استلامها لأي تعويض عن تلك الخسارة . . . ولو في شكل ضرائب . . . تُنزع من هؤلاء المساكين . . . !؟ .

(٦) خاتمة

يؤسفني يا أخي مع احترامي لدرجتكم العلمية أن أشك في علمية هذا البحث بحكم هذا الموقف المنحاز .

إن تعداد الأسباب التي تدفع بهذه النخبة من ذوي الكفاءات إلى الهجرة إلى دول أخرى ، وفي أغلب الأحيان إلى الدول المتقدمة ، في الحقيقة **لا يعوض علمياً** رغبتنا في التعرف على السبب الرئيسي لهجرة هذه النخبة من العلماء الذين يلمون جيداً بمشاق الهجرة ومرارتها وتراهم يقدمون عليها مجازفين غير عابئين بقساوة الطريق . . . !؟ .

لا أظن أبداً بعد هذا كله أن القارئ الكريم لا يزال يجهل السبب الرئيسي في هجرة هذه الإطارات المؤهلة من بلدانها إلى البلدان المتقدمة .

ورغم أنني أعرف جيداً مكر الاستغلاليين بالدول النامية وأعرف أعداء هذه الدول جيداً ، إلا أنني أورد هنا كلمة قالها الرئيس الأمبريكي **رونالد ريجان** ، إذ يقول :

« على الدول النامية أن تنظم اقتصادها . . وعلى أولئك الذين يطلبون المساعدة من الشمال أن يساعدوا أنفسهم أولا » .

فإذا كانت الدول النامية ترغب حقيقة في حل مشكل نزوح إطاراتها المؤهلة إلى الدول الراقية ، فعليها أن تغير أسلوب تعاملها مع هذه الإطارات حتى تساعدها فعلياً على البقاء في بلدانها الأصلية .

هذا ، وقد قال الله في كتابه العزيز ﴿ **إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** ﴾ .

فرحات مكيو
سيدي مبروك ـ الجزائر

الجزر المرجانية الدائرية

أثارت هذه الجزر بعزلتها وبعدها اهتمام الباحثين لدراستها ، وذلك بعد أن نشطت الرحلات البحرية العلمية في القرن الثامن عشر ، وقد كان أول اكتشاف لها في المحيط الهادي الذي يعتبر أغنى المحيطات بهذا النوع من الجزر ، حيث ترتصف على شكل قلائد وزمر ترتكز على الجزر والمصهورات البركانية .

وقد سميت هذه بالجزر المرجانية لأن حيوانات المرجان هي العامل الأساسي في بنائها ، ولأن أجسامها مؤلفة من **مادة الكلس** التي تترسب بعد موتها مكونة خلال فترة من الزمن الصخور التي تعتبر مادة بناء هذه الجزر . ورغم أن هناك حيوانات أخرى تقوم بنفس العمل الذي تقوم به المرجانيات فإن حيوانات المرجان هي الأساس في بناء هذه المستعمرات والجزر الدائرية والأرصفة اللاصقة بالسواحل .

وموضوعنا هذا يتناول أحد مظاهر العمل المرجاني وهو « الجزر المرجانية الدائرية » والمسماة (آتول) .

ترتفع هذه الجزر قليلاً فوق سطح البحر على شكل دائرة غير هندسية وغير تامة ، تتصل مع مياه البحر بواسطة فتحات ضيقة ضحلة يرتفع فيها منسوب المياه أو ينخفض تبعاً لما تتعرض له الجزيرة من هبوط تدريجي ، وتنحصر وسط هذه الجزر بحيرات ضحلة تسمى **(لاغون)** وتتوسطها مصهورات بركانية كما هو الحال في **بحيرة كوهاس** (من مجموعة جزر كارولين في المحيط الهادي) **شكل (١)** .

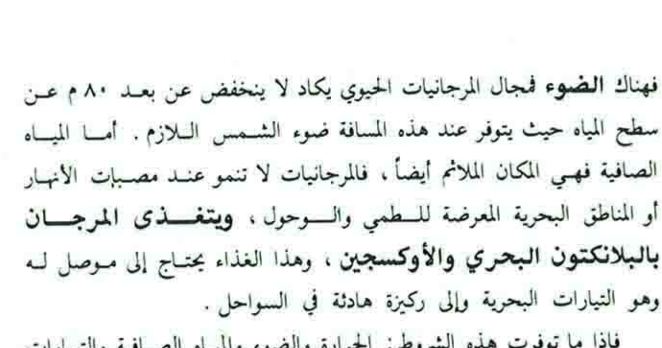
ولما كانت هذه الجزر أقل ارتفاعاً من الجزر البركانية يطلق عليها البحارة أحياناً اسم « **الجزر المنخفضة** » . يبلغ عرض هذه الجزر ١٠٠ إلى ٨٠٠م ذات تضاريس محدودة ، ونتوءات وحفر مطمورة بالوحول أو الرمال الكلسية . أما قاع البحيرة فتكون مغطاة بالوحول الكلسية الناتجة عن تحلل المرجانيات .

ومن أهم مشاكل الحياة فوق هذه الجزر هو عدم توفر المياه اللازمة للشرب بسبب نفوذية الصخور الشديدة وملوحتها ، ومياه البحر المالحة التي تتسرب إليها . غير أننا نجد **أشجار المانجروف** تنمو على أطراف الجزيرة بسبب توفر بعض المواد الطينية والرملية التي تجلبها الأمواج البحرية ، أو المواد العضوية التي تخلفها الطيور كما هو موجود في **جزيرة هوب** (في الحاجز الأسترالي العظيم) .

شروط تشكل المرجانيات

تحتاج المرجانيات لاستمرار نموها إلى **حرارة** لا تقل عن ١٨° ولا تزيد عن ٢٢° ، لذلك نجدها محصورة في النطاق المداري والاستوائي ، أو عند مرور التيارات البحرية الدافئة مثل تيار الخليج وهذه شواذ ، ولا تكفي الحرارة .

مناقشات وتعليقات



فهناك **الضوء** فجال المرجانيات الحيوي يكاد لا ينخفض عن بعد ٨٠ م عن سطح المياه حيث يتوفر عند هذه المسافة ضوء الشمس اللازم . أما المياه الصافية فهي المكان الملائم أيضاً ، فالمرجانيات لا تنمو عند مصبات الأنهار أو المناطق البحرية المعرضة للطمي والوحول ، **ويتغذى المرجان بالبلانكتون البحري والأوكسجين** ، وهذا الغذاء يحتاج إلى موصل له وهو التيارات البحرية وإلى ركيزة هادئة في السواحل .

فإذا ما توفرت هذه الشروط : الحرارة والضوء والمياه الصافية والتيارات البحرية التي تؤمن الغذاء ، نمت المرجانيات على شكل مستعمرات تماثل في نموها الأشجار وقد تبدو بعضها بأشكال منتظمة غاية في الدقة والجمال .

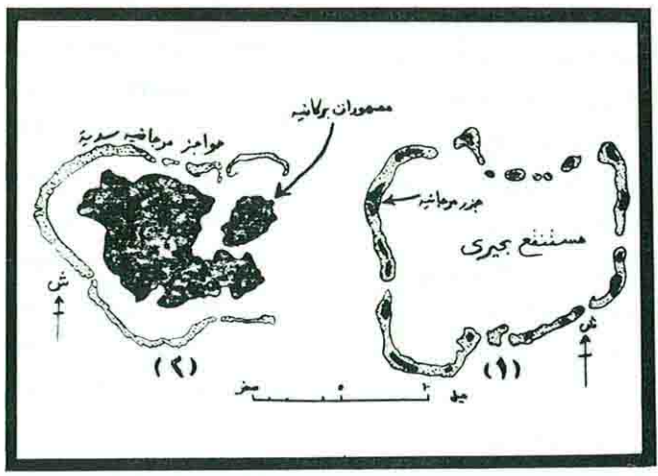
آراء في تشكيل هذه الجزر

(١) **الهبوط التدريجي** : ويعتبر **داروين** هو صاحب هذا الرأي ، ومن أقدم الآراء ، وقد عرض رأيه هذا في أحد كتبه عام ١٨٤٢ م ، وقد ربط ما بين الجزر البركانية والمرجانية وخلاصة رأيه أن المرجان يقوم ببناء مستعمراته حول هذه الجزر ، ثم تتعرض هذه الجزر لانخفاض ويبقى المرجان مستمراً في عمله باتجاه السطح إلى أن تنخفض الجزيرة البركانية مرة ثانية وتستمر بالمقابل المرجانيات بالنمو إلى أن تختفي الجزيرة وتبقى آخر المستعمرات والتي تعتبر أحدثها مشكلة دائرة غير مغلقة تتوسطها بحيرة ضحلة فوق الصخور الأعلى للجزيرة **شكل (٢)** .

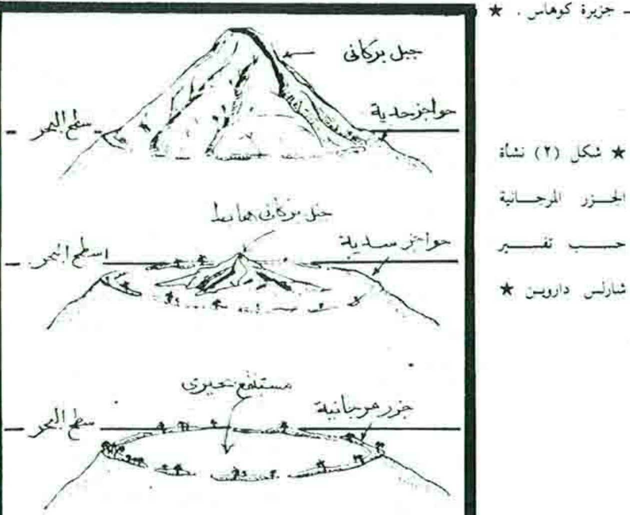
(٢) **الترسيب الكيماوي** : وهناك من قال بذلك مثل **العالم الأميركي موري** فالقيعان الضحلة إذا ما ردمت تتجه للتراكم الكيماوي تؤلف طبقات رسوبية تقترب من السطح لتسمح بتوفر شروط ملائمة لنمو المرجان وبالتالي فإن البحيرة تشكل من مياه البحر ولكنها مفيدة بالمواد الغذائية التي تؤمنها الأمواج ، على عكس أطراف البحيرة ، وبحسب رأيه أن البحيرة المتشكلة ليست بالضرورة نتيجة لهبوط تدريجي لجزر بركانية موجودة مسبقاً .

وهناك العديد من الآراء بين مؤيد ومعارض لداروين ومهما يكن تبقى الجزر المرجانية تضريساً جغرافياً مميزاً للبحار الدافئة استرعى اهتمام العلماء والجغرافيين والبحارة .

سالم أحمد الغانم
القامشلي ــ سورية



★ شكل (١) الجزر المرجانية ١ ـ جزيرة فانيكور ــ من مجموعة جزر كارولين . ٢ ـ جزيرة مرجانية سدية ـ جزيرة كوهاس . ★



★ شكل (٢) نشأة الجزر المرجانية حسب تفسير شارلس داروين ★

المصادر

(١) تمهيد في علم الجغرافية للأستاذ عمر الحكيم .
(٢) المفصل في الجغرافية الطبيعية ، آن دمارتون ، تعريب الأستاذ عمر الحكيم .
(٣) جغرافية البحار والمحيطات ، الدكتور سيد أحمد أبو العينين .
(٤) الجيولوجيا ، للدكتور حسن صادق .

الأرصفة الحاجزة والأرصفة اللاصقة .

انخفاض الجزيرة البركانية .

النمو الرأسي أو الأفقي للمرجانيات قرب السواحل يعيق الملاحة وبناء الموانئ بسبب وجود الأرصفة اللاصقة .

مع الأصدقاء

ملاحظات

أريد أن ألفت نظركم إلى بعض الملاحظات التي وقع نظري عليها في مجلة « **الفيصل** » العدد (٣٩) رمضان سنة ١٤٠٠ هجرية :

أولها في مقالة **محمد رجب البيومي** باسم « **زين النساء شاعرة هندية مسلمة** » فقد طبع اسم الشاعرة زين النساء بالنون ـ والصحيح بالباء الموحدة ـ زيب النساء .

لقد كانت نابغة العصر ، وبلغت في **الشعر الفارسي** ما لم تبلغه أخرى بعد من الشاعرات الهنديات ، ولكن للأسف لم يصل إلينا مما قالته من أشعار إلا قليل ولم يبق إنتاجها الفني فقد ضاع أكثره ، وما نجد من أشعارها فأكثره مزيف قدمه الشعراء الآخرون باسمها ، كما يوجد لها ديوان في الشعر الفارسي ، ولكنه ليس لها ومنها ، كما يقول الكتاب والناقدون .

وملاحظة أخرى رأيتها في مقالة **د : عبد الحليم عويس** باسم « **أبو الحسن علي الحسني الندوي مفكر وداعية** » .

يقول الكاتب بأن الأستاذ الندوي هو أحد رؤساء التحرير لمجلة « معارف » صفحة (٦٣ العمود الثاني والسطر الثاني عشر) والصحيح أنه **رئيس المجلس التنفيذي لدار المصنفين** ، وهي أكبر وأقدم مجمع علمي وديني في الهند اسسها الكاتب والباحث والمؤرخ الكبير الأستاذ شبلي النعماني في السنوات الأولى من هذا القرن ـ ودار المصنفين تشرف على إصدار مجلة « معارف » ومن رؤساء وأعضاء تحريرها كتاب آخرون غير الأستاذ الحسني الندوي .

ويقول الكاتب إن الشيخ محمد الياس والشيخ عبد القادر ريوي هما من أساتذة الندوي وهذا كلام غير صحيح لأن هذين الشيخين الكبيرين أعني الشيخ محمد الياس الدهلوي والشيخ عبد القادر رايبوري كانا من شيوخ الطريقة والتصوف الكبار في الهند غير المنقسمة ، وكان الشيخ محمد الياس الدهلوي رئيس حركة إصلاحية تبليغية والتي اشتهرت في الفترة الأخيرة باسم **جماعة التبليغ** وقد تأثر الأستاذ الندوي بالشيخ وبحركته التبليغية واتصل بهما بعد أن انتهى من دراسته ولف مؤهلاته الدراسية من أساتذته الكبار وصار مدرساً في التفسير والأدب في **دار العلوم** ندوة العلماء بلكهنؤ . كما تأثر الأستاذ الندوي بالشيخ عبد القادر رايبوري ورافقه في أكثر أوقاته من حياة الشيخ .

وخطأ آخر لعله مطبعي ، فقد ورد اسم الشيخ عبد القادر مع نسبة موطنه ريوي والصحيح رايبوري لأن رايبور هي القرية التي كانت موطن الشيخ . فتكون النسبة رايبوري لا ريوي كما كتبها كاتب المجلة .

محمد شعيب القاسمي

الرياض

التاريخ الهجري والميلادي

أود أن أضيف على ما جاء من ملاحظات من أحد قراء المجلة في صفحة « **مع الأصدقاء** » من العدد التاسع والعشرين حول التاريخ الهجري والتاريخ الميلادي أن هنالك معادلتين رياضيتين للتحويل من التاريخ الهجري إلى التاريخ الميلادي وبالعكس . أما الأولى وهي التي تستعمل لتحديد سنة ميلادية موافقة لسنة هجرية معلومة فهي :

$$\text{م} = \text{هـ}\ ٦٢٢ - \frac{\text{هـ}}{٣٣}$$

وأما المعادلة الثانية المستعملة في التحويل من التاريخ الميلادي إلى التاريخ الهجري فهي :

$$\text{هـ} = \text{م} - ٦٢٢ + \frac{\text{م} - ٦٢٢}{٣٢}$$

وهاتان المعادلتان لا تمكنان من تحويل غير السنوات ولا تتعرضان للشهور أو الأيام التي لا بد لمن يريد تحويلها من الرجوع إلى الجداول المفصلة كالجدول الملحق **بأطلس التاريخ الإسلامي** تأليف **هاري هازارد** وترجمة **إبراهيم زكي خورشيد** وهذا الأطلس من منشورات **مكتبة النهضة المصرية** . ولنضرب مثلاً على تحويل السنين بتحويل السنة الهجرية ١٤٠٠ إلى السنة الميلادية الموافقة لها بواسطة المعادلة الأولى :

$$\text{م} = ١٤٠٠ + ٦٢٢ - \frac{١٤٠٠}{٣٣} = ١٩٨٠$$

مع مراعاة قاعدة التقريب العشري في الحساب .

أرجو أن يكون في هذا تعميم للفائدة ولكم جزيل الشكر .

سيف الدين أشقر

سورية ـ اللاذقية

مدينة أسيوط

من مدينة **أسيوط عاصمة الصعيد** نتمنى لكم وللمجلة « **الفيصل** » الحبيبة كل تقدم راجين الله سبحانه وتعالى أن يوفقكم في رسالتكم التي تخدم بحق هذا الجيل الصاعد . ونسأل هل ترى أعيننا مدينة أسيوط (عاصمة الصعيد) على صفحات « **الفيصل** » الحبيبة ؟؟ .

مدينة أسيوط بها مادة علمية لاستطلاع شيق إن شاء الله ، وأصدقاء مجلة « **الفيصل** » بها كثيرون . واسم الفيصل ليس غريباً عليها ففيها (**جامعة فيصل الأزهرية**) وكذلك (**بنك فيصل الإسلامي**) . ومدينة أسيوط بها مواقع أثرية ولها تاريخ معروف . ونتمنى لو تكرمتم على هذه المدينة باستطلاع في باب (مدينة وتاريخ) .

فتحي محمد العقر

محافظة أسيوط ـ مصر

● **المجلة** : نحن سعداء بأصدقاء المجلة في أسيوط ، وفي غيرها من المدن العربية . . وقد أخذنا على أنفسنا وعداً بالكتابة عن المدن العربية والإسلامية ، وإن كنا قد قدمنا عدداً لا بأس به من المدن إلا أن على جدول أعمال المجلة أعداداً أخرى من المدن من بينها أسيوط نأمل أن نقدمها على التوالي . . سائلين الله أن يوفقنا لما فيه الخير . . مع شكرنا الصادق للصديق العقر .

شروط المسابقة وإيضاحات أخرى



١ ـ قيمة المسابقة عشرة آلاف ريال سعودي .. موزعة على عشر جوائز على النحو التالي :

أ ـ الجائزة الأولى ٢٠٠٠ ريال

ب ـ الجائزة الثانية ١٥٠٠ ريال

جـ ـ الجائزة الثالثة ١٠٠٠ ريال

إلى جانب سبع جوائز مالية قيمة كل جائزة (٥٠٠ ريال سعودي) . وعشر جوائز أخرى قيمة كل جائزة (٢٠٠ ريال سعودي) .

٢ ـ المطلوب الإجابة على جميع الأسئلة .. وارفاقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحاً عليها الاسم ثلاثياً أو رباعياً ـ إن أمكن ـ مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز .

٣ ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي :

(الرياض ـ المملكة العربية السعودية ـ مجلة الفيصل ـ ص . ب (٣) المسابقة) .

مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج .

● أجوبة مسابقة العدد (٦٠) ●

ج ١ إذا كنت في كل الأمور معاتباً
صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
فعش واحداً أوصل صديقك إنه
مقارف ذنب مرة ومجانبه

للشاعر **بشار بن برد** .

ج ٢ أول من صور **طلقة الرصاصة** وهي تسير في الهواء العالم النمساوي **« آرنست ماخ »** .

ج ٣ اشتهر بعض الأدباء والشعراء العرب بألقاب شاعت في الأوساط الأدبية [illegible] . من هؤلاء :

★ الدكتور طه حسين لقّب **بعميد الأدب العربي** لأنه كان عميداً لكلية الآداب في الجامعة .

★ زكي مبارك لقّب **بالدكاترة** لأنه يحمل أكثر من شهادة دكتوراه .

★ أحمد رامي لقّب **بشاعر الشباب** لأنه بدأ في نشر شعره في مجلة « الشباب » ومن يومها لم تفارقه هذه الصفة .

★ أحمد شوقي لقّب **بأمير الشعراء** في مؤتمر الأدباء في دمشق عام ١٩٢٧ م ، وقد قال حافظ إبراهيم :

أمير القوافي قد أتيت مبايعاً
وهذي وفود الشرق قد بايعت معي

★ عبد الله الفيصل هو الذي أطلق على نفسه **لقب محروم** .

ج ٤ أعلن **الإعلان العالمي لحقوق الإنسان** دولياً في ١٠/١٢/١٩٤٨ م .

ج ٥ تأويه طيف بذات الحرائم
فنام رفيقاه ، [illegible]س بنائم

قائل هذا البيت **« معن بن أوس المزني »** توفي سنة ٦٤ هـ ، وقد خاطب الشاعر الخليفة **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه .

قسيمة مسابقة مجلة الفيصل
العدد (٦٧)

الاسم : ------------------------

المهنة : ------------------------

العنوان : ------------------------

٤ ـ أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوماً من صدور العدد لا يلتفت إليها .

٥ ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط ارفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة .

السؤال الأول :

متى أنشئت جامعة الدول العربية ؟

السؤال الثاني :

اكتشفت جزيرة (جاميكا) عام ١٤٩٤ م . . اذكر اسم الملاّح الذين اكتشفها من بين هذه الأسماء :

(ماجلان ـ كريستوفر كولومبس ـ هنري جانيت) .

السؤال الثالث :

متى بدأ استعمال صناديق البريد . . وأين ؟ حدّد إجابتك من بين هذه الأجوبة :

(في فرنسا عام ١٦٥٣ م ـ في بريطانيا عام ١٥٠٠ م ـ في أمريكا عام ١٣٠٠ م) .

السؤال الرابع :

فيما يلي ثلاثة أسماء . . اشتهر كل واحد منهم بعلم من العلوم الموضحة بجانب أسمائهم . . ألحقْ كل اسم بالعلوم التي اشتهر بها :

● أبو جعفر محمد بن جرير (الطبري) طبيب له كتاب (المعالجات الأبقراطية) .

● أبو الحسن أحمد (الطبري) مؤرخ ومفسر ، من كتبه (تاريخ الرسل والملوك) و (جامع البيان في تفسير القرآن) .

● علي بن زين (الطبري) طبيب له كتاب (فردوس الحكمة) .

السؤال الخامس :

متى استعملت طوابع البريد لأول مرة . . وأين ؟ حدّد إجابتك مما يأتي :

(في أمريكا عام ١٨٤٧ م ـ في بريطانيا عام ١٨٣٩ م ـ في ألمانيا عام ١٨٤٣ م) .

● نتائج مسابقة العدد (٦٠) ●

● فاز **بالجائزة الأولى** وقيمتها (٢٠٠٠) الفا ريال سعودي الأخ **عبد الغني سعيد حجير** ، الطائف ، الخرمة ، الغريف ، مستوصف الغريف .

● وفازت **بالجائزة الثانية** وقيمتها (١٥٠٠) ألف وخمسمائة ريال سعودي الأخت **نجاح صبحي الناطور** سورية ، دمشق .

● وفازت **بالجائزة الثالثة** وقيمتها (١٠٠٠) ألف ريال سعودي الأخت **حلمي آمنة عبد الرزاق** ـ الدار البيضاء ، المغرب .

وهناك **سبع جوائز** قيمة كل جائزة (٥٠٠) خمسمائة ريال سعودي فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم :

● من عمان ـ الأردن ، الأخت هدى عبد الرحمن محمد .

● من البحرين ـ المحرق ٢٠٨ ، منزل رقم ٥٠٢ ممر رقم ٨١٤ ، الأخ جاسم راشد محمد راشد .

● من الإمارات العربية المتحدة ـ رأس الخيمة ، ص . ب . (٧) مدرسة سعيد بن جبير الثانوية ، الأخ شعبان ثمر عبد العزيز .

● من السودان ـ الخرطوم بحري ، كلية الزراعة ، قسم الاقتصاد الريفي ، الأخ حمد النيل يوسف حمد .

● من الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة ، كلية اللغة العربية ، الأخ أيمن يوسف مصطفى .

● من مصر ـ القاهرة ، شبرا ، الأخت ثريا محمد عبد الله .

● من المغرب ، ص . ب . (760) تابريكت ، الأخ وسيم محمد .

بالإضافة إلى **عشر جوائز** قيمة كل جائزة (٢٠٠) مائتا ريال سعودي فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم :

● من سورية ـ حلب ، كلية الهندسة ، جامعة حلب ، الأخ أسامة علي عبد المجيد .

● من السودان ـ شندي ، مدرسة شندي الثانوية للبنين ، الأخ عبد الباسط محمد توم المهدي .

● من الرياض ، ص . ب . (٤٢٥٢٢) ، الأخ صالح سعيد درويش .

● من الأردن ـ عمّان ، الأخت عزيزة عبد الكريم يوسف .

● من لبنان ـ بيروت ، مطار بيروت الدولي تكسي المطار ، الأخ خليل حسن فخر الدين بواسطة والده حسن خليل فخر الدين .

● من سورية ـ حمص ، الأخت هندية عطا الله خطاب .

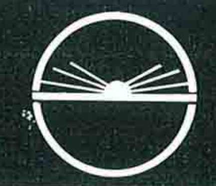
● من لبنان ـ بيروت ، برج البراجنة ، شارع عثمان ، الأخ حسن توفيق الحاج قاسم دياب الحركة .

● من المغرب ـ الرباط ، الأخت عبدة فاطمة .

● من الأردن ـ عمّان ، جبل عمّان ، مؤسسة مياه الشرب ، ص . ب (٥٠١٢) ، الأخ أحمد عبد القادر سالم .

● من المغرب ـ الناضور ، 16 زنقة ابن رشد ، الأخ أسرّاج الحسن محمد .

كتب وردت إلى المجلة



«وردت للمجلة هذه الطائفة من الكتب في مختلف مجالات المعرفة الانسانية والمجلة ترحب بكل عطاء ثقافي جديد من شأنه أن يفتح امام القارىء آفاقا أوسع وارحب وابعد مدى».

السواك والعناية بالأسنان

من تأليف **الدكتور عبد الله عبد الرزاق مسعود** وهو عبارة عن دراسة علمية للسواك ونظافة الأسنان مبيناً ما توصل إليه العلم مؤخراً من فوائد السواك المأخوذ من شجر الأراك ودور السنَّة النبوية السبَّاق في بيان أهميته وأهمية نظافة الأسنان. والكتاب لا يقتصر فقط على توضيح مزايا السواك وإنما يشتمل على دراسة علمية في الأسنان وأمراضها المترتبة على عدم النظافة. أصدرته **الدار السعودية للنشر والتوزيع** بجدة ـ المملكة العربية السعودية ويتكوَّن من (٢٤٠) صفحة من الحجم المتوسط.

أسماء الناس ومعانيها

من تأليف **حسن نمر دندشي** تناول فيه شرح معاني الأسماء العربية الأصل بترتيب هجائي تسهيلًا لمهمة اختيار الأسماء مبيناً ما للإسم من تأثير في نفسية المُسمى سلباً وإيجاباً. ولم يكتف المؤلف بشرح الأسماء المطروقة، وإنما اختار بعضاً من الأسماء الجديدة. والكتاب من **منشورات المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر**، ويقع في (٢٤٠) صفحة من القطع الصغير.

نبي الإنسانية

الكتاب من تأليف **الكاتب الهندي كانايا لال جايا** وقد ترجمه إلى العربية **الأستاذ محمد أمين عبد الله**. والكتاب يتناول سيرة الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم بأسلوب أدبي مشوق وتصوير وثائقي للحياة والبيئة التي ظهر ونشأ فيها النبي صلى الله عليه وسلم. وكان لدقة الترجمة في نقل الحدث والأسلوب دور في إبراز التصوير الأدبي والعمق التاريخي المتمثل في الكتاب. الكتاب من **إصدارات دار النهضة للطباعة والنشر بمسقط ـ عمان** ويقع في (٢٠٠) صفحة من القطع المتوسط.

الأنثروبولوجيا والاستعمار

الكتاب من **تأليف جيرار لكلرك**، وقد ترجمه إلى العربية **الدكتور جورج كتورة**. ويأتي رقم (٢) من **سلسلة كتاب الفكر العربي التي يصدرها معهد الانماء العربي ببيروت**. ويتناول الكتاب علم الأنتروبولوجيا وتطور مفاهيمه، تبدأ بالمفهوم الاستعماري الذي تحكمه نظرة الاستعلاء المتمثلة في نظرة الغرب المستعمر إلى عوالم المستعمرين ثم مرحلة ظهور المدارس المختلفة في هذا العالم وظهور الأنتروبولوجيا المعاصرة، ومرحلة إزالة الاستعمار. يقع الكتاب في (٢٤٠) صفحة من القطع المتوسط.

نحو نقد أدبي معاصر

كتاب عن تأليف **الدكتور عيسى الناعوري** تناول فيه النقد الأدبي ودوره كعمل فني مرافق للفكر والفن، يُنير الطريق ويربط القارئ بالعمل الأدبي، ثم تناول الكاتب النقد الأدبي في الوطن العربي وما داخله من مذهبيات ومجاملات أو مهاترات. وقد استعرض بعضاً من النماذج من مؤلفات ومقالات صحفية في مضامين ودراسات أدبية. الكتاب من إصدار **الدار العربية للكتاب بطرابلس وتونس**. ويقع في (٢٠٨) صفحات من الحجم المتوسط.

مخطوطات فضائل بيت المقدس
دراسة وبيبليوغرافيا

كتاب من **منشورات مجمع اللغة العربية الأردني**. وهو عبارة عن دراسة عن فضائل **بيت المقدس** أعدها **الدكتور كامل جميل العسلي**، وقد احتوت على قائمة بيبليوغرافية شملت تسعة وأربعين كتاباً ورسالة تم تأليفها بين القرن الثالث والقرن الرابع عشر مع تحليل لهذه الكتب. يقع الكتاب في (١٥٤) صفحة من القطع المتوسط.

الإدارة: دراسة تحليلية للوظائف والقرارات الإدارية

الكتاب من تأليف **الدكتور مدني عبد القادر علاقي**، وهو الأول من **سلسلة الكتاب الجامعي التي تصدرها تهامة ـ في جدة**. ويعتبر هذا الكتاب مرجعاً علمياً للطالب والقارئ عامة في مجال الإدارة. يحتوي على سبعة أجزاء تضم واحداً وعشرين فصلاً في منهج الإدارة. يقع الكتاب في (٧٤٠) صفحة من الحجم المتوسط.

خالد بن الوليد

هذه هي الطبعة الثالثة من كتاب «خالد بن الوليد» للأستاذ **صادق إبراهيم عرجون**، أصدرتها **الدار السعودية للنشر والتوزيع ـ بجدة**، يتناول المؤلف سيرة القائد الإسلامي البطل خالد بن الوليد متقصياً الحقائق وموازناً بين الروايات المختلفة وصولا للحقائق التاريخية عن سيرته المتميزة بالعديد من الخصائص. يقع الكتاب في (٣٦٠) صفحة من الحجم المتوسط.

النمو: من الطفولة إلى المراهقة

الكتاب يحمل الرقم الثالث من **سلسلة الكتاب الجامعي التي تصدرها تهامة ـ في جدة**، تأليف كل من **الدكتور محمد جميل منصور، والدكتور فاروق سيد عبد السلام** الأستاذين بجامعة الملك عبد العزيز.. والكتاب عبارة عن دراسة عن التكوين النفسي والجسماني للطفل من فترة قبل الميلاد حتى سن المراهقة. يقع الكتاب في (٦٠٠) صفحة من الحجم المتوسط.

